

النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة

١٣٨ - ٣١٦هـ/ ٧٥٥ - ٩٢٨م

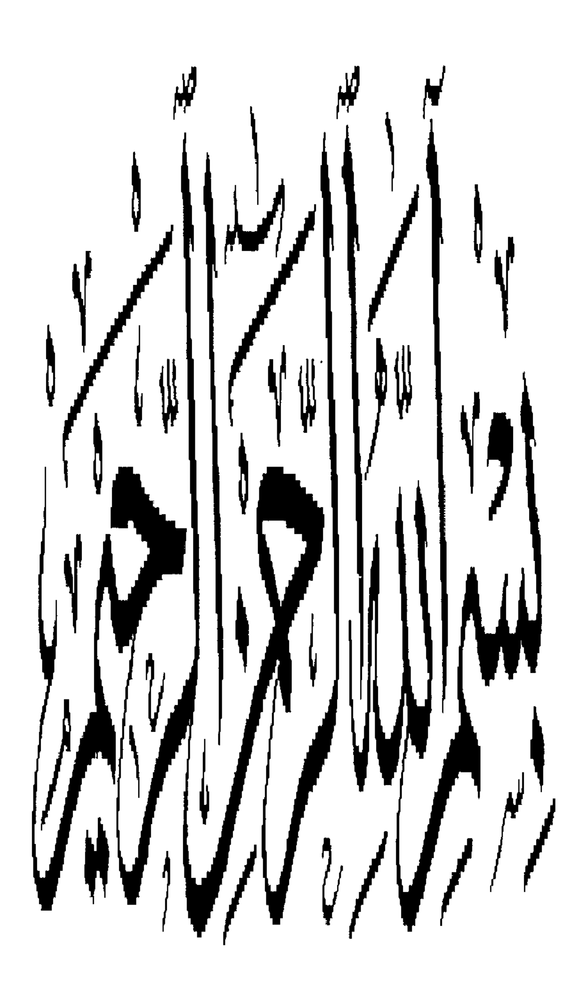
تأليف
خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر

مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض
١٤١٤ هـ

٩٥٣,٠٧١١	البكر، خالد بن عبد الكريم
٤٦٤ب	النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة.../ تأليف خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر. ـ ط١. ـ الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
	٣٤٢ص؛ ٢٤سم. ـ (سلسلة الأعمال المحكمة؛ ٥)
	ردمك ١ـ٠٢ـ٦٢٤ـ٩٩٦٠
	ردمد ٠٩٣٨ـ١٣١٩
	١. الأندلس ـ الأحوال الاقتصادية ٢. الحضارة الإسلامية ـ الأندلس ٣. الأندلس ـ تاريخ أ. العنوان ب. السلسلة

رقم الإيداع: ١٤/٠٤١٤
ردمك ١ـ٠٢ـ٦٢٤ـ٩٩٦٠
ردمد ٠٩٣٨ـ١٣١٩

الطبعة الأولى ـ الرياض ١٤١٤هـ
ص.ب: ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢ هاتف: ٤٩١١٣٠٠ ـ ٤٩١١٣٠٤ ناسوخ: ٤٩١١٩٤٩ ـ برقيا: ٤٠٦٤٤٤


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

...إلى والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

إلى والدتي حفظها الله ورعاها.

أهدي إليهما باكورة إنتاجي العلمي، جزاء ما بذلاه من جهد في سبيل تربيتي وتعليمي، فجزاهما الله عن ذلك خير ما يجزى به الصالحين من عباده.

خالد،

الفهرست

الموضـــــــــــــــوع	الصفحـة

الموضـــــــــــــوع | الصفحـة

الموضـــــوع	الصفحـة

الموضـــــــــــوع	الصفحـة

«تصدير»

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فقد دأبت مكتبة الملك عبد العزيز العامة منذ أنشأها ، وأحاطها برعايته صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الحرس الوطني والرئيس الأعلى لمجلس إدارة المكتبة ـ يحفظه الله ـ على تكاملية الأداء ، ومنهجية العمل ، فانطلقت من المفهوم العام لمعنى مكتبة عامة يرتادها مرتادون وباحثون ، إلى عالم ما يسمى بالتواصل الثقافي غير الرسمي ؛ فأقامت الندوات ، ونظَّمتْ المعارض ، وأشرفت على إصدار الأعمال الإبداعية من خلال لجنتها العلمية تحت اسم : سلسلة الأعمال المُحكَّمة .

ففي الأخيرة ، تنوعت المواضيع المنشورة ، واختلفت العناوين البحثية ، فبينما تبدأ السلسلة بعمل خالص عن الجزيرة العربية (ولاية اليمامة : دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري) ، طبعة أولى ١٤١٢ هـ ، نجد أن العمل الثاني يحمل هاجسا علميًا مغايرًا يخص مجال علوم المكتبات إضافة إلى انتمائه للكتب المترجمة (أسس تنظيم المكتبات والمعلومات) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ؛ والعمل الثالث ينحى منحًى لغويًا وأدبيًا ، وَغَطَّى ذلك الجانب (لغة العرب : دراسة تاريخية ، وكشَّاف موضوعي) الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ .

والعمل الرابع من سلسلة الأعمال المُحَكَّمة كان تسجيلاً أمينا لفعاليات الندوة العلمية الدولية (استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) والتي نظمتها المكتبة ضمن أنشطتها الثقافية في الفترة (٨ ـ ١٢ ذو القعدة ١٤١٢ هـ

الموافق ١٠ ــ ١٤ مايو ١٩٩٢م)، والكتاب يحمل عنوانا باسم (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

أمّا خامس الأعمال المُحكَّمة للمكتبة فهو الذي نحن بصدده فهو تاريخي النزعة، اقتصادي المنهج، أندلسي المنبع! بعنوان «النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (١٣٨ــ٣١٦ هـ)» وقد نال به صاحبه درجة الماجستير.

ويأتي إصدار هذا الكتاب متزامنًا مع إقامة فعاليات الندوة التاريخية والعالمية: (الأندلس: قرونٌ من التقلبات والعطاءات) التي تنظمها مكتبة الملك عبد العزيز العامة في هذا العام الجاري ١٤١٤ هـ ١٥ــ ١٩ جمادى الأولى الموافق لـ ٣٠ أكتوبر إلى ٣ نوفمبر ١٩٩٣م، ضمن أنشطتها الثقافية لهذا العام.

والحق أن هذه الدراسة التاريخية لم تتناول تلك الفترة من تاريخ الأندلس المديد من الجانب السياسي، وحياة الحكام، وأخبار الوقائع والحروب؛ فتلك قراءة ــ كما يقول بعض المؤرخين ـ قد قُتلتْ بحثًا، وأخذت أكبر من حجمها الطبيعيّ، وامتدت على حساب الجوانب الحضارية المضيئة الأخرى من تاريخنا، وتاريخ الإنسانية الثقافي، والعلمي، والاقتصادي والاجتماعي؛ فالقراءة التاريخية والمنهجية لتاريخ الإنسانية بكل معطياتها، وأنماطها المختلفة، وشرائحها المتعددة لهي عملية ضرورية وماسة لكتابتها وقراءتها قراءة موضوعية.

ومن هذا المنطلق جاء الإصدار الخامس لأعمال المكتبة المُحكَّمة مصيبًا لجانب حضاري مهم في تاريخ الأندلس الحافل بالصفحات المضيئة **التي سطرها بأحرف من نور أجداد أفذاذُ سادوا العالم بالقرآن عدلاً وسماحة واستجابوا للمعالي فاتحين، وتسابقوا إلى رفع اللواء!**

وبعد

فمكتبة الملك عبد العزيز العامة وهي تصدر هذا الكتاب القَيِّم، ليكون بين يدي مُتلقيها وباحثيها؛ خدمة لهم، ونشرًا للوعي التاريخي للأحفاد، وتنمية لضمير الأمة الجمعي، حيث التطلع لآفاق مستقبل أفضل، والانطلاقة نحو مرحلة فارقة وجادة؛ لاستنهاض القوى المبعثرة والجهود الضائعة، في سبيل استعادة مجد الأمة وسؤددها التليد، لنلحق بتاريخ الألى سبقوا..!

والله من وراء القصد، وهو يهدي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مكتبة الملك عبد العزيز العامة
بالرياض

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فكانت الحياة العامة بالدولة الإسلامية في الأندلس غنية في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، إلا أن أغلب الباحثين المُحَدثين من المؤرخين رَكّزوا دراستهم على الجوانب السياسية وتاريخ الحكام والولاة وأرباب الشهرة في المجتمع، ويبدو أن ذلك عائد لصعوبة دراسة الجوانب الأخرى بسبب تفرق مادتها العلمية في بطون المصادر المختلفة وصعوبة الحصول عليها، مما يجعل البحث فيها محفوفًا بالكثير من الصعوبات، ويتطلب جهدًا وأناة للحصول على المعلومات. إلا أن الآونة الأخيرة شهدت نشر عدة مخطوطات، مع ازدياد الاهتمام بنشر الكتب نشرًا علميًا دقيقًا، علاوة على ظهور دراسات نقدية جادة.

وقد أدى ذلك إلى ازدياد الاهتمام بدراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وصار الباحثون يبدون اهتمامًا متزايدًا بتسجيل النشاطات الإنسانية في مختلف الميادين، التي عرفها التاريخ الإسلامي دون الاقتصار على جانب واحد أو فئة معينة.

ومن هذا المنطلق فقد حرص المشرفون على تنظيم الدراسات العليا في قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود على وجوب الاهتمام بدراسة الجوانب الحضارية بالأسلوب العلمي الدقيق، والنظرة الشاملة، وكان من ضمن الموضوعات التي سُجلت في هذا المضمار رسالة الباحث خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر؛ لغرض الحصول على شهادة الماجستير، وكانت الحصيلة بحثه الذي يحمل عنوان: «النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر

الإمارة (١٣٨ ـ ٣١٦ هـ)» وقد نـال البحث ثناء لجنة المناقشـة وتقديرهـا، فقد اتسم بالموضوعية والدقة والالتزام بالأصول المنهجية المقررة.

قَسَّم البـاحث موضـوعـه إلى مقدمـة وأربعة فصـول وخـاتمة، تنـاول في المقدمة أهمية الموضوع ودوافع اختياره له، ثم دراسة لأهم المصادر والمراجع، وفي الفصل الأول درس التـركيب السكـاني فـي الأنـدلس في عصـر الإمـارة، وخصص الفصل الثاني لـدراسة النشاط الزراعي والثروة الحيـوانية، وفي الفصل الثالث تتبع الباحث الصناعات والحـرف وأحوال الحرفيين والصُنَّاع، أما الفصل الرابع فخصصـه للنشاط التجاري وقـد درس فيه التجـارة الداخلية والخـارجية، وختم الدراسة بخاتمة استخلص فيها أهم النتائج التي توصل إليها في بحثه.

لقد اعتمد البـاحث في دراسته هذه على عدد كبير من المصـادر القديمة والمراجع والـدراسات الحديثة محاولاً قـدر المستطاع رسم صورة لمـا كان عليه النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمـارة، بقدر ما أمدته تلك المصادر والدراسات.

وهكذا فإن رسالة الباحث خالد بن عبد الكريم البكر، تناولت موضوعات مهمة عن جوانب النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة، وقدمت عن ذلك النشاط معلومات مـوثوقة وصورة جديدة، وإنني آمل أن تسـد هذه الدراسة ثغرة في حقل التاريخ الأندلسي، وأن تكون بداية لدراسات تالية من الباحث في مجال التـاريخ الأندلسي فتلقي الضـوء على حقب أخرى وجـوانب لا زالت في عالم الإهمال.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

د. عبد الله محمد السيف
كلية الآداب جامعة الملك سعود

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تعتبر الأندلس إحدى الأقاليم الإسلامية المهمة التي كانت الحياة فيها غنية بجميع جوانبها المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. وقد تضاعفت أهمية الأندلس كثيرًا بعد انفصالها عن الخلافة العباسية سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م على يد عبد الرحمن بن معاوية، إذ أصبحت دولة مستقلة بعد أن كانت مجرد ولاية تابعة للحكومة المركزية في دمشق.

والواقع أن هذا الكيان السياسي الجديد الذي أنشأه عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس لم يكن في استطاعته أن يستمر طويلاً في فرض سلطته المركزية على بلدٍ ضعيف الاستجابة للاستقرار المركزي، كالأندلس، لو لم يكن يستند في ذلك على اقتصاد قوي ساعده كثيرًا في فرض هيمنته على هذه البلاد مدة طويلة. ومن هنا تكمن أهمية دراسة النشاط الاقتصادي في الأندلس خلال عصر الإمارة ١٣٨- ٣١٦هـ/ ٧٥٥- ٩٢٨م، وخصوصا أن المتتبع لما كتبه الدارسون المُحَدثون عن عصر الإمارة يلحظ تركيز الدراسات الحديثة على الجوانب السياسية بشكل خاص، والإحجام عن الجوانب الأخرى وبخاصة الجوانب الاقتصادية، على الرغم من أهميتها في الدراسات التاريخية ودورها الكبير في تفسير كثير من المسائل التاريخية وشرحها وتعليلها. وربما يكون ذلك عائدًا إلى صعوبة دراسة تلك الجوانب بسبب قلة المادة العلمية وتناثرها في بطون المصادر المختلفة، حيث يتوجب على الباحث التنقيب في المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية والفقهية وكتب التراجم وغيرها من المصادر.

ولاشك أن التركيز على الدراسات السياسية والفتن والثورات أظهر المجتمع الإسلامي في الأندلس وكأنه يعيش حالة من الصراعات المستمرة

والحروب الطاحنة، وكأنَّ المسلمين في هذه البلاد لم يكن لديهم أدنى اهتمام بالجوانب الحضارية! والحقيقة أن الأندلس تمتلك المقومات الكفيلة بقيام نشاطات اقتصادية في مختلف عصورها، فلموقعها الجغرافي ميزات إستراتيجية مهمة، فقد أتاح لها الاتصال بأوربا علاوة على أنها تشرف على البحر المتوسط من ناحية الشرق، وتطل سواحلها الغربية على المحيط الأطلسي، وبالإضافة إلى هذا فإنها تشرف مباشرة على مضيق جبل طارق من الناحية الجنوبية.

وهذا الإشراف على المسطحات المائية وفّر لها حرية الاتصال بمختلف البلدان في سهولة ويسر، وبالتالي فقد أتاح الفرصة لقيام علاقات تجارية مزدهرة بين الأندلس وغيرها من البلدان.

ثم إن طبيعة أرض الأندلس مكّنت من قيام نشاط اقتصادي على مستوى جيد، فخصوبة التربة ووفرة المياه وكذلك توافر المواد الخام من المعادن وغيرها، ووجود الأيدي العاملة وتنوع البيئات الجغرافية، كل ذلك ساعد على نمو النشاط الاقتصادي.

كما أن عصر الإمارة يمثل الانطلاقة التاريخية للحضارة الإسلامية في الأندلس، ففي هذا العصر قامت حكومة مركزية قوية في الأندلس، واجتهدت هذه الحكومة في المحافظة على استقلالها في وجه مخططات الخلافة العباسية الطامعة إلى استعادة الأندلس. ومن هنا فإن الأمويين عملوا على تهيئة الظروف الملائمة للازدهار الزراعي والصناعي والتجاري إدراكا منهم لما للاقتصاد من دور مهم في دعم الأمن والاستقرار.

ومن أجل ذلك رأيتُ أن يكون موضوع الكتاب: "النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة ١٣٨ - ٣١٦هـ/ ٧٥٥ - ٩٢٨م"؛ حتى تكون هذه الدراسة مكملة لما قام به الدارسون المحدثون عن الجوانب السياسية لعصر الإمارة في الأندلس.

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيم الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة: ففي المقدمة تعريف عام بالموضوع وأهميته ودوافع اختياره، ويتلو

ذلك دراسة عامة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها في البحث. أما الفصل الأول فهو دراسة للتركيب السكاني في الأندلس في عصر الإمارة. وتناولنا في الفصل الثاني النشاط الزراعي والثروة الحيوانية، والعوامل المؤثرة في الزراعة إيجابًا وسلبًا ونظام الأراضي والمحاصيل الزراعية وطرق التعامل الزراعي بالإضافة إلى تربية الماشية وصيد الأسماك.

وخصصنا الفصل الثالث لدراسة النشاط الصناعي، فتتبعنا عوامل نمو الصناعة وكذا عوامل انحدارها، بالإضافة إلى أنواع الصناعات المختلفة كحياكة المنسوجات والصناعات المعدنية والجلدية والخشبية والزراعية وصناعة الورق، ثم تعرف أنواع الحرف المختلفة وكذلك تبين أحوال الصناع والحرفيين.

وفي الفصل الرابع دراسة عن النشاط التجاري، تعرضنا فيها للعوامل المؤثرة في التجارة، ثم أقسام التجارة: الداخلية والخارجية؛ فدرسنا في التجارة الداخلية أهم مقوماتها الرئيسة مثل الأسواق التجارية، والطرق الداخلية، والسلع المتبادلة وأسلوب التعامل في الأسواق، والرقابة على الأسواق والأسعار. وفي التجارة الخارجية تحدثنا عن الصادرات والواردات ومناطق التبادل التجاري والطرق الخارجية البرية والبحرية.

وقد استخلصنا النتائج التي لاحت لنا في ثنايا البحث فوضعناها في خاتمة هذه الرسالة؛ لتكون بمثابة خطوط عريضة لأهم الأفكار التي اشتملت عليها هذه الدراسة.

- **دراسة المصادر والمراجع**: -

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية واللغوية والفقهية وكتب التراجم والأنساب وغيرها، بالإضافة إلى طائفة من الدراسات الحديثة.

فمن المصادر التاريخية الأندلسية نذكر كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية، ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، ويتناول

هذا الكتاب الأحـداث التاريخية التي مرت بالأنـدلس منذ الفتح الإسلامي حتى وفاة الأمير عبد الله بن محمد سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.

وهذا المصـدر، كغيره من المـدونات التاريخيـة القديمـة، يعتني بأخبار الحكام والقادة وحوادث السياسة والحـرب، لكنه لا يُعنى بتقديم معلومات عن الحياة الاقتصادية إلا في إشارات قليلة، تناول فيها نظام الأراضي وبعض الحرف المختلفة.

ومن المصـادر التـاريخيـة الأنـدلسية كتـاب (أخبـار مجمـوعـة في فتح الأندلس وذكر أمرائها) لمؤلف مجهول عاش في القرن الرابع الهجري.

ويبـدأ هذا الكتـاب بحروب المسلمين في المغـرب والأندلس على عهـد موسى بن نصير، ثم يستمر في تأريخ هذه الفتـرة الإسلامية وينتهي بوفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م.

وعلى الرغم من الإيجاز الشـديد في المادة العلمية لهـذا الكتاب، إلاّ أنه أمكن لنا أن نستخلص منه بعض المعلومات عن الحياة الاقتصادية في الأندلس خلال هذه الفتـرة. فقد أورد صاحـب (أخبار مجموعة) إشـارات مهمة عن نظام الأراضي وتربية الخيـل، كما أشار إلى الفتن الداخلية ودورهـا في تقلص الموارد المالية لخزينة الدولة.

غيـر أن أهم هـذه المصـادر على الإطـلاق كتـاب المقتبس، لابن حيـان القرطبي، حيان بن خلف، ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م. ويعتبر ابن حيان حامل لواء التـاريخ في الأندلس. وقـد امتـازت رواياتـه بالـدقـة والعمق والنظرة التحليليـة الصائبة.

ويتناول ابن حيان في المقتبس تـاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى أواخـر القـرن الرابع الهجـري. ولقـد وصل إلينـا من كتـاب المقتبس أربع قطع منفصلة:

القطعة الأولى : تتناول الجزء الأخير من عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦- ٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م، والقسم الأعظم من عصر ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م، وقد نشرها محمود علي مكي تحت عنوان (المقتبس من أنباء أهل الأندلس) .

القطعة الثانية : وتشمل عهد الأمير عبد الله بن محمد ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م، ونشرها ملتشور أنطونية تحت عنوان (المقتبس في تاريخ رجال الأندلس) .

القطعة الثالثة : وتضم معظم عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م، ونشرها بيدرو شالميتا تحت عنوان (المقتبس) .

القطعة الرابعة : وتتناول خمس سنوات من عهد الحكم المستنصر بالله ٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م ونشرها عبدالرحمن الحجي تحت عنوان (المقتبس في أخبار بلد الأندلس) .

والواقع أن المادة التاريخية التي قدمها لنا ابن حيان في كتابه كانت عظيمة حقًا، فلم يقتصر على سرد الحوادث السياسية وشرحها وتعليلها؛ بل تجاوز ذلك إلى الحديث عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في بلده . ولهذا اعتمدنا على هذا المصدر بشكل كبير في جميع فصول البحث .

ومن المصادر التاريخية كتاب (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لابن عذارى المراكشي، أبي عبد الله أحمد بن محمد، ت: نحو ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م .

ويهمنا في هذا الكتاب الجزء الثاني الخاص بتاريخ الأندلس في عصر الإمارة . وقد أفاد هذا المصدر في تعرف بعض العوامل الطبيعية التي أثرت سلبًا على الزراعة كسنوات الجفاف وحوادث السيول . كما أفادنا أيضًا في تعرف بعض الأسواق التجارية القائمة في قرطبة .

واعتمدنا في هذه الدراسة على مصادر تاريخية مشرقية، منها كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد، ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م. وقد رتّب ابن الأثير الحوادث التاريخية ترتيبًا زمنيًا، فيذكر في كل سنة أهم الأحداث السياسية والعسكرية إلى جانب بعض القضايا العامة التي تهم المجتمع، كغلاء الأسعار والآثار الناجمة عن حوادث الجفاف والسيول. ومضى ابن الأثير على هذا النسق في حديثه عن الأندلس، فحفظ لنا معلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية فيها.

وتتنوع المصادر الجغرافية التي اعتمدناها في هذا البحث، فمنها مصادر جغرافية أندلسية، وأهمها جغرافية العذري، أحمد بن عمر بن أنس ت: ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، وقد نشر عبد العزيز الأهواني قطعة منها ضمن مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد تحت عنوان (نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك).

لم يكتف العذري في كتابه بإعطاء وصف عام للمدن الرئيسة ومنابع الثروة فيها؛ بل فصَّل الوصف تفصيلاً علميًا حافلاً بالمعلومات. فهو يصف المدن، الواحدة تلو الأخرى ويذكر حدودها وأبوابها، كما يذكر الطرق بين أقاليم الكورة الواحدة، ويهتم كثيرًا بذكر المسافة من قاعدة الكورة إلى قرطبة.

وعلاوة على هذا فإن الكتاب يلقي أضواءً على نظام الضرائب في الأندلس، كما يشير إلى المراعي الجيدة فيها ووسائل الري إلى غير ذلك من الأحوال الاقتصادية العامة في الأندلس. ولا يخلو هذا الكتاب من الاستطرادات التاريخية المتعلقة بعصر الإمارة.

ونجد معلومات العذري في كتب المتأخرين عن فترة الدراسة مثل البكري والإدريسي وابن سعيد. ومعلوماتهم جميعًا نسقها محمد بن عبدالمنعم الحميري ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م، في كتابه **(الروض المعطار في خبر الأقطار)**،

ويعد هذا الكتاب معجمًا جغرافيًّا تاريخيًّا في آن واحد. فقد قطع المؤلف على نفسه ألاّ يورد من الأمكنة إلا ما كان منها مشهورًا، أو تتصل به قصة أو حكمة أو خبر طريف أو معنى مستملح مستغرب، كما يقول في مقدمة كتابه هذا، ولا يضير هذا الكتاب شيء أن عاش مؤلفه في زمن متأخر عن فترة الدراسة، فقد ضمَّ كثيرًا من المعلومات المتعلقة بعصر الإمارة، بل إن بعضها ينـدر أن نجده في أي مصدر آخر، ومثال ذلك ما أشار إليه المؤلف عن جهود الوزير هاشم بن عبد العزيز في البحث عن الرخام في مدينة ماردة، وكذلك عندما أشار إلى دور فتنة ابن حفصون في القضاء على المحاصيل الزراعية القريبة من حصن ببشتر. غير أنه لا بد من الحذر في التعامل مع المعلومات الأخرى التي تتصف بالتعميم.

أما المصادر الجغرافية المشرقية فكثيرة، ويأتي في مقدمتها كتاب(**صورة الأرض**)، لابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي، ت: نحو ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، وقد زار ابن حوقل الأندلس في سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م، وأمدنا بمعلومات مفيدة عن أحوالها الاقتصادية والاجتماعية. فقد أشار إلى بعض المحاصيل التي اشتهرت الأندلس بزراعتها، كما تحدث عن بعض الصناعات المنتجة فيها، إضافة إلى اهتمامه بمستوى معيشة الناس ومظاهر الترف التي تبدو عليهم.

ومن المصادر الجغرافية المشرقية؛ (**معجم البلدان**)، لياقوت الحموي، ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م. وقد أفدنا من هذا المصدر في إعطاء تعريفات مختصرة لمدن الأندلس، حيث وردت معظمها مرتبة في معجمه ترتيبًا أبجديًّا. وقد حرص ياقوت على إبراز مصادر الثروة الزراعية أو المعدنية التي تتميز بها كل مدينة.

وللمصادر الأدبية إسهام واضح في هذه الرسالة، ومنها كتاب (**العقد الفريد**)، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، ت: ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م. ويعد هذا الكتاب مصدرًا من أهم مصادر التاريخ الأدبي التي يعوَّل عليها. والذي

يهمنا في هذا المصدر تلك الإشارات التاريخية المقتضبة التي أوردها ابن عبد ربه عن أمراء بني أمية في الأندلس. فقد تحدث عن كل منهم وفقًا للتسلسل التاريخي، وأشار - باختصار شديد - إلى الأحداث البارزة في عهد كل أمير منهم.

ولهذه المعلومات قيمة عظيمة، إذ إن ابن عبد ربه معاصر لكثير من هذه الأحداث، بل إنه يغشى مجالس الأمراء وينشدهم مدائحه في عدة مناسبات، وهذا - دون شك - يضفي على مروياته قيمة خاصة.

ومن المصادر الأدبية الأخرى؛ كتاب الأمثال للزجالي، أبي يحيى عبيد الله بن أحمد، ت: ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م. وقد نشر محمد بن شريفة هذا الكتاب تحت عنوان (أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتاب ري الأوام ومرعى السوام).

وتعد الأمثال لونًا من ألوان الأدب الشعبي، وهي مستمدة من واقع الحياة اليومية لمختلف طبقات المجتمع، وبذلك فإنها تقترب بنا كثيرًا إلى تحسس أحوال المجتمع الأندلسي وعاداته. وقد أورد الزجالي بعضًا من الأمثال التي تنتمي إلى عصر الإمارة، وجاء في كثير منها إشارات إلى مختلف ألوان النشاط الاقتصادي، كوسائل الري وذكر بعض المحاصيل الزراعية. غير أن الاعتماد المطلق على هذه الأمثال في تكوين المادة العلمية يعد ضربًا من المجازفة، ولذا فقد كنا نستأنس ببعض هذه الأمثال في تدعيم بعض الأفكار الواردة في البحث.

أما المصادر اللغوية فنستطيع أن نصنفها إلى صنفين؛ الأول منها يختص بتقويم اللسان ومكافحة اللحن المتفشي في كلام العامة من أهل الأندلس، ومن أمثلة ذلك كتاب (لحن العامة)، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ت: ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م. وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

كما وضع ابن هشام اللخمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت: ٥٧٧هـ/ ١٨٨١م كتابًا في لحن العامة. وقد نشر عبد العزيز الأهواني قطعة منه في مجلة معهد المخطوطات العربية تحت عنوان (ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة). وهذا الكتاب، مثل سابقه؛ يفيد كثيرًا في معرفة النواحي الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس.

وأما الصنف الثاني من المصادر اللغوية فهو عبارة عن كتب المعاجم اللغوية التي تبحث في أصول الكلمات والمفردات العربية وفي الاشتقاق. وفي طليعة هذه المصادر يأتي كتاب (المخصص) لابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل، ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م ولم يقتصر انتفاعنا بهذا الكتاب على ردِّ الكلمة إلى مصادرها وتبين معناها وحسب، بل أفدنا منه في معرفة جانب من المعلومات الاقتصادية القيمة.

ومثل هذا البحث لابد أن يعتمد وبدرجة كبيرة على المصادر الفقهية، وقد أمكن لنا أن نستفيد من المصادر المتاحة لنا في هذا المجال مثل رسائل الحسبة وكتب النوازل وغيرها.

وعلى الرغم من أن هذه المصادر قد ظهرت بعد عصر الإمارة إلا أنها حفلت بالكثير من أسماء الفقهاء اللامعين في ذلك العصر، كيحيى بن يحيى الليثي، ت: ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، وعبد الملك بن حبيب ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، ومحمد بن عمر بن لبابة، ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، وغيرهم. واستشهدت بفتاواهم وتوجيهاتهم في مسائل متنوعة.

فمن رسائل الحسبة التي اعتمدنا عليها في الدراسة؛ رسالة ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله في آداب الحسبة والمحتسب.

وقد دون ابن عبد الرؤوف في رسالته توجيهات الفقيه ابن حبيب إلى رجال الحسبة حول مراقبة بعض المصنوعات.

وأما كتب النوازل فأهمها كتاب (الأحكام الكبرى) للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل، ت: ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، وقد نشر محمد عبد الوهاب خلاف فصولاً من هذا الكتاب تحت عنوان (وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لابن سهل). وقد احتوى هذا الكتاب على كثير من المسائل الاقتصادية في الأندلس خلال هذه الفترة.

ومن كتب النوازل الأخرى التي عوّلنا عليها كثيرًا (كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب) لأحمد بن يحيى الونشريسي، ت: ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م. ويمتاز هذا الكتاب بكثرة ما احتوى عليه من نوازل. وقد أثبت الونشريسي في هذه النوازل أسماء المفتين ونصوص الأسئلة، وهؤلاء المفتون هم من فقهاء المالكية المتقدمين والمتأخرين.

وقد أشارت معظم هذه النوازل إلى قضايا متنوعة من صميم الحياة الاقتصادية.

وتعد كتب التراجم من المصادر المهمة التي لها شأن في هذه الدراسة، مثل كتاب (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، ت: ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م. وقد تعرفنا من خلال هذا الكتاب عددًا من العلماء الذين اشتغلوا بالتجارة.

أما كتاب (قضاة قرطبة) لمحمد بن حارث الخشني، ت: ٣٧١هـ/ ٩٨١م، فهو يعد وثيقة عظيمة عن تاريخ القضاء بالأندلس. وقد أفادنا في معرفة الحياة الاجتماعية في الأندلس في عصر بني أمية، إذ كثيرًا مايشير إلى عادات الأندلسيين ولباسهم ولغتهم، كما يستفاد منه في معرفة جانب من جوانب النشاط الزراعي في الأندلس خلال عصر الإمارة.

ومن كتب التراجم مايتعلق بعلماء مذهب معين، مثل كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) للقاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت: ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م. وقد أورد القاضي

عياض في كتابه العديد من تراجم علماء الأندلس في عصر الإمارة. وانفرد في بعض الأحيان بإيراد معلومات لم ترد عند من سبقه من المؤلفين، مثل إشارته إلى صناعة الصابون في الأندلس خلال هذه الفترة.

كما استعنّا في هذه الدراسة بكتب الأنساب، وأهمها كتاب (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م. وتكمن أهمية هذا المصدر في أن مؤلفه تحدث عن القبائل العربية النازحة إلى الأندلس، وبيّن أصولها المشرقية التي انحدرت منها، ولم يغفل مع ذلك بيان المدن والمساكن التي سكنت فيها تلك القبائل وتكاثرت، وحفظ لنا بذلك أسماء تلك البلدان، وتعليل مسمياتها أحيانًا. ولم يقتصر ابن حزم على الحديث عن أنساب العرب؛ بل أشار أيضا إلى أنساب العناصر التي اتصلت بالعرب في هذه الفترة من تاريخهم مثل البربر والمولدين واليهود.

أما عن الدراسات الحديثة فقد استفدنا في هذا البحث من عدد من المراجع الحديثة العربية والمترجمة والأجنبية. وقد اختلفت هذه المراجع حسب اختلاف موضوعاتها، فمنها مايتعلق بالتاريخ الحضاري مثل كتاب (حضارة العرب في الأندلس) لليفي بروفنسال، ومنها ما اختص بجانب محدد من الجوانب الحضارية مثل كتاب (المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري) لفالتر هنتس، ومنها ما جمع بين الجانب السياسي والحضاري مثل (تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس) للسيد عبد العزيز سالم، وكذلك(دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر) لمحمد عبد الله عنان. وهناك نوع آخر من هذه المراجع يبحث في التأريخ السياسي والحضاري للمدن، مثل كتاب (قرطبة في العصر الإسلامي - تاريخ وحضارة) لأحمد فكري، وكذلك كتاب (قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس - دراسة تاريخية وعمرانية أثرية في العصر الإسلامي) - للسيد عبد العزيز سالم.

ومن المراجع ما اختص بالتاريخ السياسي مثل كتاب (التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة) لعبد الرحمن الحجي، وعلى الرغم

من تنوع هذه المراجع ، إلا أن أهميتها لموضوع البحث كانت محدودة . كما تم الاطلاع على عدد من المقالات العلمية المتنوعة المنشورة في الدوريات ، وقد أفادت هذه المقالات بعض جوانب البحث ، ويجد لها القارئ ثبتًا تفصيليًّا في نهاية الرسالة .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أعانوني بعلمهم وتشجيعهم الكريم على إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور عبد الله بن محمد السيف الذي أحاطني بالكثير من إرشاداته ومعلوماته القيمة ، كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عز الدين عمر موسى والدكتور عمر سليمان العقيلي والدكتور عبد الغفور إسماعيل الروزي على ما أبدوه من ملاحظات صائبة ، وما قدموه من مصادر مهمة لم يتيسر لي الاطلاع عليها ، وأرى من الحق أن أشيد بما تبذله مكتبة الملك عبد العزيز العامة من جهد وافر في سبيل نشر المعرفة وإثراء الحركة العلمية ، وأشهد أنني لمست في القائمين على هذه المكتبة نية جليلة ونزعة نبيلة ؛ إذ أذاعوا في أوساط الباحثين وأهل العلم إستعداد المكتبة لنشر ما ينتجه الباحثون من دراسات علمية نافعة ، فبارك الله جهودهم وسدَّد خطاهم .

ويجدر بي كذلك أن أوجه تحية خاصة إلى زوجتي التي حرصت على تهيئة المناخ الملائم للدرس والبحث .

وبعد

فإني لأرجو أن يحقق الله الأمل في هذا الكتاب فينتفع به القراء عمومًا والمشتغلون في تاريخ الأندلس خصوصًا .

وما توفيقي إلا بالله

الفصل الأول

التركيب السكاني في الأندلس

أولاً - المسلمون :

أ - العرب

ب - البربر

جـ - المسالمة والمولدون

د - الموالي

هـ - الصقالبة

ثانيًا - غير المسلمين :

أ - النصارى

ب - اليهود

التركيب السكاني

يتألف المجتمع الأندلسي في هذه الفترة من عـدة عناصر مختلفة التقت جميعها في هذه البلاد، فكان لهذا اللقـاء أثره الذي لايخفى في حضارة الإسلام في الأندلس .

وتكاد تنفرد الأندلس بهذه الميزة في تركيبتها السكانية من بين أقطار العالم الإسـلامي في ذلك الـوقت. فقد كـان المجتمع الأنـدلسي يتكـون من عناصـر إسلامية من العرب والبربر والموالي والمسالمة والمولدين والصقالبة، وهذه الفئة الأخيرة ولدت ونشأت في عصـر الإمارة، ومن عناصر غير إسـلامية من النصارى واليهود .

وكــان من الطبيعي أن تتصل هــذه العنــاصـر بعضهــا ببعض، ســواء بالمصـاهرة أو الجـوار أو الحرب، مما أدى إلى مـزج هذه العقليـات المختلفة والعناصر المتباينة في بوتقة الأندلس وتكوين المجتمع الأندلسي[١] .

وستتعرف كلاً من هذه العناصر المختلفة على حدة :

أولاً – المسلمون:

أ– العرب: كانت القبائل العربية في الأندلـس عندما دخلها عبد الرحمن ابن معـاوية منقسمـة على نفسهـا، أنهكتهـا الحروب المتـواصلـة والمنافسـات المحمومة على الزعامة. واستغل عبدالرحمن هذه الانقسامات أحسن استغلال حيث استطاع أن يبني دولته مستفيدًا من هذه الأوضاع .

---

(١) أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس – أثر البيئة الأوربية –، **مجلة عالم الفكر**، العدد الثاني، المجلد العاشر، الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٧٩م، ص ٦٠ .

ويظهـر أن العصبيـة القبليـة هي السبب الأقـوى في إحـداث هـذه الانقسامات، إذ كـان عرب الأندلس ينتمون إلى أكبر مجمـوعتين تنحدر منهما سـائر القبـائل العـربيـة الأخـرى، وهما - كـالعـادة - المجمـوعـة المضـريـة والـمجموعة اليمانية.

ولم يكن الصراع بين هـاتين المجموعتين جديدًا، بل كـان امتدادًا طبيعيًّا لصـراعهما القـديم في المشرق، والـذي شـارك بدوره في القضـاء على الدولـة الأموية هناك، ثم نقله العرب معهم إلى الأنـدلس ليشارك بدورٍ جديدٍ في بعث الدولة الأموية في هذه البلاد.

ولسـوف نتحدث في هـذا المجال وبشيء من التفصيل عن أهم القبـائل العـربية المستوطنة بالأندلس، ولنبدأ أولاً بالمجموعة المضرية:

١ - قريش: وقد استوطن الأندلس منهم جماعة من بني هاشم من نسل إدريس بن عبد الله[١]، كما وجدت مجموعة أخرى تنتمي إلى أخيه سليمان بن عبد الله[٢]، استوطنت في قرطبة[٣].

---

(١) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. أمه عاتكة بنت عبد الملك المخزوميـة. أفلت إدريس من وقعة فخ سنة ١٦٩هـ ومعه مولى يقـال له راشد فخـرج به في جملـة حـاج مصـر وإفـريقيـة فـوصل مصـر ومنهـا انطلق إلى أرض المغـرب. انظـر: الأصفهانـي، أبو الفـرج علي بن الحسين، **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمـد صقـر، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ص٤٨٧ - ٤٨٨.

(٢) سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. أخ شقيق لإدريس بن عبد الله. قتل في معركة فخ سنة ١٦٩هـ؛ **المصدر نفسه**، ص ٤٣٣.

(٣) ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٥، (القاهـرة: دار المعارف، د. ت)، ص ٤٨. أمـا قرطبـة Cordoba فهي قاعـدة الأندلس وأم مدائنهـا ومستقر خلافـة الأمويين بها. تقع في سفح جبل مطل عليهـا يسمى جبل العروس، وهي على نهـر عظيم - الـوادي الكبيـر Guada Iquaivir وعليـه قنطرة عظيمـة. انظـر: الحميـري، محمد بن عبـد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق د. إحسـان عباس، ط٢، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م)، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨.

وقَدم الأندلس أيضًا هاشمُ بن الحسين[1]، ونزل مدينة لَبْلة[2]، ويبدو أن بنيه تكاثروا بها حتى عرفت منازلهم فيها باسم منازل الهاشمي[3].

ويُعَد بنو أمية من أهم وأقوى قبائل قريش المستوطنة في الأندلس، وخصوصًا بعد نجاح الأمير عبد الرحمن بن معاوية في تأسيس دولة أموية في الأندلس، إذ عمد بعد ذلك إلى لمّ شتات أسرته المبعثرة وضمهم إليه. ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى تعزيز موقفه بين القبائل العربية[4]، وعلى وجه الخصوص عندما بدت في الأفق ملامح تمرد أنصاره من اليمانية عليه، فرأى أن يتخذ لنفسه عصبية خاصة من أقربائه ومواليه يعتمد عليهم، ولم يلبث هؤلاء أن كونوا في المجتمع الأندلسي طبقة خاصة عرفت بطبقة القرشيين كانت تحظى بامتيازات واسعة[5].

فمن الأسر الأموية التي استقرت بالأندلس، نذكر:

بني الشوحبة، وينتسبون إلى عثمان بن مروان[6]، وقد حققت هذه الأسرة منزلة اجتماعية رفيعة[7]. ومنهم أسرة الحفصيين، وينتسبون إلى حفص بن عمرا

(١) هاشم بن الحسين بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، دخل الأندلس، ونزل حين دخوله بلبلة، وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي؛ المقري، أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ج٣، ص ٦٠.

(٢) لَبْلة (Niebla) يتصل عملها بعمل أكشونبة. وهي شرق من أكشونبة وغرب من قرطبة. وهي برية بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر؛ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، د. ت)، المجلد الخامس، ص ١٠.

(٣) المقري، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٦٠.

(٤) أحمد فكري، **قرطبة في العصر الإسلامي - تاريخ وحضارة -**، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م)، ص ٣٢.

(٥) مصطفى أبو ضيف أحمد، **القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية**، (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، د. ت)، ص ١٧٢؛ نجدة خماش، الإدارة في الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٢٥ - ٢٦، دمشق: جامعة دمشق، ١٩٨٧م، ص ٧٠.

(٦) عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان، من ولد أبي العاص بن أمية، ولاّه الأمير عبد الرحمن بن معاوية شنت بريّة؛ ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٨٥.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ٨٥.

بن الوليد ابن عبد الملك[١]. وكذلك أسرة الحبيبيين، من ولد حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد[٢]، وقد استوطن الحبيبيون في كل من ريّة[٣] وقرطبة[٤]، وكانت هذه الأسرة فيما يبدو ثرية وذات شهرة عريضة في الأندلس، ولعلها هي المعنيّة بهذا المثل القائل: "بني حبيبة، ما افتقر قط"[٥].

ومنهم أيضًا بنو عمر بن الأسعد بن عمر بن الوليد بن عبد الملك وكانوا يسكنون في جهات من ريّة وفي قرطبة[٦]. ومن البيوتات الأموية بنو المغيرة الإشبيليون، وهم من ولد المؤمن بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٧]، ويبدو أنهم سكنوا إشبيلية[٨]، كما يدل على ذلك لقبهم. واستقر في قرطبة بنو جزيّ ابن عبد العزيز بن مروان، أما بنو زبّان بن عبد العزيز بن مروان فقد سكنوا لبلة، وكانت تنسب إليهم سويقة الزبّانين بقرطبة[٩]، ويبدو من ذلك أن بني زبّان قد

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٣) ريّة (Raiyo) كورة واسعة متصلة بالجزيرة الخضراء، وهي قبلي قرطبة، وخيراتها كثيرة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١١٦.

(٤) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٥) الزجالي القرطبي، أبو يحيى عبيد ا لله بن أحمد، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه ري الأوام ومرعى السوام، تحقيق د. محمد بن شريفة، (فاس: وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، القسم الثاني، ص ١٣٢.

(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٨) إشبيلية (Savilla) مدينة كبيرة عظيمة. يتصل عملها بعمل لبلة. وهي غربي قرطبة، بينهما ثلاثون فرسخًا. ويطل عليها جبل الشرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٩٥.

(٩) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٠٥.

نزحوا من قرطبة إلى لبلة[١]. واستقر بنو هشام بن محمد بن سعيد بن عبد الملك بن مروان في إشبيلية[٢]. كما انتشر أبناء سعيد الخير بن عبد الرحمن بن معاوية في قبرة[٣] وقرطبة[٤].

ومن قبائل قريش المستوطنة بالأندلس، بنو عبد الدار بن قصي بن كلاب، وقد انتشروا في سرقسطة[٥] وينتسبون إلى عامر بن وهب العبدري الذي قتله يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس ١٢٩ - ١٣٨هـ/ ٧٤٦-٧٥٥م[٦].

ومن القبائل القرشية أيضًا، بنو زهرة بن كلاب، ويقول ابن حزم[٧] إن الزهريين قد استوطنوا في كل من باجة[٨] وبطليوس[٩]، كما استوطن قسم منهم

---

(١) الذي يحملنا على الظن بأن بني زبان نزحوا من قرطبة إلى لبلة وليس العكس - أي من لبلة إلى قرطبة - هو أن ابن حزم قد اعتاد في حديثه عن القبائل العربية أن يقدم تفصيلات واسعة عن أحوال هذه القبائل حتى عصره.

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) قبرة (Cabra) تتصل أعمالها بأعمال قرطبة من قبليّها، وهي مخصوصة بكثرة الزيتون، وقصبتها بيّانة. انظر: ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٠٥.

(٤) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٥) سرقسطة (Zaragoza) تتصل أعمالها بأعمال تطيلة. ذات فواكه عذبة. ومدينة سرقسطة مبنية على نهر كبير. وقد انفردت بصنعة السّمّور؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٢١٢، ٢١٣.

(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٨) باجة (Beja) إحدى مدن كورة إلبيرة. ويجود فيها الزعفران ويحمل منها إلى البلدان. انظر: ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٣٢٦.

(٩) بطليوس(Badajoz) من أعمال ماردة على نهر آنة. تقع إلى الغرب من قرطبة، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، وقد أعانه الأمير عبد الله بن محمد في ذلك فأنفذ له عددًا من البنائين وشيئًا من الأموال اللازمة لإتمام هذا المشروع العمراني؛ المصدر نفسه، المجلد الأول، ص ٤٤٧؛ الحميري، المصدر السابق، ص٩٣.

في إشبيلية فكانوا من أعيانها المميزين[1].

واستقرت بالأندلس طـائفة من بني عدي بن كعب[2]، وطائفة أخرى من بني جمح[3]. ومن قبائل قريش الأخرى المستوطنة في هذه البلاد، بنو الحارث بن فهـر بن مالك، وهم كثيـرون في الأنـدلس، وينتمي إليهم يـوسف بن عبـد الرحمن الفهري، آخر ولاة الأندلس[4].

٢- كنانـة: وهم بنو مالك بن كنانة، وقد استعمل الأمير عبد الرحمن بن معـاويـة رجلاً منهم يقـال لـه الـرّمـاحس بن عبد العـزيـز[5]، على الجـزيـرة الخضراء[6] وشذونة[7]، فأوطنها قومه بني كنانة فكانت هي بلادهم[8].

أما بنو ملكان بن كنـانة فقد سكنوا بأعداد وفيرة في مـدينة مرسية[9] وكان لهم بها ثروة ووجاهة[10]. ويبدو أن سكنـاهم في هذه المدينة قـد تمّ في عصر

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٠.

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٥) الرّمـاحس بن عبد العزيـز بن الرماحس بن الـرسارس بن السكـران بن واقد بن وهيب. من بني مـالك بن كنانـة. ولي الشرطـة لمروان بن محمـد ثم دخل الأندلس، فـولاّه عبد الـرحمن بن معاويـة الجزيـرة وشذونة، فتمنع عليـه فيها، فغزاه فهـرب إلى العدوة ومـات فيها؛ المصدر نفسه، ص١٨٩.

(٦) الجزيرة الخضراء (Algeciras) مدينة مشهـورة بالأندلس، وهي مقابلة لمـدينة سبتة في أرض المغـرب، وتتصل أعمالهـا بأعمال شـذونـة، وهي شرقي شـذونـة وقبلي قرطبـة؛ ياقـوت، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ١٣٦.

(٧) شذونة (Sidonia) تتصل نواحيها بنواحي موررو من أعمال الأندلس؛ المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٣٢٩.

(٨) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٩) مرسية (Murcia) وهي من أعمال تـدمير. اختطها الأمير عبد الـرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وهي ذات أشجـار وحدائق محيطة بها؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ١٠٧.

(١٠) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٨٩.

الإمارة؛ لأن الأمير عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م، هو الذي أمر ببناء مرسيه(١).

٣- أسد بن خزيمة: وقد استقر أقوام منهم في بعض المناطق من جَيّان(٢)، واستقر آخرون في مناطق متفرقة من كورة إلبيرة(٣)، كما يقول ابن حزم(٤).

٤- مزينة، وهم بنو عمرو بن أُدّ: وقد استوطنت مزينة في بيَّانة(٥)، واستقرت بها(٦).

٥- تميم: وهي إحدى القبائل المضرية المهمة، وقد استقرت بعض عشائرها في الأندلس، ومن بينها: بنو امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، وإليهم ينتمي الشاعر الأندلسي، أبو المخشي عاصم بن زيد(٧).

---

(١) ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الخامس، ص ١٠٧.

(٢) جيّان (Jaen) مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة إلبيرة، مائلة عن إلبيرة شرقي قرطبة، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلدانًا؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الثاني، ص١٩٥.

(٣) إلبيرة (Elvira) وهي كورة كبيرة، ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار؛ **المصدر نفسه**، المجلد الأول، ص ٢٤٤.

(٤) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ١٩٢ وكذلك ص ١٩٦.

(٥) بيّانة (Baena) وهي قصبة كورة قبرة. وهي كبيرة حصينة على ربوة، يكتنفها أشجار وأنهار. بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً ؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الأول، ص ٥١٨.

(٦) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٢٠١.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ٢١٤؛ وأما أبو المخشي فهو عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد بن أيوب. كان شاعر الأندلس في أيام عبد الرحمن بن معاوية، فمدح سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بشعر وتُوهم عليه فيه أنه عرّض بهشام أخيه، وكانت بين الأخوين منافسة ومباعدة، فسمل عينيه هشام، فقال في العمى شعرًا حسنًا، فلما صار الأمر إلى هشام أعطاه الدية مضاعفة. انظر: ابن القوطية، أبا بكر محمد بن عمر، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، (بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧م)، ص ٥٩-٦٠.

ونزل بنو الزبرقان، وهم من بهدلة من بني عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، في قرية الزبارقة، نسبت إليهم، ثم انتقلوا إلى طلبيرة[١] بعد أن غلبهم النصارى على قريتهم[٢].

أما بنو عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فقد استوطنوا قرطبة[٣].

٦- هذيل: وهم هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، وقد استقر أقوام منهم في أَرْيولة[٤].

٧- بنو أفصى بن عامر بن قمعة بن إلياس بن مضر: وقد سكن جماعة منهم يعرفون ببني أسلم في ألش[٥] وماحولها[٦].

٨- باهلة: وقد استقر قسم منهم في طليطلة[٧] وفي وادي الحجارة[٨]، كما استقر آخرون في جيّان[٩].

---

(١) طلبيرة (Talavera) مدينة من أعمال طليطلة، وهي كبيرة قديمة البناء على نهر تاجه؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٧.

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١؛ أما أريولة (Orihuela) فهي مدينة بشرق الأندلس من كورة تدمير؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص١٦٧.

(٥) ألش(Elche): مدينة من أعمال تدمير. لزبيبها فضل على سائر الزبيب، وفيها نخيل جيدة لاتوجد في غيرها من مدن الأندلس، كما تصنع فيها البسط الفاخرة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٤٥.

(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٤٠.

(٧) طليطلة (Toledo) مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس. يتصل عملها بعمل وادي الحجارة. وهي على شاطئ نهر تاجه؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٩، ٤٠.

(٨) وادي الحجارة (Guadalajara) وتعرف بمدينة الفرج. وهي بين الشمال والشرق من قرطبة. وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً. وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق، ولها أسوار حصينة؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦٠٦.

(٩) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

٩- غطفان: وقد تواجد قوم منهم فـي إحدى قرى الشرف بإشبيلية، كما تواجد آخرون منهم فـي قرمونة[١]، وهم بنـو صخـر من بني بغيض بن ريث بن غطفان[٢].

١٠- ذبيان: ومنهم بنو مـرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وقـد نزل فريق منهم في إلبيرة، بينما نزل فريق آخر في إشبيلية[٣].

١١- بنو محـارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر: واستقـر هؤلاء في كورة إلبيرة، وإليهم ينتمي الزعيم العـربي، سوار بن حمدون القيسي[٤]، القائم بدعوة العرب ضـد المولدين[٥]، في عهـد الأميـر عبـد اللـه بن محمـد ٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م.

١٢- هـوازن: ومنهم بنو سعـد بن بكر بن هـوازن، وقد استقـر قسم من هؤلاء في كورة إلبيرة، وهم المعروفون ببني جودي[٦]، كما استقر قسم آخر منهم في إشبيلية، وكانت أعدادهم فيها كثيرة[٧].

---

(١) قَرْمونة (Carmona) كورة بالأندلس يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٣٠.

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٤) سوار بن حمـدون المحاربي القيسي، ثار بنـاحية البراجلة مـن كورة إلبيرة سنة ٢٧٦هـ، وقد انضوت إليه بيـوتات العرب من كورة إلبيـرة وجيّان ورية وغيرها. وكـان فارسًا شجاعًـا محاربًا فكثـر أتباعـه واشتدت شـوكته واعتـزت العرب بـه؛ ابن حيان، أبـومروان حيـان بن خلف، المقتبس في تاريخ رجـال الأندلس، نشره ملتشـور أنطونية، (باريس: بـولس كتنر الكتبي، ١٩٣٧م)، القسم الثالث، ص ٥٤- ٥٥.

(٥) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٧) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١.

١٣- ثقيف: ومنهم بنو منذر بن الحارث بن عيشون، من بني عوف بن ثقيف، وقد استوطنوا في باجة[١]. وربما كان هؤلاء قد استوطنوا الأندلس منذ فترة مبكرة، إذ نلاحظ تأثير البيئة الأندلسية واضحًا في اسم جدهم عيشون[٢].

١٤- بنو نصر بن معاوية بن بكر: وسكن قوم منهم في مدينة إِسْتجة[٣].

١٥- بنو مرة بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن: واستقر جماعة منهم في جهات من عمل لبلة[٤].

١٦- بنو نمير بن عامر بن صعصعة: واستوطن هؤلاء في كورة إلبيرة[٥].

١٧- بنو الضِّباب بن كلاب بن ربيعة: وإليهم ينتمي الزعيم العربي الذائع الصيت في أواخر عصر الولاة، الصميل بن حاتم[٦]، وقد سكن هؤلاء في جهات من عمل جيّان[٧].

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٣) من مظاهر التأثير الأسباني على الأسماء العربية في الأندلس إضافة المقطع الأسباني الأخير الواو والنون on للدلالة على التعظيم أو التكبير؛ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦٩- ٢٧٠؛ وأما إستجة (Écija) فهي كورة قديمة واسعة الرساتيق والأراضي على نهر شنيل. تتصل بأعمال ريّة بين القبلة والمغرب من قرطبة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٧٤.

(٤) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٠؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٦) الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي، أبو جوشن. كان جده شمر من أشراف عرب الكوفة، وهو أحد قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما. كان الصميل شجاعًا، نجدًا، جوادًا، كريمًا، توفي في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٤٢هـ؛ ابن الأبار، أبوعبد الله محمد بن عبد الله، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م)، ج١، ص ٦٧- ٦٨.

(٧) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٨٧.

١٨- بنو قشير بن كعب بن ربيعة بن عـامر بن صعصعـة : واستقر قسم منهم في جيّان ، وقسم آخر استقر في إلبيرة(١).

١٩- بنـو المنتفق بن عـامـر بن عقيل بن كعب بن ربيعـة بن عـامـر بن صعصعة : ومنهم جماعة يعرفون ببني سامي ، استوطنوا في وادي آش(٢).

٢٠- بنـو خويلـد بن سمعـان بن خفـاجـة : واستقر جمـاعـة منهم في مِنْتيشة(٣)، كما استقر آخرون في جيّان وفي وادي آش(٤).

٢١- بنو النَّمر بن قاسط بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار، وقد نزل أقوام منهم في حصن وضّاح من عمل ريّة(٥).

٢٢- بكر بن وائل : وقـد استوطن قسم كبير منهم في قلعـة رباح(٦)، إذ كانت هـذه المنطقة : "دار الداخلين إلى الأنـدلس من بكر بن وائل" (٧). كما استوطن قسم منهم يقال لهم، بنـو مطروح ، في قرطبة ، وكـان لهم شرف فيها . ثم استقر جماعة منهم في شَلْطيش(٨). وفي لبلة(٩).

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٩٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩١ .

أما وادي آش (Guadix) فهي مدينة قريبة من غرناطة ، تطرد حولها المياه والأنهار. وهي كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون والقطن؛ الحميري ، المصدر السابق، ص ٤ - ٦ .

(٣) منتيشـة (Mentesa) مدينـة قديمـة من أعمال كـورة جيّان ، حصينـة مطلة على بسـاتين وأنهار وعيون؛ ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٤) ابن حزم ، المصدر السابق، ص ٢٩٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٢ .

(٦) قلعـة ربـاح (Calatrava) مـدينة من أعمـال طليطلة ، وهي غـربي طليطلة ، وبين المشـرق والشمال من قـرطبة ، ولهـا عدة قـرى ونواح ؛ يـاقوت ، المصدر السابق، المجلد الثـالث ، ص٢٣ .

(٧) ابن الأبار، المصدر السابق، ج١ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٨) شلطيـش (Saltes) بلدة صغيـرة في غربي إشبيليـة على البحر؛ يـاقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٥٩ .

(٩) ابن حزم ، المصدر السابق، ص ٣٢١ .

٢٣- قبائل نمارة، من ولد إياد بن معد: ومنهم بنو الطمَّاح بن نمارة، ونزلوا في قرمونة وفي لبلة(١).

٢٤- بنو عك بن عدنان: ومنهم بنو غافق بن الشاهد، وقد نزلوا موضعًا في شمال قرطبة ومنحوه اسمهم(٢).

أما القبائل العربية التي تنتمي إلى المجموعة اليمانية فهم:

١- قبائل الأنصار: ومنهم بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وقد سكن بعضهم في قرطبة، والبعض الآخر في باجة(٣). ومنهم أيضًا، بنو مالك ابن النجار، وقد استوطنوا كلاً من قرطمة(٤) وريّة (٥). كما استوطن قرطبةَ قومٌ من بني عنز بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة، يعرفون ببني هارون (٦).

أما بنو مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، فقد كان منهم بالأندلس، بنو خبيب، وبنو قطنين، وقد نزلوا في إحدى القرى التابعة لقبرة. ونزل بنو عبد السلام بن سريّ بن هاشم في قرية شوش الأنصار، من قرى إشبيلية(٧). واستقر قسم من بني كعب بن الخزرج بن حارثة في إحدى قرى سرقسطة، واستقر قسم آخر في شذونة(٨).

٢- الأزد: وقد وجد في الأندلس منهم من ينتسب إلى غسان، وهم بنو مازن بن الأزد، ومن بينهم، بنو القليعي، وهم من أعيان غرناطة(٩).

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٢٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٨، ٣٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٣.
(٤) قرطمة: مدينة من أعمال ريّة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٢٥.
(٥) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٤٧، ٣٤٨.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٤، ٣٦٥.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٦٥، ٣٦٦.
(٩) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٣، ٢٩٤.
أما غرناطة (Granada) فهي من أقدم مدن كورة إلبيرة وأعظمها وأحسنها وأحصنها. بينها وبين إلبيرة أربع فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخًا؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ١٩٥.

ويروي ابن حيان[1] في حوادث سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م أن عددًا قليلاً من الغساسنة استوطنوا بالقرب من بجّانة[2]، وكان البحريون الذين اختطوا هذه المدينة قد آذوهم واستطالوا عليهم لقلة عددهم، فاستنجدوا بالزعيم العربي في غرناطة، سوار بن حمدون المحاربي، الذي نهض لنجدتهم بمن معه من عرب إلبيرة.

٣- بنو منهب بن دوس: ويذكر ابن حزم[3] أن دار دوس بالأندلس هي تُدْمير[4].

٤- خثعم: واستقر فريق منهم في إلبيرة، كما استقر فريق آخر في شذونة، وهي دار خثعم بالأندلس[5].

٥- بجيلة: وقد نزل قوم منهم في جهات أربونة[6] واستوطنوها[7].

٦- سبأ: ومنهم بنو بشتغير وبنو يريم، وقد سكن هؤلاء في إشبيلية[8].

٧- همدان: وكانت منازل همدان في إلبيرة[9].

٨- بنو الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ: وقد نزل بعضهم في إشبيلية، ولكن غالبيتهم، فيما يبدو، قد نزلت ريّة،

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) بجانة (Pechina) مدينة من أعمال كورة إلبيرة، بينها وبين غرناطة مائة ميل؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٣٣٩.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٨٣.

(٤) تدمير (Todmir) كورة بالأندلس، تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ١٩.

(٥) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٩١، ٣٩٢.

(٦) أربونة (Narbone) بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس. بينها وبين قرطبة ألف ميل؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٤٠.

(٧) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٩٢.

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٩٧.

إذ كانت ريّة هي دار بني الأشعر في الأندلس[1].

٩- طيئ: وسكن هؤلاء بالقرب من مرسية[2].

١٠- بنو عنس بن مذحج بن أدد بن زيد: ويذكر ابن حزم[3] أن هذه القبيلة قد سكنت في جهة قلعة يحصب.

١١- بنو سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد: واستوطن عدد منهم في وادي آش[4].

١٢- بنو زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج: ومنهم بنو مازن بن ربيعة في إشبيلية[5].

١٣- خولان: ومنهم قوم يقال لهم، بنو نجيح بن سالم، نزلوا في إلبيرة. ونزل آخرون منهم في قرطبة[6].

١٤- بنو يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة: وهم المعافر، وقد تفرقوا في مدن الأندلس، فمنهم من استوطن بلنسية[7]، ومنهم من استوطن جيّان[8].

١٥- عاملة: ويذكر ابن حزم[9] أن قسمًا منهم سكن في منطقة يقال لها، بلّة.

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٩٨.

(٢) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤١٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤١٨.

(٧) بلنسية (Valencia) كورة ومدينة مشهورة متصلة بحوزة كورة تدمير. وهي إلى الشرق من تدمير وقرطبة. وهي مدينة برية وبحرية ذات أشجار وأنهار؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٤٩٠.

(٨) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤١٨، ٤١٩.

(٩) المصدر نفسه، ص ٤١٩، ٤٢٠.

١٦- جذام: وكانت مساكنهم في الأندلس هي: شذونة والجزيرة الخضراء وتدمير وإشبيلية[١]، وكان لهم أيضًا جزء من قلعة رباح[٢].

١٧- لخم: وكان لهم بقية ضخمة في كل من قرطمة وريّة، وإليهم ينتمي الفقيه الأندلسي، زياد بن عبد الرحمن اللخمي[٣]، وكان له عقب في قرطمة وشذونة وريّة[٤]. كما استوطن قسم آخر من لخم في إشبيلية، ومنهم أسرة بني حجاج[٥].

ومن لخم أيضًا بنو بحر، وتنسب إليهم قرية البحريين في شرقي إشبيلية[٦].

١٨- كندة: ومنهم بنو تجيب، ومنازلهم في سرقسطة ودروقة[٧]، وقلعة أيوب[٨].

١٩- حمير: ومنهم بنو شعبان بن عمرو، ويبدو أن لقبهم أصابه بعض التحريف، إذ يقول ابن حزم[٩] في ذلك: «ومن كان من أهل هذه الفصيلة في

---

(١) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٤٢٠، ٤٢١.

(٢) المقري، **المصدر السابق**، ج١، ص ٢٩٦.

(٣) هو زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير، المعروف بشبطون. قيل إنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة. أراده الأمير هشام بن عبد الرحمن على القضاء، فخرج هاربًا بنفسه. وتوفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج١، ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٤) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٤٢٣.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٤٢٣ - ٤٢٥.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٤٢٣ - ٤٢٥.

(٧) دروقة (Daroca) مدينة من عمل قلعة أيوب، وهي صغيرة متحضرة كثيرة البساتين؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ٢٣٥.

(٨) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٤٣٠؛ أما قلعة أيوب (Calatayud) فهي: مدينة عظيمة جليلة القدر بالثغر، من أعمال سرقسطة، أرضها كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع ولها عدة حصون؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الرابع، ص ٣٩٠.

(٩) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٤٣٣.

الكوفة انتسبوا آل ذي شعبين، ومن كان منهم بالشام والأندلس انتسبوا شعبانين، إلا رجلاً بمالقة ينتسب شعبيّا، ومن كان منهم بمصر والقيروان سُمُّوا الأشعوب».

ومن قبائل حمير، بنو هوزن، وقد سكنوا في قريتين من قرى إشبيلية. أما بنو حراز، فقد نزلوا في لبلة، واستوطنت ذورعين، في الفحص المنسوب إليهم بريّة، ونزلت بقية من جرش في وادي بجّانة(١).

٢٠- قضاعة: ومنهم بنو بليّ بن عمرو بن الحافي بن قضاعة، وقد سكنوا موضعًا عرف باسمهم في شمال قرطبة، ويبدو أنهم احتفظوا بعاداتهم العربية الأصيلة فلم يتأثروا كثيرًا بالبيئة الأندلسية، إذ كانوا «لايحسنون الكلام باللطينية، لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم ويقرون الضيف ولا يأكلون ألية الشاة» (٢).

ومن قضاعة، بنو نهد بن زيد بن ليث، وقد سكنوا في ريَّة(٣)، واستوطن بنو عذرة بن سعد بن هذيم في دِلاَّية(٤) وجيّان وسرقسطة وهم كثيرون فيها.

ومن قضاعة بنو القين بن جسر بن شيع الله بن أسد، ودارهم بالأندلس ريّة(٥). واستوطن بنو خشين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان في جيّان، وأعمال إلبيرة، وبعضهم في لبلة(٦).

٢١- حضرموت: وقد نزل أقوام منهم في غرناطة ومرسية وإشبيلية وبطليوس وقرطبة(٧).

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٣٤ - ٤٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٤٧.
(٤) دِلاّية (Dalias) بلد قريب من المرية، من سواحل البحر؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٤٦٠.
(٥) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٥٤.
(٦) المصدر نفسه، ص ٤٥٥.
(٧) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٨.

واشتهر بنو خلدون في إشبيلية، وهم ينحدرون من أصول حضرمية[(١)]. وقد كان لهذه الأسرة نفوذ واسع في إشبيلية، بمشاركة أسرة بني حجاج اللخمية، إذ كانوا جميعًا أصحاب أراضٍ واسعة، ولهم أتباع مخلصون كثيرون، يستطيعون تسليحهم إذا استلزم الأمر ذلك[(٢)].

ويتضح لنا مما تقدم عرضه، أن العرب كانوا يقيمون في المدن، وأن استيطانهم كان كثيفًا في المناطق الجنوبية من الأندلس، إلا أنهم كانوا في الجنوب الشرقي أقوى منهم في أي مكان آخر[(٣)].

وعلى الرغم من أن الكثير من أبناء القبائل العربية المختلفة قد استوطنوا الأندلس، كما مرَّ بنا، إلا أن العرب كانوا أقلية في هذه البلاد إذا ماقورنوا بغيرهم من العناصر البشرية الأخرى.

ولعل من أسباب قلة أعداد العرب، هو أن الهجرة العربية إلى الأندلس لم تكن غزيرة، وقد توقفت تقريبًا منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[(٤)]. وقد أدى توقف هذه الهجرة العربية ــ بالاضافة إلى ازدياد الاختلاط بين العرب والإسبان وغيرهم ـ إلى ضعف نفوذ الأسر العربية الكبيرة[(٥)].

ويبدو أيضًا أن من أسباب قلة أعداد العرب في هذه البلاد؛ هو ذلك الصراع الضاري الذي احتدم بين القبائل العربية، فقد أسفرت الحروب

(١) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٤٦٠.

(٢) ليفي بروفنسال، الأمويون في الأندلس، **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد الرابع، ٣١، القاهرة: مكتبة دار الشعب، د.ت، ص ٤٨٧.

(٣) برنارد لويس، **العرب في التاريخ**، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، الطبعة الأولى، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٤م)، ص ١٧٣، ١٧٤.

(٤) **المرجع نفسه**، ص ١٧٤، وانظر أيضًا: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر**، الطبعة الرابعة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، العصر الأول - القسم الأول، ص ٢٠٤.

(٥) برنارد لويس، **المرجع السابق**، ص ١٧٤.

المتواصلة بين المضرية واليمانية عن هلاك أعداد كبيرة من الفريقين. ويروى[1] في هذا الصدد أن عـدد القتلى في الصراع بين المضرية واليمـانية الذي وقع في كورة تـدمير سنـة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م قد وصل إلى مـايقرب من ثـلاثة آلاف قتيل، وقد استغرقت هـذه الحرب الطاحنة بين الفـريقين مدة سبع سنوات. ولاشك أن هذه المدة الطويلة كافية لإنهاك طاقة المتحاربين، ولأن يفنى منهم مايقرب من ثلاثة آلاف قتيل. بـل إن الصراع القبلي بين المضرية واليمانيـة في الأندلس لم يقتصر على العـامة من الناس؛ بل تجـاوزه إلى العلماء منهم، وبـالتالي أصبح لهـذا الصـراع مظهر فكـريٌّ وثقـافيٌّ إضـافـة إلى مظـاهـره الأخرى العسكـريـة والاقتصادية؛ فيـروى في هذا المجال أن أحد علماء الأندلس ــ وهو حرشن بن أبي حرشن[2] ـ كان شديد التعصب للقحطانية، وكان ينافح عنها بشعره[3].

كما يبـدو أن من أسباب قلة أعـداد العرب هو ذلك النـزاع الذي وقع بين العرب من جهـة وبين المولَّدين والمستعربين من جهـة ثانية، وقد استغـرق هذا النـزاع سنوات طـويلة في عصـر الإمارة، وكـان سمة أسـاسية من سمـات ذلك العصر[4].

وليس من اليسير، فيمـا يبدو، أن نصل إلى رقم محدد لأعـداد العرب في الأنـدلس في هـذه الفترة. وفي ذلك يشيـر أحـد الباحثيـن إلى أن عدد العـرب

---

(١) العذري، أحمد بن عمر، **نصوص عن الأندلس**، تحقيق د. عبد العزيز الأهواني، (مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م)، ص ٥، وانظر أيضًا: النويري، شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق د. أحمد كمال زكي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ج ٢٣، ص ٣٧٦.

(٢) حرشن بن أبي حرشن: كان من أهل العلم باللغة العربية. انظر:
الزبيدي، أبا بكر محمد بن الحسن، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م)، ص ٢٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٤) مصطفى أبو ضيف أحمد، **المرجع السابق**، ص ١٨١.

القادمين إلى الأندلس من شمال إفريقية والشام كان قريبًا من ثلاثين ألفًا، ثم ارتفع هذا الرقم بعد عشرين سنة إلى ثلاثمائة ألف انتشروا في كل مكان[١]، ولكن كلامًا كهذا تنقصه البراهين العلمية الثابتة، كما أن صاحب هذا الرأي لم يحدد بدقة تاريخ هذه الفترة التي يتحدث عنها، فجاءت غامضة.

وعلى الرغم من أن العرب كانوا أقلية في هذه البلاد بين عناصر السكان الأخرى؛ إلا أن أوضاعهم الاقتصادية كانت جيدة، فقد احتفظوا لأنفسهم بالأراضي الخصبة في شبه الجزيرة الإيبيرية[٢].

ولقد أدى ذلك في النهاية إلى إشاعة روح الكراهية والتنافر بين العرب وغيرهم من عناصر السكان الأخرى، وخاصة البربر شركاء العرب في الفتح الاسلامي للأندلس، والمولَّدون الذين رأوا أنهم أهل البلاد الأصليين، وبالتالي فهم أحق بخيراتها. وقد نبَّه المؤرخ ابن الخطيب[٣] إلى الخصائص الاجتماعية والنفسية لدى كل من العرب والبربر، ودورها في إيجاد الفرقة بينهما، فهو يذكر أن من أسباب كثرة الثوار بالأندلس هو: «علو الهمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة، إذ كان من يحصِّل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرافًا يأنف بعضهم من الإذعان لبعض».

أما المولَّدون، فقد اشتد سخطهم على العرب لاستئثارهم بالسلطة دونهم[٤]، خاصة وأنهم يشكلون الكثرة الغالبة من السكان، ولذا فقد وجدوا في

(١) علي حبيبة، **مع المسلمين في الأندلس**، الطبعة الثانية، (جدة: دار الشروق، د. ت)، ص ١٣٧.

(٢) عنان، **المرجع السابق**، ص ٢٠٤، وانظر كذلك: جورج كولان، **الأندلس**، ترجمة إبراهيم خورشيد وزملاؤه، الطبعة الأولى، (بيروت - القاهرة: دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ١٩٨٠م)، ص ٨٩.

(٣) ابن الخطيب، لسان الدين أبوعبد الله محمد بن عبد الله، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م)، القسم الثاني، ص ٣٦.

(٤) Lévi-provencal, **Histoire de L'Lspagne Musulmane**, paris, 1950, t. 1, P.140.

الثائر على الإمارة الأموية، عمر بن حفصون[1]، بطلاً يجسد كيانهم المميز، ويسعى إلى تحقيق طموحاتهم، فأيدوا دعوته وأخلصوا لها، وانضمت إليهم بعض العناصر الأخرى يجمعهم جميعًا الحقد المشترك على العرب: «وتحزبت المسالمة مع المولدين، وتميزت إليهم نصارى الذمة، فصار جميعهم إلبًا على العرب قائمين بدعوة عمر بن حفصون»[2] وكان ذلك سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، كما حدث أن اجتمع عرب قرمونة مع عرب إشبيلية، وثاروا على المولدين في إشبيلية سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، فقتلوهم شر قتلة، وحصدوا شوكتهم، وقد افتخر العرب كثيرًا بهذه الوقعة، وسجلوها في أشعارهم، فقال قائلهم:

أبدنا بالسيوف بني العبيد ... فراحوا هامدين على الصعيد

قتلنا منهم عشرين ألفا ... فقلّلنا الكثير من العديد[3]

وقد سار النزاع بين العرب والمولدين إلى ما هو أبعد من ذلك، فقد كادت أن تحدث فتنة بين الفريقين في مدينة إستجة بسبب رفض المولدين من الصلاة خلف الإمام العربي. فرفع الأمر إلى حكومة قرطبة التي رشحت رجلاً لهذه المهمة، يقال له أبو موسى الهواري[4]، وهو من البربر فيما يتضح من اسمه، فرضي به الفريقان[5].

---

(١) عمر بن حفصون. كان من الثوار القائمين بالأندلس في جهات ريَّة قبل سنة ٢٧٥هـ. وكان جلدًا شجاعًا أتعب أمراء بني أمية وطال أمره؛ لأنه كان يتحصن عند الضرورة بقلعة ببشتر وهي موصوفة بالامتناع. انظر: الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١ (القاهرة، بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، القسم الثاني، ص ٤٧٦.

(٢) ابن حيان، **المصدر السابق**، القسم الثالث، ص ٥١.

(٣) **المصدر نفسه**، القسم الثالث، ص ٨٥.

(٤) أبو موسى الهواري: عبد الرحمن بن موسى الهواري، من إستجة، وأول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس. رحل في مستهل عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية إلى المشرق، فلقي مالكًا ونظراءه من الأئمة. انظر: الزبيدي، **المصدر السابق**، ص ٢٥٣؛ ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج١، ص ٤٣٩.

(٥) الزبيدي، **المصدر السابق**، ص ٢٥٤.

لقد كان لهذه الصراعات المختلفة بين عناصر السكان نتائج وخيمة على مستقبل الأندلس السياسي والاقتصادي، فقد أسفر الصراع العربي ضد البربر من ناحية، وضد المولدين من ناحية أخرى، عن هلاك الطاقة البشرية المصدر الأساسي للإنتاج، كما أن هذا التناحر خلخل بنية المجتمع الأندلسي، وهو أمرٌ أفاد منه المسيحيون، على حدود الأندلس الشمالية، كثيرًا، فاستغلوا تلك الانقسامات الاجتماعية لتحقيق أغراضهم التوسعية(١).

ب - البربر:

يشكل البربر العنصر الثاني من عناصر المجتمع الأندلسي في هذه الفترة.

لقد استوطن البربر في هذه البلاد منذ فترة مبكرة من تاريخها الإسلامي، إذ كان السواد الأعظم من الجيش الإسلامي الفاتح يتألف من البربر. ولقد كان نمط الحياة القبلية هو الأسلوب السائد في حياة البربر.

وسنحاول فيما يلي إيضاح أهم القبائل البربرية المستوطنة بالأندلس:

١ - زناتة: وتنقسم إلى عشائر عدة، منهم بنو الخرّوبي، وأصلهم من لَقَنْت(٢). ومنهم، بنو الليث من شنت فيلة(٣)، ومنهم، بنو عزون في شنت بريّة(٤). ويبدو أن قسمًا من زناتة قد استوطن في منطقة بطليوس، وقد احتفظت

---

(١) إبراهيم القادري بوتشيش، الانحسار العربي في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، هل كان وراءه تفوق مسيحي؟، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد ٣٤، السنة ١٣، (بغداد: الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ١٧٧.

(٢) لقنت (Alicante) هي عبارة عن حصنين من أعمال لاردة، لقنت الكبرى ولقنت الصغرى، وكل واحدة منهما تقابل الأخرى؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الخامس، ص ٢١.

(٣) شنت فيلة (Siete Filla) تقع بالقرب من قرطبة؛ **المصدر نفسه**، المجلد الثالث، ص ٣٦٧.

(٤) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٤٩٩. وشنت بَريَّة (Castrode Santaver) مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، وفيها شجر الجوز والبندق. وتقع إلى الشرق من قرطبة، وتتصل بحوز مدينة سالم؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الثالث، ص ٣٦٦.

الأماكن التي استوطنوها باسم تلك القبيلة إلى الوقت الحاضر Gineta[(١)].

٢- مكناسة: ومنهم، بنو وانسوس رهط الوزير سليمان بن محمد بن أصبغ بن وانسوس[(٢)]، ويبدو أن هؤلاء قد استوطنوا ماردة[(٣)]، إذ يروى أن أصبغ ابن وانسوس، جد الوزير السالف الذكر، كان سيدًا مطاعًا في ماردة، وقد ثار بها على الأمير الحكم بن هشام ١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢١م[(٤)].

٣- صنهاجة: وقد اشتهر منهم بالأندلس بيوتات عدة، كبني الغليظ، وبني درّاج. وقد سكن قسم من صنهاجة في أُشُونة[(٥)]، وهم بنو عبد الوهاب[(٦)]. ويظهر أن قسمًا آخر من صنهاجة استوطن مدينة وادي الحجارة، فقد روى اليعقوبي[(٧)] أن مدينة وادي الحجارة: «كان عليها رجل من البربر يقال له، مسلة بن فرج الصنهاجي، يتولاها، يدعو لبني أمية ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد».

٤- مصمودة: وقد سكن بعضهم في بيّانة، كما سكن البعض الآخر في أشونة، ومنهم من استقر في ماردة[(٨)].

---

(١) عبد الواحد ذنون طه، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس**، (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م)، ص٢٨٢.

(٢) سليمان بن وانسوس: كان أثيرًا لدى الأمير عبد الله بن محمد، وقد اتصف بالأدب والعلم والعقل وعزة النفس؛ الحميدي، **المصدر السابق**، القسم الأول، ص ٣٥٠.

(٣) ماردة (Merida) كورة واسعة متصلة بحوز قرّيش، بين الغرب والشمال من أعمال قرطبة. انظر: ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الخامس، ص٣٨، ٣٩.

(٤) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ص ١٨٩.

(٥) أشونة (Usona) حصن من نواحي إستجة؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الأول، ص ٢٠٢.

(٦) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٥٠١، ٥٠٢.

(٧) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، **كتاب البلدان**، (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩١م)، ص ٣٥٥.

(٨) ابن حزم، **المصدر السابق**، ص ٥٠٠، ٥٠١.

ومن فروع مصمودة، بنو دانس بن عوسجة، وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس[1].

وقد تواجد قوم من مصمودة في مدينة قُوْرية[2]، لكنهم أرغموا على الجلاء عن هذه المنطقة بعد أن غلبهم النصارى عليها، فاتجهوا إلى ماردة واستقروا بها[3].

ومن عشائر مصمودة، بنو سالم، وتنسب إليهم مدينة سالم[4]. أما بنو نبيه، وبنو أبي الأخطل، فقد استوطنوا شذونة[5].

٥- هوّارة: ومنهم بنو القمراطيّ في قرطبة، وبنو ذي النون في أُقليش[6] ووَبْذة[7]، وبنو رزين أمراء السهلة[8]، واشتهر منهم بنو الزجّالي الوزراء[9].

٦- مديونة: ومنهم بنو الخليع في تاكرّنا[10]، وبنو هذيل في شنت بريّة[11].

---

(١) قصر أبي دانس (Alcacer desal): مدينة في غرب الأندلس، بينها وبين شلب أربع مراحل، وهي مدينة حسنة متوسطة، تحيط بها أشجار الصنوبر. وهي خصيبة، كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحم؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٢) قورية (Coria) مدينة من نواحي ماردة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٤١٢.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٥٠٠، ٥٠١.

(٤) سالم: مدينة تتصل بأعمال باروشة. وكانت من أعظم المدن وأشرفها وأكثرها شجرًا وماء؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٧٢.

(٥) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٩٩.

(٦) أقليش (Uclés) مدينة من أعمال شنت برية، وهي محدثة بناها الفتح بن موسى بن ذي النون وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة ١٦٠هـ؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٥١.

(٧) وبذة: مدينة من أعمال شنت برية؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٣٥٩.

(٨) السهلة: قرية من قرطبة تعرف بالرملة. وهي كثيرة الأهل واسعة الخطة مثمرة الأرضين؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٩) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٥٠٠.

(١٠) تاكرّنا: هي كورة كبيرة ذات جبال حصينة، يخرج منها عدة أنهار. وفيها معقل رندة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٦، ٧.

(١١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٥٠٠.

٧- كتامة: ومنهم بنو مشرف في شقندة[١]، وبنو المهلب في إلبيرة[٢].

٨- مغيلة: ومنهم بنو إلياس الساكنين في شذونة[٣]، ويروى أن جدَّ بني إلياس قد أعان عبد الرحمن بن معاوية عندما دخل الأندلس، إذ تلقاه في عدد كثير من قومه فتضخم بهم جيشه[٤].

ومن مغيلة، بنو زروال، وكانوا أمراء في منطقة يقال لها، المنتانية[٥]، وقد سكن طليطلة أقوام من مغيلة واستقروا في منطقة ما تزال تحمل اسمهم Corral de Almaguer[٦]. ومن المحتمل أن جماعات تنتمي إلى قبيلة مغيلة قد سكنت في منطقة بطليوس في أماكن ظلت تحمل اسم هذه القبيلة إلى اليوم Maguilla[٧].

٩- نفزة: ومنهم بنو غزلون، الذين سكنوا في منطقة تدعى تيروال، ومنهم أيضًا بنو عميرة في شاطبة[٨]، وبنو بلَّال في مناطق الثغر، وكانوا أمراء في هذه الجهات[٩]. واستقرت جماعات من نفزة بالقرب من ماردة في قرية تحمل إلى الوقت الحاضر اسم نفزة[١٠].

---

(١) شقندة (Secunda) قرية بعدوة نهر قرطبة؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٥٠١، ٥٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩٩.

(٤) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٥٠، ٥١.

(٥) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٩٩، ٥٠٠.

(٦) عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص ٢٧٨.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

(٨) شاطبة (Jativa) مدينة كبيرة قديمة تقع في شرقي الأندلس. ويعمل فيها الكاغد الجيد ويحمل منها إلى سائر الأندلس؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٠٩، وهناك موقع في منطقة شاطبة ما يزال يعرف إلى الوقت الحاضر باسم (Nifzies) نسبة إلى قبيلة نفزة، انظر: عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٩) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٩٩.

(١٠) عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص ٢٧٩.

ويلاحظ أن الأكثرية من البربر آثروا الاستيطان في المناطق الجبلية من الأندلس، وقد اجتذبهم إليها تشابه الحياة فيها مع حياتهم السابقة في مناطق مراكش الجبلية التي تقوم على تربية الماشية والزراعة، وكذلك ما يتوافر في هذا النوع من الأرض من مزايا عسكرية. أما البقية منهم فقد شكلوا في المدن أقليات امتزجت بسرعة بباقي السكان[1].

ولقد استوطن البربر في الأندلس بجموع هائلة، تفوق مثيلتها لدى العرب، ويرجع سبب هذا التفوق العددي إلى عدة عوامل، منها:

قرب منازل البربر في شمال إفريقية من الأندلس، وتوافر الثروات الاقتصادية في الأندلس وتضاؤلها في المغرب، ثم إن سياسة استخدام البربر في الجيش الأندلسي، وهي السياسة التي اعتمدها عبد الرحمن بن معاوية؛ وسار عليها خلفاؤه من بعده، كانت كفيلة بدعم التفوق البشري للبربر، واستمرت هجرة البربر على هذا المنوال أجيالاً، بينما كانت هجرة العرب من منازلهم البعيدة في شبه الجزيرة العربية وفي الشام بطيئة محدودة[2].

ويشير المقري[3] إلى أن عبد الرحمن بن معاوية كان حريصًا على استقدام البربر من المغرب ليلحقهم في خدمته، فكان يغدق عليهم العطايا ويبالغ في الإحسان إليهم؛ ليرغبهم في ذلك. ويبدو أن عبد الرحمن كان مدفوعًا في هذا العمل تحت تأثير النصيحة التي تقدم بها إليه أحد أفراد أسرته الأموية، والتي تنص على ضرورة اصطناع البربر، واتخاذ العبيد للاستعانة بهم على العرب[4].

(١) برنارد لويس، **المرجع السابق**، ص ١٧٤؛ عبد الواحد ذنون طه، استقرار القبائل البربرية في الأندلس، مجلة أوراق، العدد الرابع، المعهد الأسباني العربي للثقافة، ١٩٨١م، ص ٣٦، ٤٨.

(٢) عنان، المرجع السابق، العصر الأول، القسم الأول، ص ٢٠٥، وانظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧١م)، ج١، ص ٧٩.

(٣) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٦، ٣٧.

(٤) ابن سعيد، علي بن موسى، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م)، ج١، ص ٦٠.

جـ: المسالمة والمولّدون:

لعل من المفيد جدًّا ونحن نتحدث عن هـذه الفئة من فئـات السكان في الأندلس، أن نـؤكد على عدم الخلط بيـن كل من مفهوم: المسالمـة، ومفهوم المولّـدين. فكلمة، المسـالمة والمولّـدون، لا تعني شيئًا واحـدًا؛ فالمسـالمة شيءٌ، والمولّدون شيءٌ آخر، إلا أنهما يرتبطـان ببعضهما ارتباطًا عضويًّا وثيقًا، يصعب معه التمييز بين كل منهما، أو الحديث عن أحدهما بمعزل عن الآخر.

ولقد حـرص المؤرخـون على التمييز بين الطـائفتين، فعندمـا تحدث ابن حيان[1] عن أخبـار سنـة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م ومـاجـرى فيهـا من اشتعـال الفتن بالأنـدلس بين عنـاصر السكان المختلفـة فيها، نجـده في ذلك يحدد مـواقف الفئات المختلفة بقوله:

«. . . وتحزبت المسـالمة مع المـولّدين، وتميّـزت إليهم نصارى الـذمة فصار جميعهم إلبًا على العرب قائمين بدعوة عمر بن حفصون».

إن كلمة المسـالمة، أو الأسـالمة، أو أسـالمة أهل الـذمة، تعني الـذين دخلـوا في الإسلام من الأسبـان[2]. أمـا كلمة المـولـدون فقد اضطـرب بعض المـؤرخين المحـدثين في ضبطهـا ضبطًـا دقيقًـا. فمن هـؤلاء من خلط بين المسالمة والمـولدين؛ فقرر أن المولـدين هم القوط والأسبان الذيـن أسلموا منذ الفتح، ودخلوا حظيرة المجتمع الإسلامي، وأنهم يعرفون أحيانًا بالمسالمة متى كان إسلامهـم حديثًا[3]. بينما يـرى آخرون أن المـولدين هم نتـاج التزاوج بين

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٥١.

(٢) عبد الـرحمن الحجي، **التاريخ الأندلسي**، الطبعة الثانيـة، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ص ١٦٣؛ وانظر أيضا:

Isidro de las Gagigas, **Los Mozarabes**, Madrid, 1947, t.1. P.89.

(٣) عنـان، المـرجع السابـق، العصر الأول - القسم الأول، ص ٢٠٦؛ جـورج كـولان، المرجع السابق، ص ٩٢.

رجال العرب أو البربر ونساء الأسبان[1]. ومنهم من يرى أن المولدين هم أبناء المسالمة، وأن المسالمة هم الذين دخلوا في الإسلام من الأسبان[2]. وعلى هذا فإن المولدين قد نشأوا في الإسلام ولم يعرفوا دينا غيره في المراحل الأولى من حياتهم.

والواقع أننا لانميل لا إلى هذا الرأي ولا إلى ذاك؛ فالمولّدون كلمة واسعة تشمل كل إنسان انحدر من أصول أسبانية، سواءً أكان ذلك من جهة الأب أو الأم أو كليهما معًا. وبعبارة أخرى فإن المولّدين هم أبناء الأسبان الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح وعرفوا بالمسالمة. كما أن المولّدين هم أيضًا نتاج التزاوج بين رجال العرب أو البربر ونساء الأسبان.

فمن الأمثلة الدالة على أن المولّدين هم أبناء الأسبان الذين دخلوا في الإسلام وعرفوا بالمسالمة، نذكر عمر بن حفصون، زعيم المولّدين في كورة ريّة. فقد كان جده جعفر عجميًا، لكنه أسلم وأصبح ضمن «المسالمة»، كما أصبح أولاده وأحفاده ضمن «المولدين».

وعندما نتمعن في نسب بكر بن يحيى[3]، زعيم المولّدين في شنت مرية، نطمئن إلى صحة ماذهبنا إليه، فهو ينحدر أيضًا من أصول أسبانية؛ إذ كان جده زدلف عجميًّا ثم اعتنق الإسلام، ومن ثم عُرف أولاده وأحفاده باسم المولّدين.

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ص ١١٩، ١٢٨؛ أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، الطبعة الخامسة، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت) ج٣، ص ٢.

(٢) عبد الرحمن الحجي، **المرجع السابق**، ص ١٦٣.

(٣) بكر بن يحيى بن بكر بن زدلف. كان جده أعجميًا، مولى لبكر بن نجاد الأوري. وكان بكر بن يحيى من المخالفين على الأمير عبد الله بن محمد في شنت مرية؛ ابن حيان، **المصدر السابق**، القسم الثالث، ص ١٥-١٦.

ومما يدل على أن المولّدين هم أيضًا نتاج التزاوج بين الفاتحين المسلمين ونساء الأسبان ماروي من أن عيسى بن مزاحم[1] تزوج من سارة القوطيةSarre La Gothe بنت المند بن غيطشة[2]، ونتج عن هذه الزيجة ظهور أسرة مولّدة عرفت ببني القوطية[3]. ثم تزوجت سارة القوطية بعد وفاة عيسى بن مزاحم سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م من رجل آخر اسمه، عمير بن سعيد[4]، وأثمر زواجهما عن ظهور عدد من الأسرات المولّدة الشهيرة أمثال بنو سيد وبنو حجاج وبنو مسلمة وبنو حجز الجُزْر[5].

والأمثلة على زواج المسلمين بالأسبانيات كثيرة، فقد تزوج عبد العزيز بن موسى[6] من إيخيلونا Egilona أرملة لذريق، وحذا حذوه كثير من رجال العرب

---

(١) عيسى بن مزاحم، مولى الخليفة هشام بن عبد الملك. تزوج سارة القوطية، فقدم معها الأندلس وقبض ضياعها من عمها أرطباس Ardabas، وولد له منها ولدان هما: إبراهيم وإسحاق. توفي سنة ١٣٨هـ؛ ابن القوطية، **المصدر السابق**، ص٣٢.

(٢) سارة بنت المند بن غيطشة، توفي أبوها المند بن غيطشة وترك ألف ضيعة في غرب الأندلس، فقبض عمها أرطباس ضيعَهم إلى ضياعه، فتوجهت سارة إلى الشام فأنهت خبرها إلى الخليفة هشام بن عبد الملك وتظلمت من عمها أرطباس. ويبدو أن الخليفة استمع لمظلمتها وأنصفها من عمها، فقد أنكحها من عيسى بن مزاحم الذي استخرج ضياعها من عمها أرطباس؛ **المصدر نفسه**، ص ٣١- ٣٢.

(٣) وإلى هذه الأسرة ينتمي المؤرخ الشهير ابن القوطية؛ **المصدر نفسه**، ص ٣٢.

(٤) عمير بن سعيد اللخمي، تزوج سارة القوطية بعد وفاة زوجها عيسى بن مزاحم سنة ١٣٨هـ، وقد تم له ذلك بوساطة ثعلبة بن عبيد الجذامي الذي نجح في انتزاع موافقة وتأييد الأمير عبد الرحمن بن معاوية لإتمام هذه الزيجة؛ المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٣٢.

(٦) عبد العزيز بن موسى بن نصير. استخلفه والده على الأندلس، وترك معه حبيب بن أبي عبدة ابن عقبة بن نافع وزيرًا له ومعينًا، وأقره والده في إشبيلية فاتخذها قاعدة لحكمه، وتزوج بعد خروج أبيه بأرملة لذريق. وثب الجند عليه فقتلوه لأشياء نقموها عليه، وذلك سنة ٩٧هـ، وقيل ٩٨هـ. انظر: مجهول المؤلف، **أخبار مجموعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، (القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٢٧-٢٨؛ ابن عذارى، أبو العباس أحمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج٢، ص٢٣- ٢٤.

أمثال زيـاد بن النابغـة التميمي[١] الـذي تزوج هـو الآخـر من إحدى الأميـرات القوطيات[٢].

لقد كان عـدد المسالمة والمولّـدين قليلاً في بداية التـاريخ الإسلامي في الأندلس، بالمقارنة مع أهل الذمة، ولكنه ابتدأ بالزيادة بالتدريج، وتنامت هذه الطبقة نتيجة لاعتناق أهل البلاد الاسـلام، وتأثرهم بمبادئه السمحة[٣]. كما أن كثـرة التـزاوج مـا بين العـرب والأسبـانيـات أو مـايضـارعهن من البـربـريـات والصقلبيات وغيرهن، كان سببًا في تضخم أعداد المولّدين.

ويـرى بعض المـؤرخين المحـدثين أن هـذه النسبـة الضخمـة لأعـداد المولّـدين في الأندلس أتاحـت لحكام الأندلس أن يتغلبـوا على مشكلة نقص المهاجرين من قدامى المسلمين[٤].

وقد تمركز المسـالمة والمولدون في الحواضر الكبـرى والمدن المهمة في شبه الجـزيرة الإيبيرية، مثل قـرطبة[٥] وإشبيلية التي استـوطنتها مجمـوعة من الأسرات المولّدة كبني سيد وبني حجاج وبني حجز الجرز[٦]، وكان هؤلاء على درجة كبيرة من الثراء[٧]. وتواجد المولدون في إلبيرة[٨] وجيان[٩] وريّة إذ تزعمت

---

(١) زياد بن النابغة التميمي، أحد وجوه العرب البارزين في الأندلس، وقد اضطلع بدور كبير في قتل عبـد العزيـز بن مـوسى، ولذا فقـد أوصى سليمـان بن عبد الملك عـامله على إفريقيـة باستدعاء زياد بن النابغة إلى المشرق وترك الأندلس. انظر: أخبار مجموعة، ص ٢٨-٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٣) عبد الواحـد ذنون طه، التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الـولاة ٩٥-١٣٨هـ، العدد ٣٢، السنة ١٣، مجلـة المؤرخ العربي، بغداد: الأمـانة العامـة لاتحاد المـؤرخين العرب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٨٦.

(٤) جورج كولان، المرجع السابق، ص ٩٢، ٩٣.

(٥) أحمد فكري، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٦) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٧) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٨٥.

(٨) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٦٠.

(٩) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٢٤.

أسرة بني حفصون جموع المولّدين في هذه المنطقة[1]. كما استوطن المولدون في لبلة[2] وفي مدن الثغر الأعلى: سرقسطة ووشقة[3] وماحولهما حيث تبرز هناك أسرة بني قسي الشهيرة التي استقلت بحكم هذه المناطق أواخر عصر الإمارة[4]. أما مدينة طليطلة فقد ضمت أكبر طائفة من المولّدين وقد انعكس ذلك على العلاقات بين طليطلة والإمارة الأموية، وتجلى في حركات المولّدين الثورية، المتعددة وميولهم الانفصالية عن قرطبة[5]. واستوطن المولدون أيضا في باجة[6] وبطليوس[7] وماردة[8] وشنت مرية حيث تبرز أسرة بني زدلف[9].

ويلاحظ أن المولّدين كانوا ـ بالإضافة إلى العرب ـ هم العنصر الغالب في المدن الكبرى، إذ امتازت هاتان الفئتان بسكنى هذه المدن، ولهذا لانعجب كثيرًا إذا رأينا أن معظم الثورات الداخلية في البلاد، وخصوصا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، كانت تنشب بين العرب والمولّدين، وما ذاك إلا لقربهما من بعض، وتنافسهما على نيل الامتيازات والمصالح الذاتية.

ويظهر أن النظرة الشعوبية قد سادت في النزاع العربي - المولّدي، فأخذ كل فريق ينتقص الفريق الآخر، ويحصي عليه مثالبه. وشارك العلماء في

---

(١) ابن القوطية، **المصدر السابق**، ص ١٠٩- ١١٠.

(٢) ابن حيان، **المصدر السابق**، القسم الثالث، ص ٦٦-٦٧.

(٣) وشقة (Huesca) مدينة حسنة، متحضرة، ذات متاجر، وأسواق، وهي حصينة، ولها سوران من حجر؛ الحميري المصدر السابق، ص ٦١٢.

(٤) ابن القوطية، **المصدر السابق**، ص ٧٤- ٧٥.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، ص ١٢٩.

(٦) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٦- ١١٧.

(٧) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، **جغرافية الأندلس وأوربا**، من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن الحجي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م)، ص ١٢١- ١٢٢.

(٨) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٦٣.

(٩) **المصدر نفسه**، القسم الثالث، ص ١٥-١٦.

تأجيج الصراع بينهما، فنقرأ أن الفقيه محمد بن سليمان المعافري[1]، ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م كان شديد العصبية للمولّدين[2]، كما عُرف عن الفقيه ابن السندي[3]، ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٧م كراهيته الشديدة للعرب وتعصبه لقومه من المولّدين[4]. ومن المحتمل أن اعتزاز هذين الفقيهين بجنسيهما لقي استجابة مماثلة لدى بعض نظرائهما من العرب، فقد كان محمد بن عبد السلام الخشني[5] موصوفًا بتعصبه للعرب[6]، ويبدو أن هذا الشعور المتزايد بالعصبية، خصوصا لدى العلماء من الناس، كان له بعض مايبرره في ذلك الوقت - أواخر عصر الإمارة - والذي شهد تمزقًا في أوصال الأندلس، ووهنًا في أداء الحكومة التي عجزت عن حماية الأرواح والممتلكات، فلم يكن أمام هؤلاء سوى الالتجاء إلى عرقياتهم التي انبثقوا منها وأن ينافحوا عنها.

وإذن فقد انتقل النزاع بين الطرفين؛ العرب والمولّدين، إلى ميدان المواجهة المسلحة. فعلى سبيل المثال كانت مدينة إشبيلية مسرحًا عامًّا للصراع الضاري بين العرب والمولّدين وذلك في عهد الأمير عبد الله بن محمد[7].

---

(١) محمد بن سليمان بن محمد بن تليد المعافري. من أهل وشقة، يكنى، أبا عبد الله. وكان مفتي أهل موضعه، وإليه كانت الرحلة في وقته. وكان رجلاً صالحـًا، وولي قضاء وشقة. انظر: ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٦٥٨- ٦٥٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ج ٢، ص ٦٥٨.

(٣) عبد الله بن الحسن المعروف بابن السندي، من أهل وشقة، يكنى: أبا محمد. استقضاه الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد على وشقه وما والاها؛ **المصدر نفسه**، ج١، ص ٣٩٢- ٣٩٣.

(٤) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٣٩٣.

(٥) محمد بن عبد السلام الخشني، من أهل كورة جيان، وانتقل إلى قرطبة فسكنها إلى أن توفي بها. وكان فصيح اللسان بصيرًا بكلام العرب. له تأليف في شرح الحديث. انظر: الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص ٢٦٨.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٢٦٨.

(٧) ابن حيان، **المصدر نفسه**، القسم الثالث، ص ١٥- ١٦.

وفي كورة إلبيـرة اشتد الصراع بين العـرب والمولّدين وسقط عـدد كبير من القتلى من الجـانبين، فيـروى أن سـوار بـن حمـدون، زعيم العـرب فـي هـذه المنطقة، قتل من المـولّدين مايقـرب من اثني عشر ألف قتيل[١]، بل إن سوارًا نفسـه ذهب ضحية تلك الحـروب كما ذهب من قبلـه الزعيم العـربي يحيى بن صقالة[٢].

ثم تأتي بعد ذلك ثورة عمـر بن حفصون في كورة ريّة[٣]، تجسيدًا حقيقيًا لمشاعـر الكره والعـداء التي يكنها المولـدون تجاه العـرب، بل الوجـود العربي عمـومًـا. ولعل مبعث هـذا الشعــور العـدائي تجـاه العـرب هـو نمـو الشعـور بالعصبيات العـرقية، أو أنه جاء ردًّ فعلٍ لاعتزاز العرب الشـديد بأصولهم؛ إذ لم تكن الأوضاع الاقتصـادية والاجتماعية لجمهـور المولّدين على درجـة كبيرة من السوء والشقـاء، بل إن قسمًا منهم كان يتقلب في النعيم والترف المـادي، كما هي الحال مع المولّدين في إشبيليه، فقـد كانوا: «أغلظ أهلها شوكة، وأوسعهم نعمة، وأعزهم جانبًا»[٤]. ولـذا فإنهم لم يفكروا في الثـورة ضـد أمراء بني أميـة الذين كانت تربطهم بهم علاقات وطيدة[٥].

ويلاحظ أن المولّـدين ركزوا جهودهم في هذا الصـراع على إخراج العرب من المـدن التي يساكنـوهم فيهـا إمـا بالتشـريـد أو القتل. فيروى أن سعيـد بن مالك[٦] عندما سيطر على مـدينة باجة أخرج أهلها من العرب عنهـا وقام بدعوة

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٤٨ - ١٥٠.

(٢) يحيى بن صقالة القيسي، قـام بدعوة العرب في نـاحية البراجلة من كورة إلبيـرة في أيام الأمير عبد اللـه بن محمد. بنى حصن منت شاقـر وتجمعت إليه العرب فيـه؛ ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٥٥، ٦١.

(٣) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ١٠٩، ١١٠.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٨٥.

(٥) Dozy, **Histoire des Musulmans, d'Espagne**, Leiden, 1932, t.I I, P.40.

(٦) سعيد بن مالك، أحد زعماء المولدين الأقوياء في عهد الأمير عبد الله بن محمد، سيطر على مدينة باجة وانفرد بحكمها، وتطلع إلى زعامة المولدين في الأندلس، فدخل في منافسة قوية مع عبـد الله بن محمـد بن عبـد الرحمن بن مـروان الجليقي صـاحب بطليوس. انظـر: ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٦- ١١٧.

المولّدين[١]. كما نفّذ المولدون في سرقسطة بقيادة زعيمهم لب بن موسى[٢] مذبحة شنيعة في حق العرب وذلك في سنة ٢٦٠هـ/ ٧٧٥م، فقد أخرجوهم من المدينة إلى مكان يدعى «بقيرة» فقتلوا عن آخرهم في ذلك المكان الذي عرف فيما بعد باسم مرج العرب[٣].

لقد كره المولّدون الانضواء تحت سلطان العرب السياسي بما في ذلك الإمارة الأموية، فسعوا إلى تكوين إمارات مستقلة وتآمروا على وحدة البلاد، فعقدوا تحالفات واسعة مع عدد من ملوك الدول النصرانية المجاورة. فقد عقد عبد الرحمن بن مروان، زعيم المولّدين في غرب الأندلس، حلفًا مع أذفونش بن أردون Alfonso Ordono ملك جليقية، ومن أجل ذلك عرف ابن مروان بالجليقي[٤]. كما تحالف عمر بن حفصون مع ألفونسو الثالث Alfonso III ملك ليون[٥]. أما المولّدون في طليطلة فقد استعانوا بملك جليقية وأشتوريش، أردون بن رذمير Ordono Ramiro، في مواجهة جيوش الإمارة الأموية في معركة وادي سليط Guazalete سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٣م[٦].

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٦- ١١٧.

(٢) لب بن موسى بن موسى بن فرتون بن قسي، من أسرة بني قسي المولّدة الشهيرة في الثغر الأعلى. ملك الثغر بعد أبيه. انظر: ابن حزم، المصدر السابق، ص ٥٠٢.

(٣) العذري، المصدر السابق، ص ٣١.

(٤) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م)، المجلد الرابع، القسم الأول، ص ٢٨٨. أما ابن مروان الجليقي فهو عبد الرحمن بن مروان بن يونس الماردي. أصله من مولدي الغرب، وكان في جملة الحشم في ديوان السلطان. ثار في سنة ٢٦١هـ أواخر أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن وخرج إلى قلعة الحنش. وهو الذي بنى مدينة بطليوس في عهد الأمير عبد الله بن محمد. انظر: ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٤٣- ٣٤٤ وأيضا: القسم الثالث، ص ١٥.

(٥) Bernhard and Ellen M. Whishaw, **Arabic Spain**, London, 1912, P.86.

(٦) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ٩٤.

وتطالعنا الروايات التاريخية المتفرقة بأخبار عدد من كبار موظفي الدولة في هذه الفترة، ممن ينحدرون من أصل مولدي أو من المسالمة؛ فقد تقلد هؤلاء وظائف جيدة ومنحهم أمراء بني أمية ثقة كبيرة، فمنهم على سبيل المثال، أيوب بن عبد ربه[1]، وهو من المسالمة، وقد رشحه الأمير الحكم بن هشام لمنصب القضاء في إشبيلية ونواحيها، وتم تعيينه سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م[2]. ويروى أيضًا أن الأمير الحكم بن هشام استعمل على مدينة وشقة رجلاً من المولّدين يقال له، عمروس بن يوسف[3]، ثم نقله إلى طليطلة وكتب له بولايتها، ووضع ثقته الكاملة في هذا الرجل، ليعينه على إخماد روح الثورة المتأججة في نفوس المولّدين من أهل طليطلة[4].

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا الصدد، نصر الفتى[5]، وهو من كبار موظفي الدولة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وكذلك والده المعروف بأبي الشمول[6]، وهو من المسالمة الذين نالوا وجاهة ومركزًا اجتماعيا مرموقًا،

(١) أيوب بن عبد ربه: من مسالمة الذمة، وأصله من جهات سرقسطة، استقضاه الأمير الحكم ابن هشام على إشبيلية ونواحيها سنة ١٨٢هـ، وجعل إليه الصلاة. انظر: ابن الأبار، أبا عبد الله محمد بن عبد الله، **التكملة لكتاب الصلة**، نشره وصححه عزت العطار الحسيني، (القاهرة - بغداد: مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، ج١، ص ١٩٨.

(٢) **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٩٨.

(٣) كان عمروس بن يوسف في خدمة مطروح بن سليمان الأعرابي، لكنه قتل مطروحًا في سرقسطة. ولما قدم قرطبة ولاه الأمير الحكم طلبيرة ثم طليطلة. توفي سنة ١٩٨هـ؛ العذري، **المصدر السابق**، ص٢٨.

(٤) ابن خلدون، **المصدر السابق**، المجلد الرابع، القسم الأول، ص ٢٧٥.

(٥) نصر الفتى: أبو الفتح، نصر الخصي، المقرب من الأمير عبد الرحمن بن الحكم، المقدم على جميع خاصته، المدبر لأمر داره، المشارك لأكابر وزرائه. كانت وفاته سنة ٢٣٦هـ؛ ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ٨.

(٦) أبو الشمول: هو والد نصر الخصي. وكان من أسالمة قرمونة. انظر: ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد، **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، المجلد ١٣، ج٢، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٧٣.

واستطاع أن يحقق بواسطة ابنه نصر، نفوذًا كبيرًا[١]. ولم يكن شيئًا غريبًا أن يطرق المولدون مناصب الوزارة في دولة بني أمية، فلقد كان من جملة وزراء الأمير عبد الله بن محمد، رجل من المولّدين يقال له أصبغ بن عيسى بن فطيس[٢]، وكانت ثقة الأمير فيه كبيرة، إذ كلفه بمهمة تسوية النزاع الدائر في إشبيلية بين العرب وبين كل من الموالي والمولّدين[٣].

لقد اندمج المسالمة والمولدون في المجتمع الإسلامي خلال فترة قصيرة، واجتهدوا في الاستعراب الكامل السريع، وأظهروا إخلاصًا عظيمًا صادقًا للإسلام[٤]. ومع ذلك، فإن بعض المسالمة، - فيما يبدو - لم يكن يتقن التخاطب بالعربية، ويعلّق أحد الباحثين حول هذا الموضوع، فيذكر أنه في القرون الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي للأندلس، وجد أناس ممن اعتنقوا الإسلام يجهلون العربية جهلاً تامًّا[٥]، ويتأكد لنا ذلك إذا علمنا أن أبا الشمول، والد نصر الفتى، السالف الذكر، كان أعجمي اللسان، لايحسن الحديث بالعربية[٦].

د - الموالي:

تكونت طبقة الموالي من عناصر عرقية مختلفة اجتمعت فيما بينها تحت رابطة الولاء، وهي رابطة قوية بين التابع والمتبوع، أو المولى وسيده لا انفصام

---

(١) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٥.

(٢) أصبغ بن عيسى بن فطيس: من وزراء الأمير عبد الله بن محمد، وأحد قواده العسكريين، بعثه الأمير عبد الله على رأس حملة عسكرية بالاشتراك مع جعد بن عبد الغافر لإخضاع ثورة المولدين في إشبيلية ؛ العذري، **المصدر السابق**، ص ١٠٢.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ١٠٢.

(٤) ج. س. كولان، **المرجع السابق**، ص ٩٢.

(٥) جون براند ترند، أسبانيا والبرتغال، **ضمن مجموعة تراث الإسلام**، ترجمة جرجيس فتح الله، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٢م)، ص ٢٥.

(٦) الخشني، محمد بن حارث، **قضاة قرطبة**، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، ص ٦٤.

لها[1]. وبمرور الأيـام ازدادت الروابط فيما بين أفـرادها وترسخت أكثـر، فبدأت هذه الفئـة تحس بقيمتها إحسـاسًا قـويًا، وتشعـر بشخصيتها المميـزة، وتفكر لخدمة مصالحها.

وقد دخل عدد كبيـر من موالي بني أمية الأندلس في طـالعة بلج بن بشر، إذ كـان جيشه يتألف من ألفي مـولى وثمـانية آلاف من العـرب[2]. ومنـذ ذلك الحين أصبحوا يؤلِّفون حزبًا مهمًّا وقوة سياسية لها وزنها[3].

ويـرجع أصل المـوالي في الأنـدلس إلى أصـول متعـددة؛ منهـا أصل بيزنطي، وإليه يرجع أصل الموالي الذين اعتنقوا الإسلام في المشرق، ثم رافقوا الشاميين الذين جاءوا إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري[4]، ويطلق على هؤلاء اسم، الموالي الشاميين.

أما الأصل الثاني للمـوالي فيرجع إلى شمال إفريقيا حيث كانـوا من البربر المواليـن للعرب الذيـن اعتنقوا الإسلام، ورافقـوا العرب إلى الأنـدلس، ودخل هؤلاء مع المستقرين الأوائل، فأطلق عليهم اسم الموالي البلديين.

---

(١) رينهـارت دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، ترجمـة حسن حبشي، (القاهـرة: دار المعارف، د. ت)، ج١، ص ١٨٩.

(٢) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس مـن الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٧١١- ٧٥٦م، الطبعة الأولى، (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م)، ص ٣٩٧.

(٤) أحـد القادة العسكـريين الذيـن بعثهم هشام بن عبـد الملك لإخمـاد ثورة البـربر في شمـال إفريقيا. وقد عيّنه الخليفة هشام نائبًا لعمه كلثوم بن عياض القيسي الذي تقلد ولاية إفريقية. وبعد مقتل كلثوم بن عيـاض في الحرب التي دارت بينه وبين البربر؛ تـولى الأمر من بعده ابن أخيـه بلج بن بشر الـذي اعتصم هـو ومن معـه من فلول الجيش الأمـوي المنهـزم في مدينـة طنجة، ومن هذه المـدينة كتب بلج بن بشر إلى والي الأندلس حينـذاك عبد الملك بن قطن الفهري يسأله العـون والنصرة، ولما لم يستجب والي الأندلس لنداءات بلج بن بشـر قرر هذا الأخير العبور إلى الأندلس والتقى بجيوش عبد الملك بن قطن في معركة دارت بينهما بالقرب من الجزيرة الخضراء هزم فيها والي الأنـدلس وانتهى به الأمر فيما بعد إلى مقتله، ودخل بلج ابن بشر قرطبة ظافرًا منصورًا. انظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٤٠-٤٢.

ويرى بعض الباحثين[1] أن البربر الذين دخلوا في ولاء بني أمية كانوا أقرب إلى إخوتهم في الولاء منهم إلى بني عمومتهم من البربر، مما يدل على أنهم كانوا يعتبرون رابطة الولاء الجديدة أقوى من رابطة العصبية الأولى.

أما الأصل الثالث للموالي، فيعود إلى أصول محلية اسبانية، فقد لحق بعض القوط في أثناء الفتح بالشام، مثل قسي[2]، قومس الثغر الذي أسلم على يد الوليد بن عبد الملك، فأصبح ينتمي بولائه إليه، واستمر أبناؤه في هذا الولاء للأمويين في الأندلس[3].

ويبدو أن فئة الموالي كانت في بداية أمرها قليلة العدد، إذا ماقورنت بغيرها من فئات السكان، لكنها أخذت في الزيادة باستمرار طوال عصر الإمارة وماتلاه من العصور. ولعل طبيعة تكوين هذه الفئة يسمح لها بالازديار المطرد؛ إذ هي مرهونة بتجارة العبيد واقتناء الرقيق من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن المركز الاجتماعي المرموق للموالي قد أغرى بعضـًا من عناصر السكان الأخرى، وخصوصا المولّدين، على الانضمام إلى فئة الموالي، كما سيرد معنا إيضاح ذلك فيما بعد.

ومن جهة ثالثة، فإن الأمويين قد دأبوا على اصطناع الرجال والإنعام عليهم بالولاء كشارة من شارات الإعزاز والتقدير، ويطلق على هؤلاء (موالي النعمة)[4]. ومن الأمثلة على ذلك ماذكره ابن الفرضي عن أحد علماء الأندلس

---

(١) حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص ٣٩٨.

(٢) قسي: كان قسي هذا قومس الثغر في أيام القوط، فلما افتتح المسلمون الأندلس لحق بالشام وأسلم على يد الوليد بن عبد الملك، فكان ينتمي إلى ولائه. انظر: ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٥٠٢.

(٣) عبد الواحد ذنون طه، **المرجع السابق**، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٤) موالي النعمة هم موالي العتاقة مع اختلاف يسير، هو أن مولى النعمة لا ينبغي أن يكون رقيقًا ثم أعتق، بل قد ينعم عليه بالولاء كشارة من شارات الإعزاز والتقدير. انظر: حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص ٤٠٥، ولقد حرص ابن الفرضي على التمييز بين موالي النعمة وموالي العتاقة، فأشار إلى بعض علماء الأندلس الذين يتمون إلى ولاء النعمة، كما أشار إلى آخرين منهم ينتمون إلى ولاء العتاقة ومثال ذلك سعدان بن إبراهيم ت ٣١٦هـ، مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية ولاء عتاقة. انظر: ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج١، ص ٣٢١.

وهو إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد[١]، إذ يقول إنه «مولى نعمة لبني أمية»[٢]. كما أشار إلى أن خلف بن سليمان بن عمرون البزاز[٣]، كان «مولى إنعام لبني أمية»[٤].

وبالإضافة إلى ذلك فإن ولاء الإسبان، كقسي قومس الثغر، يعتبر من نوع موالي النعمة. فقد دخل هؤلاء في الولاء التماسًا للحماية أو شرف المنزلة[٥].

فلقد كان أمراء قرطبة يوجِّهون في طلب الرقيق واقتنائهم حيثما وجدوا، وعندما يعتق هؤلاء الرقيق يصبحون في عداد الموالي، فيندرجون تحت فئة، موالي الخلفاء، وهذه التسمية تميزهم عن غيرهم من الموالي[٦].

ولم يكن اقتناء الرقيق مقصورًا فقط على الأمراء، بل كان المجال مفتوحًا لكل من يملك القدرة على شراء الرقيق من وجهاء المجتمع وأعيانه وغيرهم، وقد يعتق هؤلاء الرقيق فيصبحون موالي لأسيادهم، وبذلك فإن الفرصة متاحة لمضاعفة أعداد الموالي.

---

(١) إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد. من أهل قرطبة، يكنى: أبابكر. سمع من بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني ومحمد بن وضاح وغيرهم. طال عمره إلى أن سمع بعض الناس منه وتسهلوا فيه، وولي أحكام السوق فحمد أمره فيها. توفي رحمه الله سنة ٣٥١هـ. انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٣.

(٣) خلف بن سليمان بن عمرون البزاز. أصله صنهاجي من أهل إستجة، سكن قرطبة، يكنى: أبا القاسم. كان نحويًّا لغويًّا شاعرًا، وولي قضاء شذونة والجزيرة. توفي - رحمه الله - سنة ٣٧٨هـ. انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٤٩.

(٥) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٤٠٧.

(٦) أحمد فكري، المرجع السابق، ص ٢٤٩. ويذكر ابن حيان أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم أنكر على موالي الخلفاء تسميهم بأسماء عربية ونهاهم عن ذلك؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٥٠.

ويذكر المقري[1] أن أعداد موالي بني أمية في الأندلس، تتراوح مابين الأربعمائة والخمسمائة، وذلك قبيل بدء عصر الإمارة بقليل. وربما كان المقري يقصد بالتحديد موالي بني أمية القادمين من المشرق، دون أولئك الذين دخلوا فيما بعد في ولاء بني أمية من البربر والإسبان وغيرهم، أو أنه كان يقصد عدد بيوتات الموالي أو أسرهم، ويبدو هذا هو الأقرب للصواب. إذ لايمكن أن يكون هذا الرقم لأعداد الموالي المروانية شاملاً جميع من كان بالأندلس منهم في هذا الوقت، وإلا لما فكر عبد الرحمن بن معاوية في الاستعانة بهم في إقامة دولته. ثم إن المؤرخ ابن القوطية[2] يذكر أن بني الخليع، موالي يزيد بن عبد الملك في تاكرنّا، عندما سمعوا بدخول عبد الرحمن بن معاوية أرض الأندلس، أيدوا دعوته، «فأتوه في أربع ماية فارس».

فها هم بنو الخليع بمفردهم استطاعوا أن يتجهزوا بأربعمائة فارس، وربما كانت أعدادهم تفوق ذلك.

ولقد استوطن الموالي في جهات متفرقة من أنحاء الأندلس، وكانوا كثيرين في قرطبة خصوصا، وهذا ماشجع الأمير عبد الرحمن بن معاوية على المسير إلى قرطبة بسرعة قبل أن يصلها خصمه، يوسف الفهري، وذلك في مهمته الكبرى لإنشاء الدولة الأموية، فقد سمع عبد الرحمن أن قرطبة تزخر بموالي بني أمية ممن يؤيدونه[3]. ثم إن نجاح عبد الرحمن في إنشاء دولته، قد شجع عددًا كبيرًا من موالي بني أمية وغيرهم من أفراد البيت الأموي المبعثرين في شتى المناطق الإسلامية على الهجرة إلى الأندلس، والاستقرار في قرطبة خصوصا، ويؤيد ذلك مايقوله صاحب أخبار مجموعة[4]، في هذا النص:

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٩.

(٢) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٥٠، ٥١.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٨٩.

(٤) أخبار مجموعة، ص ٨٧.

«. . . وتتابع ناس من بني أمية ومواليهم، وكثروا وكانت بقرطبة بيوتات من موالي بني هاشم وبني فهر وقبائل قريش وغيرهم».

واستوطن عدد كبير من الموالي في كورة إلبيرة، ويذكر الحميري[١]، أن الأمير عبد الرحمن بن معاوية قام بإسكان مواليه في هذه المنطقة، ثم خالطهم العرب بعد ذلك. ولقد نجح الموالي في تكوين إمارة مستقلة لهم في كورة إلبيرة، مستفيدين من جموعهم الكثيفة في هذه المنطقة، وذلك بعد اضطراب حبل الأمن في الأندلس، وانتشار الفتن في معظم جهاتها، في عهد الأمير عبد الله بن محمد[٢]، واستوطن قسم من الموالي في إشبيلية، ويذكر أنهم ثاروا على ساداتهم سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م وكانت الدائرة عليهم[٣]. كما دخلوا في نزاع مسلح مع العرب في سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م[٤].

واستوطن الموالي أيضًا في جهات من كورة مورور، ووقع نزاع بينهم وبين العرب في هذه المنطقة، وذلك أواخر عهد الأمير الحكم بن هشام[٥].

واستقر قوم من الموالي في مدينة ريّة، فكان منهم جماعة يعرفون ببني السِّقاء، لهم ولاء وشرف، وهم من موالي عبد الملك بن مروان[٦].

لقد كانت الأحوال العامة للموالي بأصولهم المتعددة جيدة، وكان لهم نفوذ عظيم بين بقية المستقرين في الأندلس، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة الظروف التي مرت على العرب في هذه البلاد خلال عصر الولاة ٩٥-١٣٨هـ/ ٧١٣- ٧٥٥م، ، وانشغالهم بالنزاع فيما بينهم مما سمح للموالي بتكوين مركز اجتماعي ممتاز، والاندماج في كتلة واحدة يسعى إلى كسب

---

(١) الحميري، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٣٢.

(٣) العذري، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٤) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٥.

(٥) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٨٨، ٨٩.

(٦) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠.

تأييدها كل الأطراف في الأندلس[١]. وبلغ من خطورة هؤلاء الموالي في أواخر عصر الولاة، أن كان بعض أمراء الأندلس، ولاسيما، يوسف بن عبد الرحمن الفهري، يسميهم بـ" موالينا "[٢] ويَعدُّهم من أتباعه ويتودد إليهم.

ويشير المقري[٣] إلى خطورة الموالي في هذه الفترة، وتعاظم مكانتهم، فيصفهم بأن: «لهم جمرة» في الأندلس.

وقد أدرك عبد الرحمن بن معاوية أهمية هذه المكانة للموالي وقدرتهم على إحداث التغيير السياسي في الأندلس، فلجأ إليهم ينشد مساعدتهم له وتأييدهم لقضيته.

وقد أبدى الموالي استعدادًا كبيرًا في تحويل الحكم في الأندلس إلى عبد الرحمن بن معاوية؛ ففي ذلك إنقاذ لهم من فوضى العصبيات في الأندلس[٤].

إن الحالة الاجتماعية الجيدة للموالي[٥] قد شجعت العديد من عناصر السكان، وخصوصا المولّدين، على الانضمام إلى فئة الموالي. فمن ذلك مثلاً أن عمر بن حفصون، زعيم المولّدين الثائر على الإمارة الأموية، قد اشترط لنفسه شروطًا مقابل استسلامه للأمير المنذر بن محمد ٢٧٤- ٢٧٥هـ/ ٨٨٧-٨٨٨م، وكان من بين هذه الشروط أنه طلب من الأمير المنذر أن يلحق أولاده في الموالي، فأجابه الأمير إلى ذلك[٦]. وإن كان ابن حفصون مخادعًا ومناورًا

(١) حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص ٤٠١؛ عبد الواحد ذنون طه، **المرجع السابق**، ص ١٨٦.

(٢) أخبار مجموعة، ص ٦٩؛ ابن القوطية، **المصدر السابق**، ص ٤٦.

(٣) المقري، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٢٩.

(٤) حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص ٤٠١.

(٥) لقد تبوأ الموالي مركزًا اجتماعيًا ومعنويًا كبيرًا لا يقل بحال عن العرب، وكان ذلك قبيل عصر الإمارة، أما بعد قيام الدولة الأموية في الأندلس فقد تعاظمت المكانة الاجتماعية للموالي.

(٦) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق محمد سعيد العريان، (دار الفكر، د.ت)، المجلد الثالث، ج٥، ص ٢٢١.

في هذه الشروط، ولم يلتزم بما عاهد عليه، إلا أن إشارة مثل هذا الشرط ينهض دليلاً على مدى التفوق الاقتصادي والاجتماعي، الذي وصل إليه الموالي.

ويبدو أن نفوذ الموالي قد ازداد وتضخم في عهد الأمير عبد الله بن محمد، فقد عدَّ المؤرخ ابن حيان[1] أن من الغرائب في أيام الأمير عبد الله «أن اجتمع في بيت الوزارة في أيامه أربعة رجال من وزرائه، أقارب من بيت واحد من صميم الموالي».

وعلى الرغم من أن الموالي تقلدوا مناصب عديدة، ووظائف كبرى في الدولة، إلا أن العرب قد عزَّ عليهم كثيرًا أن يقتحم الموالي مجال القضاء أيضًا. فيروى أن الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م، عندما عيَّن عمرًا بن عبد الله[2]، وهو من الموالي الأموية، في منصب قضاء الجماعة بقرطبة؛ قابل العربُ هذا الإجراء بالسخط والامتعاض الشديد، وبخاصة وأن هذا الرجل كان أول من ولي قضاء الجماعة من الموالي[3].

ويبدو أن الموالي الشاميين كانوا أرفع شأنًا، عند أمراء بني أمية، من نظرائهم من الموالي البلديين، وغيرهم من الموالي. فقد كان الأمير عبد الرحمن ابن الحكم، يؤثر الموالي الشاميين ويقربهم إليه. واتبع ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن سياسة والده في هذا المضمار. فيروى أنه وضع نظامًا للجلوس في حضرته، يقضي برفع الموالي الشاميين على الموالي البلديين. وسار ابنه الأمير عبد الله بن محمد أيضًا على هذه السياسة، والتزم بالتنظيم الذي وضعه والده الأمير محمد الخاص برفع الموالي الشاميين على البلديين. بل إنه قال شعرًا في

(١) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٥، ٦.

(٢) عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة. مولى عبد الرحمن بن معاوية. كان صنيعة للأمير محمد ابن عبد الرحمن قبل أن يلي الإمارة. وكان الأمير محمد عارفًا بفضله وعقله وأدبه، فقدمه على تجربة، وولاه عن خبرة، وقلده قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٢٥٠هـ؛ الخشني، المصدر السابق، ص ٦٧، ٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٧.

ذلك يوضح موقفه عندما تنازع رجلان من حاشيته، أحدهما من الموالي الشاميين، والآخر من الموالي البلديين، وأراد كل منهما أن يكون مجلسه فوق الآخر. فقال الأمير عبد الله في ذلك:

موالي قريش من قريش فقدِّموا ... موالي قريش لا موالي معتب
إذا كان مولانا يساوم عندنا ... سواه فمولانا كآخر أجنبي(١)

هـ - الصقالبة:

ينبغي لنا ونحن نتحدث عن هذه الفئة التي غدت عنصرًا مهمًّا من عناصر السكان في الأندلس، أن نتعرف مدلول كلمة الصقالبة، وما الذي تعنيه تاريخيًّا. فقد أشار ابن حوقل(٢) إلى أن الصقالبة قبيلة من ولد يافث. واستقر في أذهان الأندلسيين إلى فترة طويلة أن هذه التسمية، الصقالبة، إنما تعني قبيلة من قبائل الروم(٣). ويعتقد فريق من المؤرخين

---

(١) ابن الأبَّار، **الحلة السيراء**، ج١، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، **صورة الأرض**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م)، ص١٠٦.

(٣) كان ابن هشام اللخمي، ت: ٥٧٧هـ، ينتقد العامة في عصره لأنهم توسعوا في استعمال كلمة الصقالبة فأطلقوها على الخصي، أبيض كان أو أسود، وبيَّن أن الصقالبة هم قبيلة من الروم، واحدهم صقلبي، خصيًّا كان أو فحلاً. ولايقال للأسود صقلبي؛ لأن الصقالبة كثر الخصاء فيهم فنسب غيرهم إليهم. انظر: ابن هشام اللخمي، أبا عبد الله محمد بن أحمد، **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة**، نشرها عبد العزيز الأهواني، (القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، بجامعة الدول العربية، المجلد الثالث، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، ج١، ص٢٩٥.

المحدثين[١] أن كلمة صقالبة (esclave) ، ذات أصول فرنسية قديمة وتأتي بمعنى عبدٍ أو رقيق. وهذه التسمية أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة؛ لأن بعض الجرمان والسكنداويين دأبوا على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى المسلمين في الأندلس، ولذا أطلق العرب عليهم اسم، الصقالبة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم، فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أيّةِ أُمة مسيحية واستخدموهم في القصر أو في الجيش.

وعلى هذا فإن الصقالبة كانوا مزيجاً من الجلّيقيين والألمان والفرنسيين والإيطاليين وغيرهم من بلاد أوربا الوسطى والجنوبية.

وكانت عملية جلب الصقالبة إلى الأندلس تتم عن طريق التجارة أو عن طريق الحملات العسكرية التي كانت تأسر جموعاً منهم فتبيعهم إلى الأمراء والوجهاء وغيرهم من أبناء المجتمع. وقد اضطلع التجار اليهود بدور كبير في عملية جلب الصقالبة إلى الأندلس[٢]. وكان اليهود يُخْصُون هؤلاء الصقالبة قبل توريدهم إلى الأندلس[٣]، وذلك لاستخدامهم في رعاية شؤون الحريم دون

---

(١) انظر: أحمد مختار العبادي، **الصقالبة في إسبانيا**، (مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، ص ٨ -٩؛ ليفي بروفنسال، **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، ص ٨٥؛ عنان، **المرجع السابق**، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٤٥٠.

(٢) بروفنسال، **المرجع السابق**، ص ٨٥.

(٣) ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١٠٦. وانظر كذلك: المقدسي، شمس الدين أبا عبدالله محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، الطبعة الثانية، (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٦م)، ص٢٤٢.

خوف أو فتنة[1].

وقد وُضع نظام دقيق للأطفال الصقالبة الذين يؤتى بهم إلى الأندلس، يتم بموجبه تربيتهم تربية إسلامية، وتدريبهم على أعمال البطانة وشؤون القصر[2].

وينسب إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية، أنه أول من وضع سياسة اصطفاء العناصر غير العربية، فقد أشار صاحب أخبار مجموعة[3] إلى أن الأمير عبد الرحمن أوجد ما يسمى بعرافة السود، وأنه وضع يده في شراء المماليك، حتى صار في ديوانه جماعة منهم.

ثم توسع حفيده الأمير الحكم بن هشام في تطبيق هذه السياسة، فاستكثر من الصقالبة، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم، وبلغ عددهم خمسة آلاف[4].

وتكاثر الصقالبة بعد ذلك في الأندلس، حتى قدّر بعض المؤرخين المحدثين أن عدد الصقالبة في قرطبة وحدها يتجاوز الخمسة عشر ألفاً[5].

---

(١) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ٩؛ شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في أوربا، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت)، ص ١٣٤.

(٢) عنان، المرجع السابق، العصر الأول - القسم الأول، ص ٢٤٩.

(٣) أخبار مجموعة، ص ٩٩. ويذكر النويري أن الأمير عبد الرحمن بن معاوية مال إلى اقتناء العبيد عندما اتضح له غش العرب، بعد أن أوقع بهم في إشبيلية سنة ١٥٧هـ؛ النويري، المصدر السابق، ج٢٣، ص ٣٤٦.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، المجلد الرابع - القسم الأول، ص ٢٧٧.

(٥) بروفنسال، المرجع السابق، ص ٨٥.

ويبدو ذلك معقولاً إذا علمنا أن الطبيب الأندلسي، عمر بن بريق[1]، كان يمتلك ستة عشر صبيًا من الصقالبة[2].

ولقد كانت الأوضاع الاقتصادية لفئة الصقالبة على درجة جيدة، وربما كان ذلك بسبب التصاقهم الوثيق بوجهاء المجتمع وأعيانه، وقربهم من الأمراء الأمويين بحكم طبيعة عملهم. كما أن اعتناء الأندلسيين بمماليكهم من الصقالبة شارك كثيرًا في تقدم الحالة الاقتصادية والاجتماعية لهذه الفئة[3]، فظهر جيل من أبناء الصقالبة انقطعوا إلى طلب العلم حتى صاروا من مشاهير العلماء، ومن هؤلاء على سبيل المثال؛ معمر بن منصور[4].

وبلغ نفوذ الصقالبة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم مبلغًا عظيماً في البلاط، حتى إن بعضهم تمادى في استغلال الثقة الممنوحة له من أمراء بني أمية، فلجأ إلى اكتساب الأموال بالطرق غير المشروعة، وفي ذلك يذكر ابن حيان[5] في حوادث سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م؛ أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم قبض على اثنين من الصقالبة وسجنهما. ويبدو أنهما اختلسا مبالغ ضخمة من

---

(١) عمر بن بريق: كان طبيبًا نبيلاً قارئًا للقرآن. وكانت له رحلة إلى القيروان إلى أبي جعفر بن الجزار. وخدم بالطب الناصر لدين الله. انظر: ابن جلجل، سليمان بن حسان، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيد، الطبعة الثانية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ١٠٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٠٧.

(٣) آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م)، ص ٨.

(٤) معمر بن منصور، من علماء إفريقية، وكان والده منصور صقلبيًا مولىً لبعض الأندلسيين من إشبيلية. ولمعمر سماع كثير من ابن فروخ وأسد بن الفرات، وهو قريب من أسد في المولد وكان مسنًا؛ أبو العرب القيرواني، محمد بن أحمد بن تميم، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م)، ص ١٩٨.

(٥) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٧.

أموال الدولة، فكان ذلك سبب نكبتهما، إذ يشير ابن حيان في تعليقه على هذه الحادثة؛ أنه وُجِد لأحدهما ثمانية آلاف دينار. بل إن الأمير عبد الرحمن شاهد بنفسه ذات مرة رجلاً من صقالبته يسرق مبلغًا من المال العام، لكنه تغاضى عنه ولم يشأ أن يسترد المال منه[١].

ولم يقف نفوذ الصقالبة عند هذا الحدّ؛ بل كانت لهم آراؤهم السياسية في الأحداث الداخلية، فقد اضطلع الصقالبة بدور حاسم في ترشيح الأمير محمد بن عبد الرحمن، ليتولى الحكم بعد وفاة والده. وتمَّ لهم ذلك على النحو الذي أرادوا[٢].

وكان الأمير عبد الله بن محمد، يثق في فتاه الصقلبي، بدر الخصي، ويعرف فيه رجاحة عقله وأمانته، ولذا فقد خصص له مكانًا للشورى مع الوزراء[٣].

بقي أن نشير إلى أن هؤلاء الصقالبة، على الرغم من إسلامهم وإتقانهم العربية، إلا أنهم قد جلبوا معهم من بلادهم بعض التقاليد الثقافية والعادات الاجتماعية والفنون الشعبية، فقد تحدث الطرطوشي[٤] عن اختصاص الصقالبة بألوان من الألحان والرقصات الشعبية التي نسبت إليهم، مثل اللحن الصقلبي.

---

(١) ابن سعيد، **المصدر السابق**، ج١، ص ٤٦.

(٢) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٠٧- ١٠٨ وما بعدهما.

(٣) **المصدر نفسه**، نشره ملتشور أنطونية، ص ١٣١.

(٤) الطرطوشي، أبوبكر محمد بن الوليد، **الحوادث والبدع**، تحقيق محمد الطالبي، (تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٥٩م)، ص ٧٧- ٧٨.

ثانيًا – غير المسلمين (أهل الذمة)

أ ـ النصارى :

يُشكِّل النصارى نسبة كبيرة بين مجموع السكـان العام في الأندلس. وقد شمل استيطانهم أغلب مدن الأندلس وقراها أيضًا.

فقد تواجد عدد كبير من النصارى في قرطبة، وكان لهم فيها أساقفة، مما يدل على أن المسلمين أبقوا لهم حـريتهم الدينية(١). واستقطبت طليطلة نسبة كبيرة من النصارى، ويؤكد بروفنسال(٢) أن معظم أهل طليطلة لم يتخلوا قط عن عقيدة الروم الكاثوليك.

واستوطن قسم من النصـارى في برشلـونة(٣)، ويظهـر أن أعدادهـم بهـا كانـت كثيرة جدًّا، إذ لـم يماثلهم من النـاحية العـددية في هـذه المدينـة سوى اليهود(٤). وتواجد آخـرون منهم في غرناطة، وكانوا يمتهنـون فلاحة الأرض(٥). وتعتبر مدينة ماردة من المـدن المهمة التي استوطنها النصارى(٦)، كما أن قلعة ببشتر، معقل الثائر ابن حفصون، كانت تضـم عددًا كبيرًا منهم، وكان لهم فيها أسقفية(٧)، كما كان لهم نفوذ واسع في هـذه المنطقة، ولعلهم بذلك استطاعوا

---

(١) شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ١١٩– ١٢٠.

(٢) ليفي بروفنســال، مادة طليطلة، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس عشر، أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وزملاؤه، (بيروت: دار المعرفة)، د.ت، ص ٢٦٠.

(٣) برشلونة (Barcelona) مدينة على البحر. بينها وبين طركونة خمسون ميلاً. ولها ربض وعليها سور منيع؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٨٦، ٨٧.

(٤) البكري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٥) ابن الخطيب، لسـان الدين أبـو عبـدالله محمـد بن عبداللـه، الإحاطة في أخبـار غرناطة، تحقيق محمـد عبداللـه عنان، (القـاهرة: دار المعـارف، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، المجلـد الأول، ص ١١٢، ١١٣.

(٦) الحميري، المصدر السابق، ص ٥١٨، ٥١٩.

(٧) ابن حيـان، أبو مـروان حيـان بن خلف، المقتبس، نشره بيدروشالميتـا مع زميليه (مدريد/ الـربـاط: المعهـد الإسبـاني العـربي للثقـافة وكليـة الآداب بـالـربـاط، ١٩٧٩م)، ج ٥، ص١١٣.

التأثير في سياسة ابن حفصون، فحملوه على اعتناق النصرانية؛ إذ يروى أنهم قتلوا جعفر بن عمر بن حفصون، عندما انحرف عنهم إلى جانب المسلمين[1]. وكما أشرنا فيما سبق، فإن النصارى قد استوطنوا القرى أيضًا، فيروى أن جماعة من النصارى قد سكنوا في قرية يقال لها، بنتيج، بالقرب من وبذة[2]. واستوطن قوم منهم في قرية الزبارقة[3].

وقد أشار ابن حوقل[4] إلى هذه الطبيعة الاستيطانية للنصارى، والجانحة نحو سكنى الضياع والحصون، فقال: «وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدَّن، وهم على دين النصرانية روم، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم إلى حصن فطال جهادهم؛ لأنهم في غاية العتو والتمرد، وإذا خلعوا ربقة الطاعة صعب ردهم إلا باستئصالهم، وذلك شيء يصعب ويطول..».

ولقد تمتع النصارى بقسط وافر من الحرية والتسامح من قبل أمراء بني أمية، فقد سمح لهم بالممارسة الحرة لدينهم ولم يعانوا أي شكل من أشكال الاضطهاد[5].

ويظهر أن المسلمين في الأندلس لم يفرضوا على رعاياهم من النصارى أنواعًا خاصة من الملابس لتميزهم عن المسلمين حتى تكون مظهرًا من مظاهر

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٨.

(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٦٠٧.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢١٨، ٢١٩.

(٤) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٣٠-١٣١؛ محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر ٧٥٥-٩٧٦م/ ١٣٨-٣٦٦هـ (مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٨٣-٨٤؛ وانظر أيضا:

REINHART DOZY, SPANISH ISLAM-AHISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN, LONDON, P.268.

إذلالهم؛ إذ لم نقرأ في مصادرنـا مايشير إلى ذلك خلال هذه الفترة، كمـا يؤكد أحـد مؤرخـي الغرب المعـاصـرين أن النصـارى الأندلسيين في القـرن التـاسع الميلادي / الثالث الهجري على الأقل كانوا يلبسون ملابس المسلمين(١).

فقـد عـاملهم المسلمون معـاملـة كـريمة وفق سيـاسـة : ﴿**لا إكـراه في الدين**﴾(٢)، وكانوا يعدُّونهم من أهل الكتاب(٣).

ويذكر الأستاذ عنان(٤)، أن من خصائص الـدولة الأمويـة في الأندلس، المميـزة لها هـو عطفهـا الـواضح على أهل الـذمة وكفـالـة حـرياتهـم الدينيـة والاجتماعية، حيث أنشئ منصب خاص لإدارة شؤون أهل الـذمة يعرف صاحبه بالقومس.

ولاشك أن هذه المعاملة الطيبـة المتزنة التي عومل بها أهل الـذمة عمومًا من قبل المسلمين، قد تركت في نفوسهم أثرًا طيبًا عميقًا، إذ روى الذهبي(٥)أنه شـوهد يـوم وفاة الفقيـه، عبيد اللـه بن يحيى بن يحيى الليثي(٦)ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، نفرٌ من اليهود ومن النصارى من جملة الباكين عليه.

---

(١) توماس أرنـولد، **الدعوة إلى الإسـلام، بحث في تاريخ نشر العقيـدة الإسلامية**، ترجمة حسن إبراهيم حسـن وزملاؤه، الطبعة الثـامنة (القـاهرة: مكتبـة النهضة العـربية، ١٩٥٧م)، ص ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٣) Lévi-provencal, **op. Cit**, t.1, p.73.

(٤) عنـان، **المرجع السابق**، العصر الأول، القسم الثـاني، ص ٦٨٢. وفي هذا الصـدد، يقول برنارد لويس: «إن الطوائف غير المسلمة التي كانت في حماية المسلمين في إسبانيا، كانت أكثـر عـددًا وأحسن تنظيمًـا في إسبـانيـا منهـا في أي نـاحيـة أخـرى من البـلاد الخـاضعـة للمسلمين. وكانت سيـاسة الحكـومة نحو هـذه الطوائف نـزيهة متسامحـة». انظر: بـرنارد لويس، المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق علي أبو زيد، (مؤسسة الرسالة، د.ت)، ج١٣، ص٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣.

(٦) أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي. روى عـن أبيه علمه، ولم يسمع بالأندلس من غيره، ورحل حـاجًّا وتاجرًا. وكـان عاقلاً كريمًا عظيـم المـال والجـاه. توفـي - رحمه الله - سنة ٢٩٨ هـ؛ ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج١، ص ٤٢٩.

وتأكيدًا لهذا التسامح الديني والاجتماعي الذي لقيه النصارى من المسلمين، فإن بعض هؤلاء النصارى قد وصل إلى وظائف عليا في الدولة، دون أن يجد المسلمون غضاضة في ذلك، حتى إن المسلمين في المشرق كانوا ينعون على بني أمية في الأندلس استخدام النصارى في بلاطهم وتوليتهم أسمى المناصب[1]. فقد كان في بلاط الأمير الحكم بن هشام، موظفٌ نصرانيٌّ كبيرٌ يدعى، ربيع بن زيد[2].

ويبدو أن حدود وظيفته قد تجاوزت الإشراف على شؤون النصارى بقرطبة إلى جباية الأموال أيضًا من المسلمين، والتضييق عليهم في سبيل ذلك. ولعل طغيان هذا الرجل وصلفه قد جاوز به الحدّ، فانتهى به ذلك إلى أن قتله الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وذلك في أواخر عهد أبيه الحكم بن هشام. وقد فرح المسلمون كثيرًا بنهاية هذا الرجل الذي كان: «جديرًا بالصلب والمثلة لسوء أثره في المسلمين»[3].

أما الأمير محمد بن عبد الرحمن، فقد اتخذ له كاتبًا من النصارى، وهو قومس بن أنتنيان[4]، وذلك بعد أن ظهر فضل أدبه[5]. واستعمل الناصر لدين

---

(١) عنان، المرجع السابق، العصر الأول - القسم الأول، ص ٣١٦.

(٢) ويعرف بربيع القومس. كان حظيًّا في رجال الأمير الحكم بن هشام. وكان متولّي المعاهدين بالأندلس من النصارى؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق بروفنسال، ص ١٥.

(٣) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، أصدره فؤاد سزكين مع زميليه، (فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، السفر الرابع والعشرون، ص ٣١٥.

(٤) قومس بن أنتنيان. كاتب الأمير محمد بن عبد الرحمن. كان من أسرة نصرانية، ولي الكتابة بعد وفاة الكاتب عبد الله بن أمية بن يزيد سنة ٢٤٦هـ. احتفظ قومس بديانته المسيحية مدة، لكنه أسلم وحسن إسلامه على مايبدو، إلى درجة أن الفقيه محمد بن يوسف بن مطروح كان يسميه (السجّاد العبّاد، حمامة هذا المسجد) يعني مسجد قرطبة، ويبدو أنه توفي بعد ذلك بمدة قليلة. انظر: الخشني، **المصدر السابق**، ص٧٦؛ ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص١٤٢.

(٥) الخشني، المصدر السابق، ص ٧٥.

الله ٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م، علـى مدينة أبذة عريفًـا من العجم يعرف بابن بزنت[١].

ولقد تأثر النصارى بثقافة العرب وأسلوب حياتهم[٢]، فانصرف قسم كبير منهم إلى محـاكاة العـرب في أنمـاط حياتهم وتمثـل ثقافتهم، وبلغـوا في ذلك مبلغًـا عظيمًا حتى أطلق على تلـك الطائفـة من النصـارى التي سارت في هـذا الاتجاه اسـم، المستعربون. ويبدو أن هذه الطائفة لم تتضح شخصيتها ويتأكد وجـودهـا إلا في عصـر الإمارة ١٣٨- ٣١٦هــ/ ٧٥٥- ٩٢٨م، ومـا تـلاه من العصور الاسلاميـة في الأندلس؛ إذ لم يكن لهـا وجـود في عصـر الـولاة ٩٢- ١٣٨هـ/ ٧١٠- ٧٥٥م[٣]، ولعل ذلك يرجع إلى أن النزعة العلمية عند العرب في عصـر الولاة تكـاد تختفي تحت ظل النـزعـة العسكريـة التي سيطـرت على أعمال العرب ونشاطاتهم في هـذه الفترة، ثم إن الوقت لم يكن كافيًا لأن يتعمق النصارى في دراسـة الثقافة العـربية بدرجـة قويـة تسمح بأن يظهر معها طـائفة المستعربين. وقـد ضمت مصادرنا أخبـارًا متفرقة تشيـر بطريق غير مبـاشر إلى مظاهر هـذا الإقبال الشديد من قبل النصارى على تعلم اللغة العـربية، ودراسة الأدب العربي والحيـاة العربية عمـومًا. فقد ورد في بعض الأسئلـة الفقهية التي وجهت إلى الفقيه الأندلسـي ابن لبابة[٤]، ت عام ٣١٤هــ/ ٩٢٦م؛ أن رجلاً

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٣١.

(٢) ويبدو أن بعض النصارى كـانوا يستعملون الختان، وقد أشار الفقيـه الأندلسي عبدالملك بن حبيب، ت سنـة ٢٣٨هـ، إلى ذلـك؛ ابن فرحـون، بـرهان الـدين إبـراهيم بن علي، **تبصرة الحكام في أصول الأقضيـة ومناهج الأحكام**، الطبعة الأولى، (بيـروت: دار الكتب العلمية، ١٣٠١ هـ)، ج٢، ص٩٣.

(٣) عبد الواحد ذنون طه، **المرجع السابق**، ص ١٨٧.

(٤) محمد بن عمر بن لبابة. مولى أبي عثمان بن عبيد الله بن عثمان. من أهل قرطبة. كان إمامًا في الفقـه مقـدمًا على أهـل زمانـه في حفظ الـرأي والبصر بالفتيـا. وكان مشـاورًا في أيـام الأميـر عبـد الله ابن محمد. وتوفي رحمـه الله سنة ٣١٤هـ. انظـر: ابن الفرضي، **المصـدر السابـق**، ج٢، ص٦٨٠، ٦٨١.

نصرانياً صلّى بجماعة من المسلمين الصلوات الخمس المكتوبة وكذلك صلاة القيام في رمضان، ومعه قرآن يقرأ فيه، دون أن يعلم المسلمون من أمره شيئًا[١].

وعلى الرغم من أن مثل هذه الأسئلة الفقهية هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، كما أنها ذات نزعة تصورية؛ إلا أن مجرد إثارة مثل هذا السؤال خصوصا، في هذه الفترة، يوضح لنا مدى الشوط البعيد الذي قطعه النصارى في تعلم العربية وحذقها، بل ومحاولة إتقان قراءة القرآن الكريم، مما جعل المسلمين يحتاطون لأنفسهم، ويتوقعون إمكان حدوث مثل هذا الأمر.

ولم يقتصر الاهتمام بهذه القضية عند هذا الحدِّ، بل إن الفقيه ابن لبابة قد نهى المسلمين عن تعليم أولاد النصارى القرآن[٢].

ولقد أفضى الاتجاه الطاغي نحو الاستعراب إلى انفجار حركات التعصب النصراني[٣]؛ إذ كان من المؤلم بالنسبة لرجال الدين من النصارى أن يروا أبناء دينهم، وقد بهرتهم حضارة العرب المسلمين، ينصرفون بجد واهتمام نحو الاستعراب الكامل في جميع مظاهر حياتهم تقريبًا، وأثار هذا دوافع الحقد والحسد في أنفسهم ضد كل ما هو عربي وإسلامي، فانبرى فريق من المتعصبين من رجال الكنيسة لمحاربة هذا التيار الجارف ومحاولة إيقافه.

واستخدم هؤلاء المتعصبون في حربهم هذه، وسائل غير شريفة على الإطلاق، فلجئوا إلى إثارة الجماهير، واستفزاز مشاعر الرأي العام الإسلامي،

---

(١) الونشريسي، أحمد بن يحيى، **المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرَّجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج١، ص١٥٦.

(٢) **المصدر نفسه**، ج١١، ص٩٦.

(٣) روم لاندو، **الإسلام والعرب**، ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢م)، ص١٧٦.

عن طريق مهاجمة الإسلام وسبِّ الرسولﷺ علنًا[1]، رغم علمهم المُسبق أن عقوبة مثل هذا التصرف الأهوج هي الموت. وقد أوردت بعض المصادر التي بين أيدينا روايات تاريخية تحمل في ثناياها أحداثًا مشابهة لتلك الأحداث التي قام بها هؤلاء المتعصبون النصارى، ويحتمل أنها من الفصول الرئيسة لهذه الحركة المجنونة، أو أنها بقية من بقاياها التي تلاشت بالتدريج.

فمن ذلك مثلاً ما روي من أن رجلاً نصرانياً جيء به إلى القاضي أسلم ابن عبد العزيز[2]، ت: ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، مستقتلاً لنفسه، أي يطلب الاستشهاد في سبيل دينه، وذلك بأن يقتل مقابل إقراره بمهاجمة الإسلام؛ وسبّ الرسول ﷺ وإصراره على ذلك. واجتهد القاضي في منعه ووبخه على تصرفاته الطائشة[3].

ويروى كذلك أن امرأة نصرانية أحضرت إلى مجلس القاضي أحمد بن محمد بن زياد[4]، ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م، وقد زعمت أن عيسى عليه السلام هو

---

(١) Jackson, **The Making of Medieval Spain**, California, 1976, P.31.

(٢) هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه. كان عظيم القدر، شريف البيت، معروف النصيحة مع الجلالة في العلم والإدراك في الرواية والرحلة في الطلب. ولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين، الأولى سنة ٣٠٠هـ والثانية سنة ٣١٢هـ؛ الخشني، **المصدر السابق**، ص١٠٦، ١١١.

(٣) **المصدر نفسه**، ص١٠٨.

(٤) أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي، المعروف بالحبيب، ولي قضاء الجماعة بقرطبة للمرة الأولى سنة ٢٩١هـ. كان من أكمل الناس أدبًا. وولي القضاء للمرة الثانية سنة ٣٠٩هـ بعد أسلم بن عبدالعزيز؛ **المصدر نفسه**، ص١٠١، ١٠٩.

اللـه، كما زعمت أيضًـا أن محمـدًا ﷺ، كـذب فيما ادعـاه من النبـوة. فأفتى الفقهاء بقتلها(١).

وقد تحلّى الأميـر عبد الـرحمن بن الحكم، الذي حـدثت في أيامـه هذه الفتنة العمياء(٢)؛ بـالحزم والصـرامة في التعـامل مع هذه الحـركة، فأمـر بقتل بعض محرضي الشغب من زعمـاء هذه الحركـة، وأعانه في جهـوده هذه بعض العقلاء من رجال الكنيسـة الذين خافوا من أن تنقلب هذه الحـركة إلى اضطهاد حقيقي، فعقدوا مؤتمرًا أصدر قرارًا يحرم المجاهرة بسب الرسول ﷺ، أو القرآن الكـريم، فهـدأت الأحوال، حتى انتهت هـذه الحـركـة بعد ذلك بـالتـدريج، خصوصا بعد أن توفي أحد زعمائها من الرهبان(٣).

وقد استغرب المؤرخ، لين بول(٤)، من قيام المسيحيين بهذه الحركة إذ لا يوجد سبب معقول لتهافتهم على الموت مادام المسلمون قد سمحوا لهم بإقامة شعائرهم.

---

(١) ابن سهل، أبـو الأصبـغ عيسى بن سهل، وثائق في أحكـام قضاء أهل الذمة مستخـرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق د. محمد عبدالـوهاب خلاف، (القاهرة: المـركز العربي للإعـــــلام، د.ت)، ص ٧٠، ٧١، وانظـر أيضًـا: الونشريسـي، المصـدر السابـق، ج٢، ص ٣٤٤. وواضح أن هاتين الحادثتين وقعتا بعد انقضـاء عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي شهد أحداث هذه الحركة، ولعلها امتداداً لما حدث سابقًا.

(٢) يشير بعض المؤرخين المحـدثين إلى أن هذه الحركة قد حدثت في أيـام الأمير عبد الرحمن ابن الحكم، ٢٠٦- ٢٣٨هـ في تـاريخ غير واضح. انظر: عبد الحميـد العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، الطبعة الثـانية، (القـاهرة: دار القلم، ١٩٦٤م)، ص ٩٩؛ الحجي، المرجع السابق، ص ٢٤٢، ٢٤٣. ويذكـر بروفنسـال أن المستعربين قـاموا بثـورة مع بـداية حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٧- ٨٨٦م، فما كان من هذا الأمير إلا أن أخـذ في اضطهـاد الطوائف المسيحيـة اضطهـادًا شـديـدًا. انظر: ليفي بـروفنسـال، الأمويون في الأندلس، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع، ٣١، ص ٤٨٦.

(٣) Lévi- provencal, op. Cit, t.1 , p.225-239.

(٤) ستـانلي لين بـول، قصة العرب في إسبانيا، ترجمـة علي الجارم، (القاهـرة: دار المعارف، د.ت)، ص ٨٤، ٨٩.

ويتضح لنا مما تقدم، أن هذه الحركة قد نشبت في البداية لأسباب فكرية وثقافية، ثم ما لبثت أن تحولت إلى فتنة دينية حقيقية!!

ولقد كان من نتائج حركة الاستعراب وانتشار اللغة العربية بين صفوف السكان على اختلاف أصولهم ومذاهبهم، أن تسرب الكثير من عادات المسيحيين إلى المجتمع الإسلامي، لتعبِّر بوضوح عن مدى التفاعل الفكري الشديد بين عناصر السكان في هذه البلاد التي كوّنت لها طابعًا ذاتيًّا مستقلاً يميزها عن غيرها من البلاد الأخرى، بحكم بيئتها المحلية. فقد شارك بعض المسلمين في المناسبات الدينية الخاصة بالنصارى، وأصبحت مشاركاتهم في مثل هذه المناسبات وعلى مرور الزمن، عاداتٍ اجتماعية يصعب التخلي عنها، رغم تحذيرات الفقهاء المتكررة بعدم جوازها شرعاً. ولعل من أبرز هذه المناسبات، عيد ميلاد المسيح عليه السلام[١]، ويوم العنصرة أو المهرجان[٢]

---

(١) هو اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم. والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدًا؛ المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٧٠م)، ج١، ص ٤٩٤.

(٢) عيد المهرجان ذو تقليد فارسي، ويطابق في أصله عيد اعتدال الشمس في فصل الخريف. وقد انتهى متداخلاً مع عيد العنصرة، فأصبح يوم العنصرة ANSARA هو مهرجان أهل الأندلس. وعيد العنصرة هو عيد سان أخوان SAN JUAN الذي تحتفل بها إسبانيا في ٢٤ يونيو. انظر: أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، ص ١٠٧؛ وانظر أيضا:

FERNANDO DE LA GRANJA, FIESTAS CRISTIANAS EN AL-ANDALUS, AL-ANDALUS, MADRID- GRANADA, 1969, VOLUMEN XXXIV, P.2.

ويذكر العزفي في كتابه «الدر المنظوم في مولد النبي المعظم» أن يوم العنصرة يوافق ميلاد يحيى بن زكريا على نبينا محمد وعليه الصلاة والسلام، وأشار إلى أن الأندلسيين يحتفلون في هذا اليوم ويتهادون الهدايا فيما بينهم ويقيمون صنوف الأطعمة. انظر:

FERNANDO DE AL GRANJA, DEL "KITAB AL-DURR AL-MUNAZZAM FI, MAWLID AL NABI AL-MUAZZAM" DE AL-AZAFI, AL-ANDALUS, MADRID - GRANADA, 1969, VOLUMEN, XXXIV, P.19-20.

ورأس السنة الميلادية (يناير)[١]، وليلة العجوز[٢]، وخميس العهد[٣]، والنيروز[٤].

وقد أفتى الفقيه الأندلسي، يحيى بن يحيى الليثي[٥] المتوفى سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م بعدم جواز الهدايا في عيد الميلاد، ونهى عن إجابة الدعوة فيه والاستعداد له، وشدّد على أن يكون هذا اليوم كسائر الأيام الأخرى. كما

---

(١) يوافق الاحتفال بهذه المناسبة اليوم السابع من ولادة عيسى عليه السلام وكان بعض مسلمي الأندلس يشاركون النصارى في الاحتفال بهذه المناسبة، فكانوا يتهادون التحف ويتجهزون بموائد الطعام في تلك الليلة وفيها أصناف من الفواكه والسكر والتمر والزبيب والتين والجوز واللوز والجلوز والقسطل والبلوط والصنوبر وقصب السكر والأترج والنارنج والليم وغيرها. انظر:

FERNANDO DELA GRANJA, DEL "KITAB AL-DURR AL-MUNAZZAM FL MAWLID AL-NABI AL-MUAZZAM" DE AL-AZAFI, P. 19-20-21.

(٢) إحدى المناسبات الاجتماعية التي كان يحتفل بها النصارى ويتبادلون الهدايا فيها. ويظهر أن مسلمي الأندلس كانوا يشاركون النصارى في الاحتفال بهذه الليلة، انظر:

FERNANDO DE AL GRANJA, OP. Cit, p.25.

(٣) ويسمى خميس أبريل، وهو الخميس الكبير، أو خميس العدس والبيض والأرز. وكان الأقباط في مصر يعملونه قبل الفصح بثلاثة أيام، وسنتهم فيه أن يأخذوا إناء ويملأونه ماءً ويزمزمون عليه ثم يغتسل به للتبرك، ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلاميذه في هذا اليوم، يعلمهم التواضع، وأخذ العهد عليهم أن لا يفترقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض. انظر: شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص ٣٦٩.

(٤) النيروز من الأعياد الفارسية، وهو يوافق اليوم الأول من السنة الجديدة في التقويم الشمسي الفارسي. وكان الأندلسيون يحتفلون بيوم النيروز بإعداد أرغفة من الخبز وغيرها من المأكولات ويتبادلون فيه الهدايا، ويقدمون لأكابر الشخصيات مديحًا من الشعر، انظر:

FERNANDO DE LA GRANJA, FIESTAS CRISTIANAS EN AL-ANDALUS, P.2.

(٥) يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايا. من أهل قرطبة، وأصله من البربر من مصمودة، ويتولى بني ليث. رحل إلى المشرق وسمع من مالك بن أنس وقدم الأندلس بعلم كثير فعادت فتيا الأندلس إلى رأيه وقوله. توفي سنة ٢٣٤هـ؛ ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٨٩٨ - ٩٠٠.

أفتى أيضًا بعدم جواز الاحتفال بعيد العنصرة، وما يصاحبه من أعمال يقوم بها الرجال والنساء على حد سواء[١].

ووجّه الفقيه عبد الملك بن حبيب[٢] ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٥م كلمةً خاصة إلى نساء المسلمين يحذرهنّ من الاحتفال بيوم العنصرة، ومما جاء فيها: «إياكم، يا معشر النساء، لاترششن بيوتكنّ بالماء يوم العنصرة، ولا تلقين في ثيابكنّ ورق الأكرنب ولا تغتسلن في ذلك اليوم إلا من جنابة، فمن فعل ذلك منكنّ فقد شرك في دم يحيى بن زكرياﷺ»[٣].

أما المسلمون من أهل البادية فكانوا يحتفلون أيضًا بيوم العنصرة، ولعل ذلك يرجع إلى أن قسمًا من النصارى كانوا يسكنون في القرى والمناطق الريفية المجاورة للبادية ـ كما لاحظنا من قبل ـ فتأثر بهم أهل البادية بحكم مجاورتهم لهم. وقد نهاهم الفقيه ابن لبابة، ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، عن الاحتفال بيوم العنصرة، وبيّن لهم أن من يفعل ذلك من أهل المدن إنما هم من المجانين[٤].

كما حثّ الفقيه محمد بن وضاح[٥] ت ٢٨٧هـ/ ٨٩٩م المسلمين على عدم قبول الهدايا في ليلة يناير ونهاهم عن الاحتفال بليلة العجوز وغيرها من أعياد النصارى[٦].

---

(١) الونشريسي، المصدر السابق، ج١١، ص ١٥١.

(٢) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، قيل إنه من موالي سليم، كان بإلبيرة وسكن قرطبة، كان مشاورًا مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان، وكان حافظا الفقه على مذهب المدنيين؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ٤٥٩- ٤٦٢.

(٣) FERNANDO DE LA GRANJA, DEL "KITAB AL-DURR AL-MUNAZZAM FL MAW-LID AL- NABI AL-MUAZZAM" DE AL-AZAFI, P.30.

(٤) الونشريسي، المصدر السابق، ج١١، ص ٩٢.

(٥) محمد بن وضاح بن بزيغ، مولى الأمير عبدالرحمن بن معاوية. من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبدالله. رحل إلى المشرق رحلتين. كان عالمًا بالحديث بصيرًا بطرقه متكلمًا على علله، ورعًا زاهدًا فقيرًا متعففًا محتسبًا في نشر علمه، سمع منه الناس كثيرًا. انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٥٠- ٦٥١- ٦٥٢.

(٦) FERNANDO DE LA GRANJA, OP. CIT, P.25.

غيـر أن هذه الفتـاوى الـدينية الصـادرة بهـذا الشأن، لم تؤد إلى الغـرض المطلـوب منهـا؛ فقـد استمـر المسلمـون، أو بعضهـم على الأقل، في هـذه البلاد، يحتفلون بهذه المنـاسبات، ويتبادلون فيها الهدايـا وألوان الأطعمة، في فترات تـاريخية لاحقة لهذه الفتـرة التي نتحدث عنها. فقد اشتكى أحـد علماء الأنـدلس في القرن السـادس الهجـري مما يفعلـه النـاس في زمـانه من البـدع المحدثة، مثل: "إقامة ينير بابتيـاع الفواكه كالعجم، وإقامة العنصرة وخميس أبريل بشراء المجبنات والإسفنج"(١).

ثم يأتي اعتبار يوم الأحد من كل أسبـوع عطلة رسمية عند الأندلسيين(٢)، مظهـرًا قـويًـا من مظـاهـر التمـازج الحضـاري بيـن المسلمين والنصـارى في الأنـدلس. وعلى الرغم من أن انتشـار اللغـة العربيـة بين عنـاصر السكـان في الأنـدلس، كـان له دور مهم فـي نقل الكثير مـن العادات الإسـلاميـة إلى أهل الذمة، والعكس أيضًا، إلا أن الاختلاط الكبير بين العرب والإسبان، عن طريق الحروب المتصلة والـزواج المشترك، أدى إلى تأثر هؤلاء الأبنـاء المولدين، وهـم ثمـرة الزواج المشتـرك؛ بأمهـاتهم الإسبـانيات، في لغتهـم وعاداتهم وأسلـوب معيشتهـم، ولعل أوضح مثـال لهذا اللقـاء الحضاري، ظـاهرة انتشـار إزدواجية اللغة بين الأندلسيين، أي اللغتين العربيـة والرومانسية(٣)، فقد استخدم العرب مفردات إسبـانية فـي ألفاظهم، فكـانوا يقـولون للطعام الـذي يصنع عنـد نبات الأسنان للأطفال، الذِنْتِينَة. وقد وردت الإشارة إلى ذلك في مناسبة من مثل هذا النوع أقـامها الأمير عبد الـرحمن بن الحكم لبعض ولده(٤). ولقد كـان القاضي

---

(١) الطرطوشي، المصدر السابق، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) الخشنـي، المصدر السابق، ص ٢٥؛ ابن حيان، المصـدر السابق، تحقيق محمـود علي مكي، ص ١٣٨.

(٣) أحمد مختار العبادي، **الإسلام في أرض الأندلس**، ص ٦٦.

(٤) ابن هشام اللخمي، المصدر السابق، ص ٢٨٦- ٢٨٧.

سعيد بن سليمان[1]، يجيد التحدث بالعجمية، فقد تخاطب بها يومًا مع أبي الشمول، والد نصر الخصي، الذي لم يكن يتقن الحديث بالعربية[2]. ويبدو كذلك أن القاضي سليمان بن أسود[3] كان يعرف اللغة العجمية، فقد تحدث بها ذات يوم مع امرأة حضرت إلى مجلسه القضائي[4].

ولقد كان للمستعربين كنائسهم الخاصة والتي وجدت حيثما وجد المستعربون في كل مكان من الأندلس، فمارسوا شعائرهم الدينية دونما مضايقة من أحد. بل إننا لم نقرأ في مصادرنا أن أحدًا من المسلمين سعى في مضايقة النصارى والمستعربين لأسباب دينية أو عمل على هدم كنيسة، وذلك على الرغم من كثرة الحروب الداخلية بين عناصر السكان خاصة في أواخر عصر الإمارة. بل أقيمت في هذا العصر كنائس جديدة للمستعربين، ومثال

---

(١) سعيد بن سليمان بن حبيب، ولي قضاء ماردة، ثم ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم قضاء الجماعة بقرطبة؛ الخشني، المصدر السابق، ص٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٣) سليمان بن أسود بن يعيش بن جشيب، من مدينة غافق، ولي القضاء في كورة ماردة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦ - ٢٣٨هـ، ثم ولي قضاء الجماعة بقرطبة بعد عزل القاضي عمرو بن عبد الله، وذلك زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣هـ، ثم عزل عن القضاء سنة ٢٦٠هـ، وأعيد إليه للمرة الثانية سنة ٢٦٣هـ. توفي رحمه الله في أيام الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠هـ؛ الخشني، المصدر السابق، ص ٧٣ - ٨٣.

(٤) الخشني، المصدر السابق، ص ٨٠. والواقع أن أثر البيئة الأندلسية كان من القوة بحيث تأثر اللسان العربي بها كثيرًا ففقد شيئًا من فصاحته المعهودة، وقد لاحظ ذلك علماء اللغة من أهل الأندلس، فهذا أبو عامر بن شهيد يصف كلام أهل الأندلس بقوله: "إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط". انظر: ابن شهيد، أبو عامر أحمد بن عبدالملك، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ١١٧.

ذلك كنيسة ببشتر[١] التي أنشئت في بلاط عمر بن حفصون فيما بين سنتي ٢٨٤هـ - ٣٠٥هـ/ ٨٩٨- ٩١٧م عندما اعتنق النصرانية[٢].

ويشير بَعضُ الدراسين المُحدَثين إلى أن قرطبة كانت تضم بداخلها ست كنائس، وأقيم في خارجها ست كنائس أخرى وذلك في القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث الهجري[٣].

كما يذكر سيمونيت[٤] أن بجانة كانت تضم كنيسة صغيرة في العصر الإسلامي. ومن المعلوم أن مدينة بجانة قد بلغت أوج ازدهارها خلال عصر الإمارة.

أما إشبيلية فقد كانت مركزًا أسقفيًا هامًا خلال العصر الأموي[٥]. ومن هنا يتبين لنا أن المسلمين تركوا النصارى أحرارًا في إنشاء مايريدون من الأديرة[٦].

ونقرأ في مصادرنا، أن بعض النصارى كانوا يمارسون مهنة الطب منذ عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، لكنهم لم يكونوا على درجة عالية من

---

(١) وكان جعفر بن مقسم هو أسقف ببشتر، وقد عزله عمر بن حفصون عن السقافة مدة لكنه أعاده إلى منصبه مرة ثانية بعد أن ألحّ عليه الرهبان ورؤساء العجم في ذلك. انظر: ابن حيان، المصدر السابق، ج٥، ص ١١٣- ١١٤.

(٢) مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد عبدالعزيز سالم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م)، ص ٤٢٢. ويذكر مورينو أن كنيسة ببشتر تضم ثلاثة أروقة تفصلها دعائم وعقود وذراع ثم مقصورة منحنية في شكل يزيد على نصف أسطواني ثم مقصورتين جانبيتين مربعتين وعقد حدوة الفرس وهو أقصى مايكشف عنه منها ويتمشى مع تخطيط الحنية ويطول حتى يبلغ ثلاثة أرباع القطر. وربما كان هذا الطراز المعماري شائعًا في كنائس المستعربين. المرجع نفسه، ص ٤٢٣.

(٣) BERNHARD AND ELLEN M. WHISHAW, **Op. Cit.** P. 18

(٤) Simonet, Franciscojavier, **Historia de los Mozarabes de Espan** Madrid, 1897-1903, P.132.

(٥) Isidro de las Gagigas, **Op. Cit**, t.1, P.58.

(٦) Simonet, **Op. Cit**, P.190.

الكفاءة في ممارسة هذه المهنة[1]. حتى إذا اقترب عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م) من نهايته ظهر جماعة منهم على مستوى عالٍ في هذا الشأن، أمثال: جواد الطبيب[2]، وخالد بن يزيد بن رومان[3]، وابن ملوكه النصراني[4]، وإسحاق الطبيب[5]، وغيرهم. ولعل اشتغال النصارى بالزراعة قد ساعدهم كثيرًا على التفوق في مهنة الطب، حيث عرفوا خصائص النباتات والأعشاب، وتمكنوا من صناعة بعض الأدوية والعقاقير الطبية.

ب - اليهود:

يأتي اليهود كعنصر ثانٍ من العناصر السكانية غير المسلمة في الأندلس. وقد أشار المقدسي[6] إلى كثرة اليهود في الأندلس، والذين انتشروا في مختلف أرجائها.

---

(١) ابن جلجل، **المصدر السابق**، ص ٩٢؛ صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، نشره لويس شيخو اليسوعي، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٢م)، ص ٧٨.

(٢) جواد الطبيب النصراني: كان في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ. وله اللعوق المنسوب إلى جواد. وله أيضًا دواء الراهب والشرابات والسفوفات المنسوبة إليه؛ ابن جلجل، **المصدر السابق**، ص ٩٣؛ ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٣، ص ٦٥.

(٣) خالد بن يزيد بن رومان النصراني: كان بارعًا في الطب، ناهضًا في زمانه فيه. وكان بقرطبة وكسب بالطب مبلغًا جليلاً من الأموال والعقار، وكان صانعًا بيده عالمًا بالأدوية الشجارية، وظهرت منه في البلد منافع؛ ابن جلجل، **المصدر السابق**، ص ٩٥؛ ابن أبي أصيبعة، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٦٦.

(٤) ابن ملوكة النصراني: كان في أيام الأمير عبد الله بن محمد ٢٧٥-٣٠٠هـ، وأدرك أيام الناصر لدين الله ٣٠٠-٣٥٠هـ. وكان يصنع بيده ويفصد العروق. وكان على باب داره ثلاثون كرسيًا لقعود الناس؛ ابن جلجل، **المصدر السابق**، ص ٩٦؛ ابن أبي أصيبعة، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٦٦.

(٥) إسحاق الطبيب: كان مقيمًا بقرطبة، وكان صانعًا بيده. يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحنك فاق به جميع علماء دهره. وكان في أيام الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥-٣٠٠هـ؛ ابن جلجل، **المصدر السابق**، ص٩٧؛ ابن أبي أصيبعة، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٦٨.

(٦) المقدسي، **المصدر السابق**، ص ٢٣٦.

فقد استوطن قسم منهم في قرطبة، وكان لهم فيها باب يعرف باسمهم[١]. كما استوطن آخرون منهم في إشبيلية، وكان لهم دور بارز في مساعدة السلطة المركزية وتثبيت الحكم الأموي في هذه المدينة، وذلك عندما ثار الموالي والمولدون من أهلها على عامل المدينة من قبل الأمير عبدالله بن محمد، فأرسلت الحكومة جيشًا حاصر إشبيلية مدةً، حتى قام اليهود من أهل إشبيلية وفتحوا أحد أبواب المدينة للجيش الأموي[٢].

وربما كان السبب وراء هذا التصرف من قبل اليهود، هو حرصهم على توثيق علاقاتهم بالإمارة الأموية، وذلك لضمان تسهيل معاملاتهم التجارية، وحماية الحكومة لهم ورعايتها لنشاطاتهم.

واستوطن جماعات من اليهود في طليطلة[٣]. وقد كان التجار اليهود يختلفون إلى هذه المدينة مابين الحين والآخر بضروب السلع[٤].

واستقر قسم كبير من اليهود في برشلونة[٥]، كما استقر آخرون منهم في مدينة أليسانة[٦]، وتكاثرت أعدادهم بها حتى عُرفت هذه المدينة باسمهم في المصادر المختلفة[٧].

---

(١) الخشني، **المصدر السابق**، ص ٦٤.

(٢) العذري، **المصدر السابق**، ص ١٠٢.

(٣) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، **الأصول والفروع**، ، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج١، ص ٥٥.

(٤) ابن سهل، **المصدر السابق**، تحقيق محمد عبدالوهاب خلاف، ص ٥١.

(٥) البكري، **المصدر السابق**، ص ٩٦.

(٦) أليسانة Lucena وهي مدينة اليهود ولها ربض يسكنه المسلمون وبه المسجد الجامع. وبينها وبين قرطبة أربعين ميلاً؛ الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تحقيق رينهارت دوزي ودي خويه، (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٦٨م)، ص ٢٠٥.

(٧) فعلى سبيل المثال، نجد ابن حيان يشير إليها بقوله: "ومدينة اليسانة يهود الذمة." ؛ ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، نشره ملشور أنطونية، ص ٩٣. ويشير إليها الإدريسي بقوله: "مدينة أليسانة وهي مدينة اليهود." ؛ الإدريسي، **المصدر السابق**، ص٢٠٥.

وقد لاحظ الإدريسي[١] على استيطان اليهود في مدينة أليسانة؛ أنهم يسكنون في وسط المدينة مجتمعين إلى بعضهم البعض، ولايساكنهم أحد من المسلمين، كما وصف يهود هذه المدينة بأنهم أغنياء مياسير، أكثر غنى من اليهود الآخرين في البلاد الإسلامية.

وتعتبر مدينة طرّكونة[٢]، من المدن الهامة التي استوطنها اليهود[٣].

ولقد وجد اليهود في كنف المسلمين كل تقدير واحترام، إذ كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في حرية تامة، وكانت لهم بيعهم التي تقام فيها صلواتهم، كما امتازت علاقتهم بالمسلمين بالود والتفاهم المطلق، مما جعلهم يندمجون في المجتمع الإسلامي، ويتعلمون اللغة العربية، ويتزيون بلباس المسلمين[٤].

وقد أكد الأستاذ بروفنسال[٥]، على ازدهار الأحوال العامة لليهود في الأندلس. وماذاك إلا ثمرة من ثمرات سياسة التسامح التي سار عليها أمراء بني أمية في الأندلس، ومن جاء بعدهم أيضًا من حكام المسلمين في هذه البلاد.

وتورد لنا مصادرنا، صورًا من نزاهة القضاء الإسلامي وإنصافه لليهود من ظلم قد يقع عليهم. فمن ذلك مثلاً، ماروي من أن الأمير محمد بن عبد الرحمن، عندما كان واليًا على مدينة ماردة في عهد والده الأمير عبد الرحمن بن الحكم، احتبس لرجل يهودي من تجار جليقية جارية أعجبته، وذلك بعد أن غالى اليهودي في ثمنها، فما كان من الأمير إلا أن دس غلمانه لاختلاسها،

---

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٢) طرّكونة Tarragona مدينة قديمة على شاطيء البحر؛ تتصل بأعمال طرطوشة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٢.

(٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٠، ١٩١.

(٤) محمود محمد شبكة، اليهود في الأندلس، مجلة الأزهر، ج٩، ١٠، السنة ٣٧، القاهرة: ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، ص ٥٤١.

(٥) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ١٠٣.

ففزع اليهودي بمظلمته إلى قاضي ماردة في ذلك الوقت، سليمان بن أسود، وشرح له قضيته، وأحضر معه الشهود على ذلك. فأرسل القاضي إلى الأمير محمد يطلب منه أن يدفع الجارية إلى صاحبها، لكن الأمير رفض مزاعم اليهودي. فكرر القاضي الرسالة إليه مرة أخرى، وقال فيها: "إن هذا اليهودي الضعيف لايقدر أن يدعي على الأمير بباطل. وقد شهد عندي قوم من التجار، فليأمر الأمير بإنصافه. "[1]. ومع إصرار الأمير على عدم الاستجابة لطلب القاضي؛ أرسل إليه القاضي من يخبره بعزمه على مغادرة ماردة والتوجه إلى قرطبة، ومقابلة الأمير عبد الرحمن، وإطلاعه على تفاصيل القضية، ثم استعفائه من القضاء. فلما أحس الأمير محمد بعزم القاضي، استجاب لرغبته، وأنصف اليهودي، فأطلق له جاريته[2].

ويبدو أن إحساس اليهود بعدالة القضاء الإسلامي، قد جعلهم ينظرون بعين التقدير والإجلال إلى فقهاء المسلمين وقضاتهم. فعندما خرج الفقهاء على الأمير الحكم بن هشام، في ثورة الربض الشهيرة في قرطبة سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م، ثم ظفر بهم، فقتل من وقع في يده منهم، وهرب من استطاع الهرب منهم؛ كان من بين هؤلاء الهاربين، الفقيه طالوت بن عبد الجبار المعافري[3]، وقد اضطر هذا الرجل إلى الاختفاء عند رجل من اليهود في قرطبة، وظل هذا اليهودي متسترًا عليه في داره لمدة عام، متحملاً ماقد ينتج عن ذلك من مسؤولية[4].

---

(١) النباهي، أبوالحسن علي بن عبدالله، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ص ٥٦- ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦- ٥٧.

(٣) طالوت بن عبدالجبار المعافري: من أهل قرطبة. كان أحد من روى عن مالك بن أنس ونظرائه، ثم خالف على الأمير الحكم بن هشام مع أهل الربض وهرب. وكان بمحل من الدين والعلم، ويغلب عليه الفقه. انظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ٣٤٥.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٣٩.

ومن مظاهر هذه المودة التي أبداها اليهود تجاه فقهاء المسلمين وعلمائهم؛ مارواه الذهبي(١) من أن نفرًا من اليهود والنصارى، كانوا مع من يبكون على الفقيه عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي، يوم وفاته.

ولقد عمل بعضٌ من اليهود في البلاط الأموي، وكانوا قريبين جدًا من أمراء بني أمية، ومن هؤلاء نذكر، منصور اليهودي المغني، الذي حظي بثقة الأمير الحكم بن هشام، ويبدو أن هذا الرجل كان مغنيًا للأمير حسبما يتضح من اسمه، ومن طبيعة المهمة التي كلفه بها الأمير الحكم، فقد بعثه سيده رسولاً إلى زرياب(٢) المغني، يستدعيه إلى الأندلس(٣).

وعلى الرغم من ندرة المعلومات التي نمتلكها، فيما يتعلق باليهود ونشاطاتهم في هذه الفترة؛ فإنه يمكننا القول، استنادًا إلى الإشارات القليلة التي أسعفتنا بها مصادرنا، بأن الأوضاع العامة لهذه الفئة كانت مستقرة. وعلى درجة جيدة، إن لم تكن ممتازة. بل إن أحد الباحثين، قد ذهب إلى ماهو أبعد من ذلك، عندما وصف طبقة كبار التجار اليهود بالأندلس، بأنها تأتي على قمة الهرم الاجتماعي بعد الأرستقراطية العربية(٤).

---

(١) الذهبي، **المصدر السابق**، ج١٣، ص ٥٣٢، ٥٣٣.

(٢) هو أبو الحسن علي بن نافع، وزرياب لقب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله. كان شاعرًا مطبوعًا. وهو مولى الخليفة العباسي المهدي. كان تلميذًا لإسحاق الموصلي ببغداد، وقد خشي إسحاق الموصلي أن يفقد منزلته عند الرشيد بظهور زرياب، فأمره أن يترك بغداد ويرحل، فاتجه إلى الأندلس ودخلها بعد وفاة الأمير الحكم بن هشام وتولي ابنه عبدالرحمن؛ المقري، **المصدر السابق**، ج٣، ص ١٢٢ - ١٣٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٢٤-١٢٥؛ وانظر كذلك: **DOZY, SPANISH ISLAM,** P.263.

(٤) أندريه ميكيل، **الإسلام وحضارته**، ترجمة زينب عبدالعزيز، (صيدا- بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ت)، ص ٢٢٤.

الفصل الثاني

النشاط الزراعي والثروة الحيوانية

- أولاً: العوامل المؤثرة في الزراعة.
- ثانيًا: نظام الأراضي:
  - أ - أراضي الدولة
  - ب- الأحباس
  - جـ - الإقطاع
  - د - الملكيات الخاصة
- ثالثًا: المحاصيل الزراعية.
- رابعًا: طرق التعامل الزراعي.
- خامسًا: الرعي وتربية الماشية.
- سادسًا: صيد السمك.

النشاط الزراعي والثروة الحيوانية

أولاً: العوامل المؤثرة في الزراعة:

تعتبر الزراعة من الدعائم الهامة التي ارتكز عليها الاقتصاد الأندلسي، خاصة وأن أرض الأندلس كانت تمتاز بالمقومات اللازمة للزراعة من وفرة في المياه وخصوبة في التربة وتنوع في المناخ، فترتب على ذلك غزارة في الإنتاج الزراعي وتنوع في المحاصيل الزراعية.

وقد استفاد المسلمون كثيرًا من هذه المميزات الطبيعية في أرض الأندلس، فأضافوا إليها خلاصة أفكارهم وإبداعاتهم في أعمال الزراعة حتى غدت الأندلس بلدًا زراعيًا منتجًا من الدرجة الأولى.

وعلى الجملة فهناك مجموعة من العوامل الإيجابية التي أثرت في تقدم الزراعة في الأندلس خلال هذه الفترة. ونذكر من هذه العوامل:

ماقام به الأمير عبدالرحمن بن معاوية من إعداد برنامج للتنشيط الزراعي في الأندلس، وتمثّل هذا البرنامج في إنشاء الحدائق والجنان والاعتناء بها، وفي نقل أنواع من البذور والنباتات من بلاد المشرق إلى الأندلس.

وجّه الأمير عبدالرحمن اهتماماً خاصاً بالحدائق فاعتنى بها وأحياها كما فعل بمُنْية الرصافة[1] التي نقل إليها مختلف أنواع الغروس والأشجار من كل مكان، فكانت هذه الحديقة يمنًا وبركة على مستقبل الزراعة في الأندلس. بل

---

(١) يذكر ابن حيان أن أول من اختط منية الرصافة في الإسلام هو رزين البرنسي، من كبار رجال البربر الداخلين إلى الأندلس، وليس عبد الرحمن الداخل كما هو متعارف. وإنما اشتراها الأمير عبدالرحمن من وارثيها وسماها الرصافة تيمنًا برصافة جده هشام بن عبد الملك في الشام. انظر: ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٣٤؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٧.

كـانت أمـاً لحـدائق الأنـدلس ومنهـا انتشـرت غـروس الشـام وإفـريقيـة في الأندلس[١].

وتعتبر حديقـة، رَبَنَالِش، من بين هذه الحدائق المتعـددة التي اعتنى بها عبدالرحمن[٢]. وكـان عبد الـرحمن يبعث إلى المشرق بمن يأتيـه بهذه البـذور والنباتات، ومن هؤلاء القاضي معاوية بن صالح[٣]، الذي رحل إلى المشرق ثم عاد إلى الأنـدلس ومعه هدايـا وتحف من بينها رمَّـان من رصافة هشـام بن عبد الملك في الشام. وقـد سُرَّ عبدالـرحمن كثيرًا بهذا الـرمان وعرضـه على خواص رجاله مبـاهيًا به، وكان من الحـاضرين سفر بن عبيـد الكلاعي[٤]، الذي أخذ شيئًـا من ذلك الرُمَّـان وغـرسه فـي مزرعتـه بكـورة ريَّة، فلمـا أثمـر جاء بـه إلى عبدالرحمن فشكـر صنيعه وأجزل صلته، وغرس منـه بحديقة الرصـافة، وتوسع الناس في زراعته وانتشر نوعه[٥]، وأصبح يعرف بالسفري نسبة إلى سفر بن عبيد الذي عمل على إنجـاح زراعته في البلاد. ومن المحتمل أن الأمير عبـدالرحمن هو الذي أمر سفر بن عبيد بالاعتناء بهذه المحاصيل القادمة من المشرق، ولابد أن يكون سفر بن عبيد هذا على معرفة ودراية واسعة بشؤون الزراعة.

ويروي ابن الأبـار[٦]، أن الأميـر عبدالـرحمن اتخـذ أول أصل للنخل في الأندلس في حديقة ربنالش، ومن هذه النخلة توالدت كل نخلة بالأندلس.

(١) عنان، المرجع السابق، العصر الأول - القسم الأول، ص ٢٠٠.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ٣٧ - ٣٩.

(٣) معـاوية بن صـالح بن عثمـان الحضرمي. من حمص بـالشـام. دخل الأندلس قبل دخـول عبدالرحمن بن معاوية فنزل إشبيلية. انظر: الخشني، المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) سفر بن عبيد الكلاعـي. من جند الأردن. وقيل: هو من الأنصار الذين كانـوا يحملون ألوية رسول الله صلى اللـه عليه وسلم. وهم يحملون الألوية بين يدي حكـام بني أمية؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٧- ٤٦٨.

(٥) الخشني، المصـدر السـابق، ص ١٧؛ الـذهبي، المصدر السـابق، ج٨، ص ٢٤٧؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٧- ٤٦٨.

(٦) ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص ٣٩.

وقد خرج عبدالرحمن ذات يوم متنزهًا إلى هذه الحديقة، فرأى فيها تلك النخلة، فقال أبيات من الشعر شبَّه فيها غربته في الأندلس بغربة هذه النخلة في هذه البلاد[1]، مما يشير إلى أن النخل كان قليلاً في الأندلس، أو يكاد لايوجد فيها خلال هذه الفترة.

ويرى بعض الباحثين أن هذه النخلة التي اتخذها عبد الرحمن في حديقته المذكورة، كانت أول نخلة زرعت في أوروبا[2]. بينما يرى آخرون أن شجر النخل قد أدخله الفينيقيون إلى إسبانيا أول الأمر، ثم جاءها المسلمون فيما بعد فأوجدوا فيها أنواعًا جديدة نقلوها إليها وعمموها بواسطة المشاتل بينما كانت زراعة النخل القديم بالنوى[3].

ويتضح مما تقدم، أن الأمير عبد الرحمن كان حريصاً غاية الحرص على مستقبل الزراعة في الأندلس، فاهتم بإنشاء الحدائق المتعددة في قرطبة وفي غيرها من المواضع الملائمة في الأندلس، وسنرى فيما بعد أن أمراء الأندلس من بعده استمروا في نقل أنواع البذور ومختلف النباتات من المشرق الإسلامي إلى الأندلس. فكان عبد الرحمن يبعث من يثق فيه من رجاله بهذه المهمة، ويكافئ المهتمين بالشؤون الزراعية، ويجزل لهم العطاء كما هي الحال مع سفر بن عبيد.

---

(١) وهذه الأبيات التي قالها عبدالرحمن هي:

يانخلُ أنتِ غريبةٌ مثلي ... في الغربِ نائيةٌ عن الأصلِ
فابكي وهل تبكي مكبَّسةٌ ... عجماءُ لم تطبع على خبل؟!
لو أنها تبكي إذًا لبكتْ ... ماءَ الفرات ومنبتَ النخلِ
لكنَّها ذهلت وأذهلني ... بغضي بني العباس عن أهلي

ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧.

(٢) آنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص ٥١.

(٣) فيليب حتي وزميليه، تاريخ العرب - مطوّل -، الطبعة الرابعة، (دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٦٥م)، ج ٢، ص ٦٠٥، هامش رقم ٢.

وبالإضـافة إلى الرمان والنخل، فـإن هناك محاصيل أخرى مجلـوبة من المشـرق إلى الأنـدلس، مثل الأرز والقطن وقصب السكـر والبرتقـال والمـوز، وغيرها من المحاصيل، التي أشاد الباحثون بدور المسلمين الرائد في زراعتها، ونجاحهم في ذلـك، بفضل التغييرات التي أحدثـوها في نظـام ملكية الأرض، وتنظيم عملية الري في الأندلس[1].

أمـا المحـاصيل الأخـرى، فـلا نعلم علـى وجـه اليقيـن متى دخلت الأندلس[2]. على أننـا أيضاً لانستبعـد أن تكون هـذه المحاصيل، أو بعضهـا على الأقل، قد دخلت الأنـدلس في عهد عبد الرحمن بن معـاوية، إذ لم أجد فيما اطلعت عليـه أن أحدًا من أمـراء الأندلس، الـذين حكموا هـذه البلاد قبل عبـد الرحمن، كـان مهتمًا بـالجانـب الزراعي، إلى الحـد الذي يجعلـه يبعث برسل ومندوبين عنـه إلى الأقطار الأخرى لانتقاء أنواع من البـذور الجيدة، كما كان يفعـل عبـد الرحـمن. ثـم إن المـقري[3] يـذكر أن عبـد الرحمن قـد بعث

(١) برنـارد لويس، المـرجع السابق، ص ١٨٠؛ موريس لـومبارد، الجغرافيـا التاريخيـة للعالم الإسلامـي خلال القرون الأربعـة الأولى، ترجمـة عبدالـرحمن حميدة (دمشـق: دار الفكر، د.ت)، ص ١١٣؛ روم لانـدو، المـرجع الســابق، ص ٢٧٨؛ محمـد عبـد اللـه عنـان، الحضارة الأندلسية خـلال ثمانية قرون، مجلة الفيصل، العـدد ٤٢، الرياض، ١٤٠٠هـ، ص ٣٣.

(٢) يـرى د. أحمـد مختـار العبـادي، أن زراعـة القطن انتقلت إلى الأنـدلس في القـرن الثـالث الهجري حيث اشتهرت إشبيلية بزراعته وصناعته وتصديره، كما يرى أيضًا أن عدم ورود إشارة إلى السكر ضمن المنتجات والغنـائم الإسبانية التي أعدها موسى بن نصيـر للخليفة الأموي الوليـد بن عبد الملك ثـم إشارة المؤرخين الأنـدلسيين المتقدميـن أمثال الرازي وعـريب بن سعد إلى أن محصول قصب السكر كان كبيرًا في الأنـدلس في القرن الرابع الهجري؛ يرى أن ذلك كلـه يـدل على أصالـة الـدور الإسـلامي في زراعـة قصب السكر. أي أن زراعـة هـذا المحصول انتقلت إلى الأنـدلس خلال القرنين الثـاني والثالث الهجـريين، وهي الفترة التي تعنى بها دراستنـا. انظر: أحمد مختـار العبادي، الحياة الاقتصاديـة في المدينة الإسـلامية "الصنـاعـة والأصنـاف"، مجلـة عـالـم الفكـر، العـدد الأول، المجلـد ١١، الكـويت، ١٩٨٠م، ص ١٤٣، ١٥١.

(٣) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٧.

رسولين إلى المشرق لهذا الغرض، فجلبا معهما النوى المختار والحبوب الغريبة، وبعد مدة قصيرة من زراعتها غدت أشجارًا مثمرة بغرائب من الفواكه.

وقد سار أمراء بني أمية على خطى عبد الرحمن بن معاوية في إنشاء الحدائق والجنان، فأكثروا منها وتوسعوا في استصلاح الأراضي للزراعة، فمن ذلك أن الأمير الحكم بن هشام بعد أن قضى على ثورة الربض سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، أمر بهدم الربض القبلي الذي نشأت منه الفتنة وتحويله إلى مزرعة(١).

أما الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فقد توسع في إنشاء المتنزهات وغرس الأشجار، وجلب إليها المياه من الجبال(٢). ويروى أن الأمير محمد بن عبد الرحمن، كان كثير الخروج إلى الصحراء للتنزه في نواحيها، والتوسع في سعة ضواحيها، وكان معجبًا بمرج أخضر يقال له «دُربد»(٣). كما اعتنى الأمير محمد بتجديد حديقة الرصافة التي أنشأها عبد الرحمن بن معاوية واهتم بحدائقها ومتنزهاتها، وزودها بالأشجار النادرة وجعلها منتدى نزهته وأسماره(٤). بل واتخذ له حديقة جديدة يقال لها: مُنَية كِنْتُش، في جنوب غرب قرطبة(٥). وأما الأمير عبدالله بن محمد؛ فقد اشترى منية الناعورة في حياة والده، فعمل على توسعتها وأكثر الغرس فيها، كما اعتنى أيضًا بمنية نصر الخصي(٦).

---

(١) ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص ٤٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ص ١٦؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٤٢.

(٢) ابن الأثير، أبوالحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ج٥، ص ٢٩٢؛ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع والعشرون، ص ٣١٦؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٧.

(٣) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع والعشرون، ص ٣١٩.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٢٧.

(٥) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٣٧ - ٢٣٩.

(٦) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٣٨.

ومن العوامل الإيجابية الأخـرى المُؤثِّرة في الزراعة: خصوبـة التربة، فقد وصفت الأنـدلس عمومًـا بأنها: "بقعـة كريمـة طيبة التـربة"(١). كمـا أطنب الجغرافيون في الإشادة بكثير من المواقع الأندلسية، فأشاروا إلى خصوبة تربتها وأثر ذلك في وفرة المحاصيل الزراعية، ومن هذه المواقع مدينة شنترين(٢) التي وصفت بأنها: " . . من أكـرم الأرضين ونهرها يفيض على بطحـائها كفيض نيل مصر، فيزدرع أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد"(٣).

وتعتبر مدينة شذونة من البقاع الكـريمة، الجيدة التربة في الأندلس(٤). وتحدث الجغرافيون(٥) عن مدينة قرطاجنة(٦)، فوصفوها بكثرة الخصب والرخاء المتتابع. وأشاروا بنـوع خاص إلى إقليم الفندون في قرطاجنة والـذي يثمر الزرع فيـه بسقيا مطـرة واحدة. وعلى الـرغم من المبالغـة في الوصف السـابق لإقليم الفندون؛ إلا أنه يدل على مدى خصوبة هذا الإقليم وغزارة إنتاجه الزراعي.

واشتهرت مدينة طليطلة بجودة تـربتها ولطافة هوائها(٧). ويبدو أن مدينة لُورَقة(٨) قـد فـاقت غيـرهـا من مـدن الأنـدلس في الخصب والنمـاء، وامتـدح الجغرافيون هذه الميزة في لورقة، فوصفوها بأنها من أكرم بقاع الأندلس(٩).

---

(١) ابن الشبَّاط المصـري، محمد بن علي، قطعة فـي وصف الأندلس وصقلية من كتـاب صلة السمط وسمـة المرط، نشـره أحمد مختـار العبادي، (مـدريد: صحيفـة معهد الـدراسات الإسلامية، ١٩٦٧ـ١٩٦٨م)، ص ١٠١.

(٢) شنترين (Santarem) مدينة تتصل أعمـالها بأعمال باجة في غـربي الأندلس. تقع على نهر تاجه، قـريب من انصبابه في البحر المحيـط، وهي حصينة. بينها وبين قرطبـة خمسة عشر يوما؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٦٧.

(٣) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٩.

(٥) الإدريسي، المصـــدر الســـابق، ص ١٩٤؛ المقـري، المصــــدر الســـابق، ج١، ص ١٦٨-١٦٩.

(٦) قرطاجنة(Cartagena) مدينـة قريبة من ألش من أعمـال تدمير، وتعـرف بقرطاجنـة الحلفاء؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٢٣.

(٧) القـزويني، زكريـا، آثـار البلاد وأخبـار العبـاد، (بيروت: دار صـادر، د.ت)، ص ٥٤٥، ٥٤٦.

(٨) لورقـة (Lorca): مدينة من أعمـال تدمير، وبها حصن ومعقل محكم، وتكثر فيهـا الفواكه؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٢٥، ٢٦.

(٩) العذري، المصدر السابق، ص ٢؛ القزويني، المصدر السابق، ص ٥٥٥، ٥٥٦.

غير أن أهم المناطق خصوبة في لورقة، فحص[1] شنقنيرة، وقد وصفه العذري[2] بأنه الفحص الذي لايعرف في الأرض مثله. ومن طريف مايروى حول خصوبة التربة في هذه المنطقة، أن وفدًا من زعماء العرب بكورة تدمير من المضرية واليمانية، حضروا إلى مجلس الأمير محمد بن عبد الرحمن، وفيه عدد من الوزراء وكبار موظفي الدولة، فسألهم الوزراء عن حقيقة مايقوله الناس عن فحص شنقنيرة وخصوبته التي اشتهر بها، فأكد لهم زعماء العرب صحة الأخبار التي يتناقلها الناس عن هذا الفحص، كما أخبروهم بأن الحبة يتفرع من أصلها ثلاثمائة قصبة في تلك المنطقة، فلم يصدق الوزراء ذلك، فما كان من القوم إلا أن وجَّهوا رسولاً إلى الفحص فحمل معه أصولاً من ذلك الزرع فأحضرها، فعدوا في بعض أصولها ثلاثمائة قصبة، في كل قصبة سنبلتها، فتعجبوا كثيرًا من ذلك[3].

ولقد كان لوفرة المياه في الأندلس دوره الإيجابي في تقدم الزراعة، فقد تعددت مصادر المياه فيها، وهي تتمثل في كل من: الأنهار، الآبار، الأمطار.

ومما يدل على وفرة المياه في الأندلس، ماذكره ابن الشبّاط[4] من أن المسافر من جهة إلى أخرى في الأندلس، لايحتاج إلى التزود بالماء، وذلك لكثرة أنهارها وعيونها وآبارها. كما ذكر ابن الخطيب[5] أن الأندلس قد خصَّها اللّهُ من الري وغدق السقيا بما لايوجد في كثير من الأقطار الأخرى.

---

(١) الفحص هو كل موضع يسكن، وهو في الأصل اسم لما استوى من الأرض والجمع فحوص؛ الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، المجلد الرابع، ص ٤١٤.

(٢) العذري، المصدر السابق، ص ٢، ٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢، ٣؛ الحميري، المصدر السابق، ص٥١٣.

(٤) ابن الشباط المصري، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٥) ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق بروفنسال، ص ٤.

ويشق الأندلس أربعون نهرًا[١]، وأتاح ذلك للأندلسيين أن يستفيدوا منها في ري مزروعاتهم، خاصة وأن مياه الأنهار كانت تسقي لمسافات طويلة تصل إلى العشرين ميلاً [٢] وتصل أحيانًا إلى الأربعين ميلاً [٣]. وذلك بفضل الأرحاء[٤] التي أقامها الأندلسيون على الأنهار وأحسنوا الاستفادة منها في نقل المياه من مصادرها إلى مناطقهم الزراعية. ففي معظم مدن وقرى الأندلس كانت توجد هذه الأرحاء، كما في نهر مربلّة في بيّانة[٥] وفي نهر شاطبة[٦] ونهر شلب[٧] وغيرها من المدن الأخرى.

أمَّا الآبار فَتُشكِّل مصدرًا هامًا من مصادر المياه في الأندلس، وربما كان يستفاد منها في ري المناطق الزراعية في بعض الجهات التي لايوجد فيها أنهار، وذلك بواسطة السواني[٨]. فقد كان أهل قسطلَّة[٩] يسقون بساتينهم بالسواني[١٠].

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٦.

(٢) العذري، المصدر السابق، ص ٢٢؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٤٨٤؛ الحميري، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) ياقوت، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٦٠.

(٤) الأرحاء هي النواعير ومفردها الناعورة وهي التي يستقى بها، يديرها الماء ولها صوت. انظر: الزبيدي، تاج العروس، المجلد الثالث، ص ٥٧٦، وقد أشار الخوارزمي إلى الآلات التي تسقى بها الأراضي المرتفعة، فذكر منها الناعورة والدالية والمنْتجنُون والغرّافة والزُرنوق، انظر: الخوارزمي، أبا عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٢هـ)، ص ٤٦.

(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٦) العذري، المصدر السابق، ص ١٨، ١٩.

(٧) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٨) السانية: البعير أو الثور أو الحمار يربط به الرِّشاء يجره فيخرج الغَرْب. والسقي عليها يسمى السناوة. انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، (بيروت: المكتب التجاري، د.ت)، المجلد الثاني، السفر التاسع، ص ١٦١.

(٩) قسطلَّة: قرية في غرب الأندلس؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٧٩.

(١٠) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

وقد أدرك الأندلسيون أهمية مياه الآبار في حياتهم، وجسَّدوا تلك الحقيقة في أمثالهم، فقالوا: "الرزق في البير"(١)، وواضح أن المقصود من هذا المثل هو أن البئر مصدر رزق. ولهذا نجدهم يكثرون من حفر لآبار واستنباط المياه، ووصلوا في ذلك إلى درجة متقدمة من المهارة والإتقان(٢).

ويقدِّم لنا ابن حيان(٣) نصاً ثمينا يدلُّ على براعة الأندلسيين في استنباط المياه، فقد أشار في حوادث سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، إلى أن الأمير محمد بن عبد الرحمن خرج على رأس حملة عسكرية لحصار عبد الرحمن بن مروان الجليقي في قلعة الحنش، وكان من جملة التدابير العسكرية التي اتخذها الأمير محمد؛ حرمان المعتصمين بالقلعة من الانتفاع بماء النهر الذي تقع عليه هذه القلعة، حتى يضطرهم العطش إلى الاستسلام، فأمر بإلقاء جيف الحيوانات في النهر حتى أصبح ماؤه مُرًّا، فما كان من ابن مروان وأصحابه، إلا أن: "... احتفروا عند ذلك آبارًا في أصل حصنهم هيأ اللَّهُ لهم فيه ماءً عذبًا معينًا قريبًا عاشوا به بعدما هموا بالاستسلام، فعادوا إلى الامتناع، وبنوا للآبار حيطانًا تقيهم الرمي أقاموا عليها الخشب الثقال مكسوة جلود البقر، فاحتفروا بقعورها السروب لاجتلاب المياه، فكانوا يختلفون إلى تلك الآبار على تلك السروب".

وهذه الوسيلة التي فصَّلها ابن حيان، وهي حفر عدة آبار في مواضع متقاربة ثم التوصيل بين قيعانها بمجموعة من السروب الأرضية هي التي طبقت في مدينة مجريط(٤)، حينما بنيت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن قبل

---

(١) الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، رقم المثل ٥٢٦، ص ١١٨.

(٢) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥١.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٥١.

(٤) مجريط: مدينة بالأندلس شريفة بناها الأمير محمد بن عبدالرحمن. ومن مجريط إلى قنطرة ياقوه، وهي آخر حيز الإسلام، أحد وثلاثون ميلاً؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٥٢٣.

وقوع هذه الأحداث في غرب الأندلس بعدة سنوات فقط[١].

وتعد مياه الأمطار مصدرًا هامًا من مصادر الري، وتوضح لنا الأمثال الأندلسية هذه الحقيقة الفلاحية، إذ جاء فيها: "مطر فبريل خير من فيض النيل"[٢]. ونستبين في هذا المثل مدى اعتماد الزراعة على الأمطار ومواسم نزول المطر وحتى كميّته أيضًا.

ويجب ألا يغرب عن البال، ونحن نتحدث عن العوامل الإيجابية المؤثرة في الزراعة؛ وجود الأدوات الزراعية في أيدي الفلاحين، ودورها الهام في تقدم الإنتاج الزراعي. فقد استعمل المزارعون آلة تسمى السكّة لفلاحة الأرض[٣]، كما استخدموا المنجل في حصاد زروعهم[٤].

غير أن هناك عوامل سلبية عملت على تعطيل قوى الإنتاج وشلّ الحركة الاقتصادية عمومًا بما فيها الزراعة. وتأتي الحروب والفتن الداخلية التي أنهكت قوى الأندلس في أواخر عصر الإمارة بالذات في مقدمة هذه العوامل السلبية، إذ تسببت هذه الحروب في إتلاف المزارع وفي تعطيل حركة تسويق الإنتاج الزراعي من منطقة إلى أخرى. فقد وجد المتحاربون أن الحرب الاقتصادية سلاح فعال قد يساعد في ترجيح القوة العسكرية لطرف ضد آخر.

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، انظر حاشية رقم ٥٨٦، ص ٦٣٦؛ وانظر كذلك: محمود علي مكي، مدريد عاصمة إسبانيا التي بناها المسلمون، مجلة العربي، العدد ٤٧، الكويت، ١٩٦٢م، ص ١٦ ـ ٢٢.

(٢) الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، رقم المثل ١٥٣٢، ص ٣٤٩.

(٣) الزبيدي، أبوبكر محمد بن الحسن، لحن العامة، تحقيق عبدالعزيز مطر، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م)، ص ١٢٣.

(٤) ابن بصال، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم، كتاب الفلاحة، نشره خوسي مارية مياسي بييكروسا ومحمد عزيمان، (تطوان: معهد مولاي الحسن، ١٩٥٥م)، ص ٩٧. ووردت الإشارة إلى المنجل في أبيات من الشعر لسعيد بن جودي يمتدح فيها سوار بن حمدون زعيم العرب في كورة البيرة أيام الأمير عبدالله بن محمد، ومما جاء فيها:

لظلت سيوف الهند تحصد جمعكم حصاد زروع أينعت للمناجل

انظر: ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٥٧.

ففي سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦م، ثار رجل يدعى، حزم بن وهب، على الإمارة الأموية في منطقة باجة، وتضخمت جموعه، فسار بهم إلى لشبونة(١)، فأخرج له الأمير الحكم بن هشام، حملة عسكرية بقيادة ابنه هشام: "فأذله ومن معه وقطع الأشجار وضيق عليهم"(٢).

وفي سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م، جرّدت الإمارة الأموية جيشًا كثيفًا إلى أهل ماردة، بعد أن شقوا عصا الطاعة، فأوقع بهم وأفسد زروعهم(٣). وفي سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، غزا المنذر بن الأمير محمد بن عبد الرحمن بالصائفة إلى سرقسطة: "فانتهب ما أدركه من زرعها وحطم معايشها وقطع ماقدر عليه من أشجارها"(٤).

وكان حصن ببشتر، معقل الثائر ابن حفصون، كثير المياه والأشجار والثمار والكروم وشجر التين وأصناف الفواكه، ولكن فتنة ابن حفصون قد أتت على أكثر ذلك(٥).

وكان للكوارث الطبيعية التي انتابت الأندلس بين الحين والآخر خلال هذه الفترة أثرٌ سَيئ على النشاط الزراعي والثروة الحيوانية، فقد تعرضت الأندلس خلال هذه الفترة لأزمات قحط ومجاعة وسيول جارفة، كما عانت من آفة الجراد المدمِّرة.

ولم تكن الآثار الضارة للقحط لتقتصر على انقطاع نزول المطر فحسب، بل تضاعف تأثيرها السلبي على الزراعة عندما كان يترتب عليها في أغلب

(١) لشبونة (Lisbonne)، أو أشبونة. من كور باجة، على طريق العساكر، وهي مدينة قديمة على سيف البحر، والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر لها سور وقصبة منيعة؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦١.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٥.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٢.

(٤) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٤١؛ العذري، المصدر السابق، ص ٣٥.

(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ٧٩.

الأحوال هلاك عـدد كبير من الناس، أو هجرتهم إلى الخـارج، فكانت النتيجة أن خسرت الزراعة أهم مقوماتها، وهي الأيدي العاملة.

ففي سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م، وقعت في الأندلس مجـاعة شديدة، ومات فيها عدد كبير من الناس[١]. وفي سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، كان القحط الذي عمَّ الأندلس، فهلكت المواشي واحتـرقت أشجار الكروم[٢]. ومن أعظم سنـوات القحط التي أصابت الأنـدلس، تلك التي حدثت سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، وقد تضررت البـلاد كثيرًا مـن هذه المجاعـة، إذ مات فيهـا خلق كثير مـن الناس، وجرى المثل بها على ألسنة الناس زمنًا طويلاً، فقالوا: "سنة ستين"[٣].

وفي سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، وقعت بالأنـدلس مجاعـة شديـدة، ومات بسببها خلق كثير من الناس، وعبر كثير منهم البحر إلى أرض العدوة المغربية، وكانت تعرف هذه السنة، بسنة جوع جيان[٤].

ولـم تكن السيول الجـارفة بأقل ضرر من سنوات القحط والمجـاعة؛ فقد شهدت الأنـدلس وقوع سيول عظيمة في سنـوات متفرقة، وتركت هـذه السيول آثارًا سيئـة على النشاط الزراعي والثـروة الحيوانية، إذ نتج عنهـا تحطم عدد من المنشآت كالقناطر والأرحاء، وهي ـ كمـا لايخفى ـ ذات أهمية بالغة في الحياة الزراعية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه السيول تسببت في إتلاف كثير من المزارع، كما تضـررت الثروة الحيوانية كثيـرًا من تلك السيول الجارفـة، ففي كل مرة يقع فيها السيل يصاحبها هلاك أعداد كبيرة مـن الماشية. ومثال ذلك ماحدث سنة

---

(١) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١.

(٣) المصـدر نفسـه، تحقيق محمود علي مكـي، ص ٣٤٣؛ ابن عذارى، المصـدر السـابق، ج٢، ص١٠٢.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٤٦.

١٨٢هـ/ ٧٩٨م، إذ وقع سيل عظيم بقرطبة ذهب بربض القنطرة[١]. وفي سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م وقعت سيول عظيمة بالأندلس، وقد تضررت بالدرجة الأولى مدن الثغر الأعلى، فتهدمت معظم الأسوار في هذه المدن، كما فسدت قنطرة سرقسطة[٢].

وأعظم هذه السيول جميعًا وأخطرها ذلك الذي وقع سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م، ونتج عنه تحطم حنيتين من قنطرة مدينة إستجة، وفساد عدد من أرحائها. وامتدت أضرار هذه السيول إلى كورة إشبيلية، فأغرقت ست عشرة قرية بالقرب من إشبيلية، وهلك بسببها جملة من الناس والبهائم والأمتعة[٣].

وتأتي آفة الجراد ثالثة الكوارث الطبيعية التي أصابت الأندلس، وانعكست أضرارها على الزراعة فيها، إلا أن حجم الخسائر التي أحدثها الجراد في الزراعة كانت أقل فيما يبدو من تلك الخسائر الناجمة عن القحط أو السيول الجارفة، وذلك بسبب قلة ظهوره في هذه الفترة.

وكان ظهور الجراد يأتي مصاحبًا لسنوات القحط والمجاعة أو مسبِّبًا لها، مما زاد في سوء أحوال الناس المعيشية عند حلول مثل هذه الكوارث. ففي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، وقعت بالأندلس مجاعة شديدة: " . . وكان سببها انتشار الجراد بالأرض ولحسه الغلات وتردده بالجهات، فنالت الناس مجاعة عظيمة "[٤]. وقد اجتهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، في معالجة هذه الأزمة والتخفيف من آثارها، وذلك بإطعام الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة[٥].

---

(١) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٠.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٦.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٥.

(٤) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٩٣.

(٥) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٩٣.

وفي سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، ظهر الجراد في الأندلس، وقد صادف ظهوره في سنة قحط عمَّت البلاد، فأهلكت المواشي وأحرقت أشجار الكروم[١].

وكان للفوضى الرعوية وتسيب الماشية في المناطق الزراعية أثر بالغ في الإضرار بالمزارع، ويستشف ذلك من الأسئلة المتكررة التي وجهت إلى فقهاء الأندلس في هذه الفترة حول هذا الموضوع[٢].

ثانيًا: نظام الأراضي:

أ- أراضي الدولة:

إن الحديث عن توزيع أراضي الدولة في الأندلس، أو التقسيم الإداري لها في هذه الفترة، حديث تكتنفه مخاطر عدة، فلا يمكن الركون إليه و لا الاعتماد عليه تمامًا، وذلك لما يواجه الباحث في هذا الموضوع من صعوبات تتمثل في ندرة المادة العلمية. فالمصادر التي بين أيدينا التزمت الصمت في هذا الجانب، ولم تبد لنا إلا إشارات قليلة ومبعثرة لا يمكن الاستفادة منها في تكوين صورة شاملة متكاملة عن الموضوع.

ويحاول أَحَدُ الباحثين أن يعلِّل هذا الصمت بافتراضه أن التقسيم الإداري للأندلس والجبايات التي تقررت على النواحي لم تكن، بالنسبة للأمراء أو كتابهم، مسألة تستوقف الاهتمام والنظر، كأن العرب حينما دخلوا البلد وجدوا فيه نظامًا إداريًا جاريًا ثابتًا صالحًا فجروا عليه، دون الحاجة إلى إعادة التخطيط والتنظيم[٣].

ويبدو أن الأحداث السياسية والعسكرية بصفة خاصة قد حالت دون الاهتمام بقضية الأرض في هذه المرحلة المبكرة. وهذا مايفسره لنا ندرة المعلومات المتعلقة بهذا الجانب.

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١.
(٢) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣٢، وكذلك ج ٨، ص ٣٢٦، و ج ٩، ص ٤٤.
(٣) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٥٣٢.

ولعل أول إجراء فعلي لتنظيم أراضي الدولة في الأنـدلس قد تمّ في خلافة عمـر بن عبدالعـزيز ٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م، فقـد عيَّن هـذا الخليفـة السمح بن مالـك الخولاني(١) واليًـا على الأنـدلس، وأمـره أن يخمِّس أرضهـا ويخرج منهـا ماكـان عنوة خمسـاً لله من أرضهـا وعقارها، ويستبقـي القرى في أيدي مغتنميها بعد أن يأخذ الخمس. وقد باشر السمح بن مالك عمله في سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م، وابتدأ في تمييز أراضي العنوة من الأراضي التي صولح عليها أهلها(٢).

ويبـدو أن عبد الـرحمن بن معاويـة قد منح قضيـة الأرض حيِّزًا كبيـرًا من تفكيره، خاصة وأنـه كان حريصًا على تنظيم الموارد الماليـة للدولة بشكل يؤمن لها متطلبـاتها، فعمـد عند ذلك إلى الحـدِّ من عدد الضياع الكبيـرة التي وهبت لبعض أمـراء البيت الحـاكم القـوطي. فقد أمـر عبـد الـرحمن وفق روايـة ابن القوطية (٣) بقبض ضيـاع أرطبـاس بن غيطشـة، وكـانت ألف ضيعـة في وسط الأندلس، لكنه بعـد ذلك أمر له بعشرين ضيعة فقط صرفت لـه. وإذا كان عبد الرحمن قد قبض ضيـاع أرطباس فلا شك أنه قبض ضياع آخـرين، وربما أيضًا عمد إلى مصادرة أموال و إقطاعات الذين ثاروا عليه(٤).

وأما أراضي الخراج في الأندلس فإنها كانت غير واضحة المعالم تمامًا، إذ حدثت منازعات حول حيازة هذه الأراضي في أواخر عصر الإمارة، وربما كان ذلك نتيجـة للحروب والفتن الـداخلية التي سـادت الأندلس في ذلك الـوقت، وكان لهـا أثَرٌ بـالغ في القضاء على الملكيات الخـاصة وتجهيل هـويتها، فمن

---

(١) السمح بن مالك الخولاني الحيـاوي، والي الأندلس. استشهد وهو يغزو الـروم سنة ١٠٢هـ بطرسونة. وكانت ولايته على الأندلس سنتيـن وثمانية أشهر؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤١.

(٢) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص ٣٠.

(٣) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٦٠- ٦١.

(٤) نجدة خماش، المرجع السابق، ص ٧٥.

ذلك مثلاً، ماروي من أن رجلاً من الصقالبة قد حبَّس[1] فدانًا[2] على مسجد له في إحدى القرى، لكن قومًا من النصارى اعترضوا سبيله في ذلك، وزعموا بأن هذا الفدان من أرض الخراج. وقد أفتى ابن لبابة ومعه عدد من فقهاء عصره في هذه القضية، ورأوا أن يبقى الفدان على وضعه السابق الذي اتخذه الصقلبي حتى يثبت عند القاضي بالبينة أنه من مال الجزية[3].

ب - الأحباس:

لقد كان التحبيس شائعًا في هذا العصر، واهتمت الدولة بأراضي الأحباس، فأنشئت لها إدارة خاصة بها ضمتها إلى القضاء، فيكون القاضي هو المشرف على ولاية الأحباس، يختار من يثق فيهم ويحسن الظن بهم فيوليهم إياها. ومن ذلك مثلاً ماروي من أن القاضي معاذ بن عثمان الشعباني[4] اختار لولاية الأحباس رجلاً أحسن الظن به لكنه امتحنه فوجده خلاف ماكان يرجو[5].

وكانت بعض الأموال الناتجة عن الأحباس توزع على الفقراء والمساكين في أوقات غير منتظمة في السنة، ثم تحددت بعد ذلك، ووضعت لها أوقات معلومة لتوزيعها على مستحقيها، ويعود الفضل في ذلك إلى القاضي أسلم بن

---

(١) الحبس لغة: المنع والإمساك وهو ضد التخلية، ومجازًا هو كل شيء وقفه صاحبه وقفًا محرمًا لايباع ولايورث من نخل أو كرم أو غيرها كأرض أو مستغل يحبس أصله وتسبّل غلته تقربًا إلى الله تعالى.
الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) الفدّان هما الثوران اللذان يفدن عليهما، أي يقرن للحرث بينهما، ولا يقال للواحد منهما فدان؛ ابن سيده، المصدر السابق، السفر العاشر، ص ١٥٢. غير أن الأندلسيين كانوا يقولون، خطئًا، للموضع الذي يحرث أو الحقل؛ فدّان. وهذا هو المقصود هنا. راجع: ابن هشام اللخمي، المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٣) ابن سهل، المصدر السابق، تحقيق محمد عبدالوهاب خلاف، ص ٨٠، ٨١.

(٤) معاذ بن عثمان الشعباني، من أهل جيان. ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم قضاء الجماعة مدة سبعة عشر شهرًا ثم عزله؛ الخشني، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ٥٦.

عبدالعزيـز ت ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، والذي كثرت الأحباس في مـدة ولايته وتنامت أموالها[١]. ولعل ذلك هو الـذي دفع القاضي أسلم إلى إعادة النظـر في أوقات توزيع هذه الأموال، وتخصيص أوقات معلومة لهذا الغرض.

ويبـدو أن المـرضـى كـان لهم نصيب من أمـوال الأحبــاس إلى جـانب الضعفاء والمسـاكين، فقد روي أن الناصر لدين اللـه عبد الرحمن بن محمد، احتاج إلى شراء مجشر[٢] من أحبـاس الـمـرضى بـقـرطبة، وقــد تـحـــدث مـع الــقـاضي أحـــمد بن بقي[٣] في هـذا الأمـر، وأبدى لـه رغبتـه في شـراء المجشـر، لكن القاضي ومعـه الفقهاء عـارضوا طلب الأميـر ولم يجيبوه إلى مـا أراد[٤].

ويتضح مما سبــق إيـراده عن كثـرة الأحبـاس في مـدة ولايــة القاضــي أسلــم بن عبـدالعـزيـز، واضطـراره إزاء ذلـك إلى تنظيم أوقـات صـرفهـا على

---

(١) القاضـي عياض، عياض بن مـوسى اليحصبي، تـرتيب المدارك وتقـريب المسالك لمعـرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت)، ج ٥، ص١٩٧.

(٢) المجشـر لغة: القـوم يخرجـون بدوابهم إلـى المرعى ويبيتـون مكانهم لايأوون إلى البيـوت؛ الزبيدي، المصـدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٠١. ويـذكر ابن هشام اللخمي أن من أخطاء العـامة في الأندلس أنهم يقـولون للمنـزل جَشْر ومَجْشَر. انظـر: ابن هشام اللخمي، المصدر السـابق، ص ١٥٣. ووردت الإشارة إلى المجشـر عند الخشني إذ يقـول: "حكم عمـرو بن عبـدالله علـى هاشم بن عبـدالعـزيـز في مجشـر كان فـي يده بجـانب جيـان"؛ الخشني، المصدر السـابق، ص ٦٨. ويظهر أن المراد بالمجشـر هاهنا هو الضيعـة، وقد أشار عـزالدين موسى إلى أن الضيعة هي في الاصطـلاح المغربي المجشر. انظر: عـزالدين موسى، النشـاط الاقتصادي في المغرب الإسـلامي خلال القرن السادس الهجـري، الطبعة الأولى (بيروت / القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص١٤٨.

(٣) أحمد بن بقي بن مخلد، أبو عبدالله. سمع من أبيه خـاصة وهو صغير. وكان زاهدًا فاضلاً، وشـوور في الأحكـام أواخر عهـد الأميـر عبـدالله بـن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠هـ، وولي تفـريق الصدقات والصلاة ثم قضاء الجماعة سنة ٣١٤هـ. وتوفي رحمه الله سنة ٣١٤هـ؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٠.

(٤) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الاعتصام، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج ٢، ص ١٧٧.

مستحقيها، وكـذلك من تخصيص سهم من أموال الأحبـاس للمرضى؛ يتضح من ذلك كلـه، أن التحبيـس كـان شـائعًـا في أواخـر هــذه الفتـرة على وجـه الخصوص، وذلك باعتباره وجهًا من وجـوه الخير والتقرب إلى الله. ولعل هذا يشير إلى وفرة الأموال في أيدي الناس أو بعضهم، لاسيما مع بداية عهد الناصر لدين الله، الذي شهد انضباطًا أمنيًا واستقرارًا سياسيًا.

جـ/ الإقطاع:

كـان الإقطاع معـروفًا في الأنـدلس منذ استقـرار المسلمين فيها واستمـر حتى أواخر عهـد المنصور بن أبي عـامر ت: ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م. فقـد كانت جيوش الأنـدلس في بادئ الأمر تعتمـد على نظام القبائل والعشـائر من العرب والبربر التي كانت تقيم في الكور والمـدن والقرى على أساس إقطاعها الأراضي فيها، وقد أعطى عمر بن عبدالعزيز العرب الوافدين تباعًا إقطاعات واسعة حتى كادت أرض الخمس أن تتلاشى[١]. وقد امتدح الطرطوشي[٢] هذا النظام وأشار إلى دوره الإيجـابي في الرفع من مستـوى الإنتاج الـزراعي إلى أن كان الأمـر في أواخـر عهد المنصـور بن أبي عامـر الذي ألغى هـذا النظام واستبـدله بصـرف الرواتب مشاهرة على الجنود وترك الرعية لتتفرغ لإعمار أرضها[٣].

ويـلاحظ أن الحكم بن هشـام قـد سبـق غيـره من حكـام الأنـدلس إلى التقليل من الاعتمـاد الكلي على الإقطـــاع، فقـد رأى هـذا الأميـر أن يقيم إلى جانب ذلك جيشًا ثابتًا يعتمد عليه في كل وقت ويتقاضى جنوده عطاءً ثابتًا من الدولة. فأمر بتكوين فرقة من الحرس الخاص، وهم من الصقالبة[٤].

---

(١) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٦١٨- ٦٢١.

(٢) الطرطوشي، أبوبكـر محمد بن محمد بن الوليد، سراج الملـوك، الطبعة الأولى، (القاهرة: المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣١٩هـ)، ص ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٤) أحمد مختار العبادي، الإسـلام في أرض الأندلس، ص ٩١.

وعلى الرغم من مزاحمة هذا النظام العسكري الجديد للإقطاع القديم إلا أن الأخير ظل محتفظًا بأهميته الإستراتيجية وخصوصًا في مناطق الثغر الأعلى التي تتطلب حضورًا عسكريًا دائمًا ويقظًا. فقد روى ابن حيان[1] في حوادث سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، أن عامل الثغر الأعلى كتب إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم يخبره أنه اكتفى بمائة وثلاثين غلامًا ممن يثق في كفاءتهم من مواليه وغلمانه، وذلك بعد أن اطمأن إلى هدوء الثغر، فوافق الأمير عبد الرحمن على هذه التدابير: " . . وأجرى القطائع على عدته تلك التي اقتصر عليها من الرواتب والنفقات والعلوفات عليهم" . ولما افتتح الناصر لدين الله مدينة إستجة سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م؛ صفح عن إجرام أهلها واغتفر ما سلف من سيئاتهم: "وأوسعهم طولاً وإحسانًا وألحق فرسانهم وحماتهم جملة الجند بالأرزاق الواسعة والقطائع الفاضلة على أهليهم وعيالاتهم "[2].

ولكن مثل هذا القول لايعني أن أمراء بني أمية توقفوا على إقطاع أهل خاصتهم وأعيان دولتهم من أمراء وعلماء الأراضي. فقد سبق أن لاحظنا أن الأمير عبد الرحمن بن معاوية قد عمد إلى الحدِّ من الضياع الكبيرة للأمراء القوط، وأن من المحتمل أنه صادر أموال وممتلكات الثائرين عليه، وكان يهدف من ذلك إلى تنظيم موارد دولته المالية وزيادة مساحة الأراضي التي تشرف عليها الدولة ومن ثمَّ فإنه يكون بمقدوره أن يقطع من هذه الأراضي لمن شاء ومتى شاء حسب الظروف[3].

ويبدو أن الهدف من منح الإقطاعات كان يختلف باختلاف شخصية المستفيد من الإقطاع ومكانته الاجتماعية. ولذا فإننا نستطيع أن نميِّز بين أنواع هذه القطائع. فمنها ماهو إقطاع هبة أو تأليف.

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص٦-٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٥.

(٣) انظر أعلاه، ص١١٦.

فإقطاع الهبة هو أن يِهبَ الأميرُ الأموي إقطاعًا لواحدٍ أو أكثر من أفراد البيت الأموى، فعندما أنشأ الأمير عبد الرحمن بن معاوية الدولة الأموية، حرص على لمِّ شتات أسرته المبعثرة في كل مكان وأغراهم بالوفادة إليه، فكان يبالغ في إكرامهم ويمنحهم القطائع الواسعة، ومن هؤلاء حبيب القرشي(١).

فقد اشترى له الأمير عبد الرحمن بن معاوية ضيعة ووهبها إياه وذلك بعد أن دخل حبيب في نزاع طويل مع أصحاب الضيعة الحقيقيين(٢). وأقطع الأمير عبد الرحمن، ابن عمه عبدالملك بن عمر(٣) عدة قطائع له ولأولاده، وذلك تقديرًا منه للجهود المضنية التي بذلها في إخماد ثورة العرب اليمانية بإشبيلية سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م(٤). ودخل الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم عدد من أبناء البيت الأموي فأقطع كل واحد منهم وأجرى عليهم الأرزاق(٥). ومن إقطاع الهبة مايعطى لغير أمراء بني أمية من أعيان الفقهاء أو المبرِّزين. من هذا مايروى من أن الأمير هشام بن عبد الرحمن وهب الإسباط بن جعفر بن سليمان(٦) ضياعًا كثيرة عندما عينه قاضيًا على إلبيرة وعرفت باسمه

---

(١) حبيب بن عبدالملك بن عمر بن الوليد بن عبدالملك بن مروان، أبو سليمان. كان بالأندلس في سلطان عبد الرحمن بن معاوية وكانت له منه خاصة، لم تكن لأحد من أهل بيته. وولاه طليطلة وأعمالها وكان حبيب من الذين يشاورهم عبد الرحمن بن معاوية في رأيه وإدارته ويدني مجالسهم منه. انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) الخشني، المصدر السابق، ص ٢٣، ٢٤.

(٣) عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم، أبو مروان، فارس بني مروان. قدم من مصر على عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٤٠هـ وهو في عشرة رجال من بنيه فرسان فولاه إشبيلية وولى إبنه عبد الله مورور. انظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص ٥٦.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٩- ٤٠.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٩٦- ٩٧.

(٦) الإسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد بن بكر بن هوازن. من أهل إلبيرة. ولاّه الأمير هشام بن عبد الرحمن قضاء إلبيرة حين بلغه زهده وورعه وأنه لم يشارك إخوته في ميراث أبيه. وقد أقره الحكم بن هشام على القضاء؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ٢١٠.

فيما بعد[١]. وعندما دخل المُغنِي زرياب الأندلس في مطلع عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالغ هذا الأمير في إكرامه والاحتفاء به وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ماقيمته أربعين ألف دينار[٢].

أما إقطاع التأليف[٣] فهو ما استخدمه أمراء بني أمية في اصطناع الرجال أو تكريم أهل العلم وغيرهم من الفقهاء والقضاة، أو في استمالة قلوب الأعداء وتسكين الثورات. وقد لاحظ أحد الباحثين أن الإمارة الأموية تستخدم أساليب الاستمالة بإغداق الأموال إلى جانب إقطاع الأراضي[٤]. ومنح الأمير عبد الرحمن بن معاوية إقطاعًا لأحد زعماء العرب في إشبيلية وذلك بعد أن روى له حديثًا مفاده أن ملك بني أمية سيبقى إلى آخر الدهر[٥].

د - الملكيات الخاصة :

لقد امتلك كثير من أبناء المجتمع الأندلسي العديد من الضياع والأملاك الخاصة، وقد حصلوا عليها إما عن طريق الوراثة أو على سبيل الهبة من الدولة أو بواسطة الشراء التجاري[٦].

ويلاحظ ابن حوقل[٧] أن التملك فاشٍ في الخاصة والعامة في الأندلس. وتتفق ملاحظة ابن حوقل هذه مع معظم مانقرأه عن مشاهير رجال الأندلس في

---

(١) ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص ٢١٠.

(٢) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٥.

(٣) عز الدين موسى، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٤) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٥) ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٢.

(٦) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٥.

(٧) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٤.

هذه الفترة؛ إذ قلَّما نجد ذكرًا لشخص دون الإشارة إلى ضيعته أو أملاك أخرى له، حسبما سيجيء توضيح ذلك فيما يلي.

يمكننا أن نتحدث عن نوعين للملكية الخاصة، فهناك ملكية الفئة الحاكمة، وملكية فردية بأيدي الفلاحين في القرى، أو بأيدي فئات مقيمة في المدن وهم من كبار المُلاَّك الذين اتخذوا لهم وكلاء ينوبون عنهم في الإشراف على ضياعهم، كما استغلوا أراضيهم عن طريق العبيد أو الأُجراء(١).

فبالنسبة للنوع الأول؛ فقد كان الأمراء الأمويون من كبار الملاكين، فكانت لهم القطائع الواسعة(٢)، وبلغت شهوتهم في التملك حدّا جاوز بهم الحدَّ المشروع، فكانوا يضعون أيديهم قسرًا على الأراضي التي تعجبهم. وقد تضرر صغار الملاكين كثيرًا من هذه التجاوزات المتكررة، غير أن الله تعالى قيَّض لهم قضاة على درجة كبيرة من النزاهة والصرامة فكانوا دائمًا يَحُولون بين الأمراء ورغباتهم غير المشروعة(٣).

أما النوع الثاني، وهي الملكية الفردية، فقد أمدتنا مصادرنا بالكثير من الأخبار حول هذا الموضوع، وهي تشير جَميعُها إلى شيوع التَملُّك بين أوساط المجتمع الأندلسي، فمن النادر أن نقرأ ترجمة لمشاهير رجال الأندلس في هذه الفترة دون أن يرد فيها إشارة إلى ضيعته أو ممتلكاته الأخرى، وهذا مايحملنا على الظن بأن المجتمع الأندلسي، وقتئذ، كان يعشق الزراعة إلى درجة يصح معها أن نسميه مجتمعًا زراعيًا.

والواقع أن هذا الكلام ينطبق كثيرًا على فئة القضاة، إذ كان معظم هؤلاء أصحاب ضياعٍ واسعة يزرعون فيها، فإذا ماتقلَّد أحدهم منصب قضاء الجماعة

---

(١) S.M. IMAMUDDIN, MUSLIM SPAIN, 711-1492, LEIDEN, 1981, P.75.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٩٥.

(٣) الخشني، المصدر السابق، ص ٢٣ - ٢٥؛ النباهي، المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٨.

بقرطبة وكان لزاماً عليه أن يقيم في العاصمة الأندلسية؛ نراه يتخذ له وكيلاً لينوب عنه في مهمة الإشراف على ضيعته. والأمثلة الدالة على مثل هذا النوع من الملكية كثيرة جدًا، نذكر منها: ماروي من أن القاضي المصعب بن عمران[1]، عندما تقلّد منصب القضاء بقرطبة؛ اشترط على الأمير هشام بن عبد الرحمن، أن يأذن له في زيارة ضيعته يومي السبت والأحد من كل أسبوع، ويباشر عمله في سائر الأيام، فأجابه الأمير إلى ذلك[2].

أما القاضي محمد بن بشير[3] فقد كانت له ضيعة في باجة[4]، ويلاحظ أن هذا القاضي كان يمتلك أعدادًا من الرقيق[5]، ومن المرجَّح أنهم كانوا يعملون في ضيعته تلك. وكان للقاضي سعيد بن سليمان وكيلاً على ضيعته بفحص البلوط[6]. كما اتخذ الوزير هاشم بن عبدالعزيز وكيلاً يقوم على شؤون ضياعه وممتلكاته[7].

بل إن الملكية الفردية قد عرفت مساحات شاسعة من الأراضي والضياع وربما القرى أيضًا، فقد كان لدى الطبيب حمدين بن أبان[8] ضياع وممتلكات بقرطبة، وبلغ من أهميتها وعظم قدرها أنه كان يستغني بها في طعامه ولباسه

---

(١) المصعب بن عمران بن شفي بن كعب الهمداني. من العرب الشاميين. دخل الأندلس قبل دخول عبدالرحمن بن معاوية، فنزل بقرية باذو من كورة جيان، ثم رحل إلى موضع من عمل قرطبة؛ الخشني، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٣) محمد بن بشير بن شراحيل المعافري. أصله من جند باجة من عرب مصر. ولاّه الأمير الحكم بن هشام قضاء الجماعة بقرطبة؛ المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٧) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٤٨.

(٨) حمدين بن أبان: كان طبيبًا حاذقًا مجربًا. عاش في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م، وكانت له بقرطبة أصول ومكاسب؛ ابن جلجل، المصدر السابق، ص٩٣.

وركوبه وفي معظم مايحتاج إليه من شؤون الحياة تقريبًا، فقد كان: "لايركب الدواب إلا من نتاجه ولا يأكل إلا من زرعه ولايلبس إلا من كتان ضيعته"[١].

ويبدو أن بعض التجار قد استثمر أرباح تجارته في شراء الأراضي واستصلاحها وزراعتها، فقد وصف القاضي أحمد بن محمد بن زياد ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م، بكونه بصيرًا بالتجارة، ويظهر أنه اشترى له مُنْية أحاطها بسور وكان يزرع فيها، واتخذها مكانًا لإقامته بعد عزله عن القضاء للمرة الأولى[٢]. ومن المحتمل جدًا أن هذه المنية اشتراها ابن زياد من أرباح تجارته، خاصة وأنه كان فقيرًا في أول أمره وقبل أن يلج عالم التجارة[٣].

ثالثًا: المحاصيل الزراعية وأماكن زراعتها:

أ/ الثروة الغابية: تشكل الغابات المنتشرة في مناطق عديدة من الأندلس، رافدًا هامًا من روافد النشاط الاقتصادي. وقد امتدت الغابات على طول المناطق الشرقية والجنوبية، وغطت مساحات شاسعة على سفوح الجبال.

لقد استفاد الأندلسيون كثيرًا من أخشاب الغابات في أغراض متنوعة، كأعمال البناء وصناعة المراكب وتسقيف المساجد وفي صناعة الأثاث المنزلي[٤]، كما استفادوا منها في الوقود حيث يستخرج الفحم النباتي ومعظم

---

(١) ابن جلجل، المصدر السابق، ص ٩٣؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٣، ص٦٥.
(٢) الخشني، المصدر السابق، ص ١٠٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠١، ١٠٢.
(٤) سنتناول ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الصناعات الخشبية.

العناصر الضرورية للإضاءة[١]، فضلاً عن ثمار أشجارها والتي كانوا يستعينون بها في سنوات الجدب والمجاعة فيتخذونها غذاءً لهم[٢].

أمَّا أهم أنواع الخشب المستخرج فهي خشب السنديان الذي تنتجه أشجار البلوط التي كانت تغطي المساحات الواقعة في شمال قرطبة حيث كانت تسمى فحص البلوط[٣].

وتنتشر أشجار الصنوبر في شرق الأندلس، حيث توجد في المناطق الجبلية في طرطوشة[٤] بالإضافة إلى أشجار البقس[٥]. كما تكثر أشجار الصنوبر في المناطق القريبة من قونكة وبالذات حصن قلصة حيث تتصل به مناطق جبلية تتواجد فيها أشجار الصنوبر بكثرة[٦]. وكذلك تنتشر أشجار الصنوبر في مدينة القصر[٧] وفي جزيرة يابسة[٨].

---

(١) كولان، المرجع السابق، ص ٣؛ عبدالحميد الشرقاوي، الحياة الاقتصادية في الأندلس في القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراة، القاهرة: كلية الآداب بجامعة القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٧٢، ويذكر الزبيدي أن الأندلسيين كانوا يستخرجون مادة الزفت من أشجار الصنوبر؛ الزبيدي، لحن العامة، ص ١٢١.

(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣) عبدالحميد الشرقاوي، المرجع السابق، ص ٧١.

(٤) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩١. وقد وصفت أخشاب طرطوشة بجودة نوعيتها حيث تمتاز بطولها ومتانتها وبلونها الأحمر الصافي وعدم تعرضها للتلف.

(٥) ابن غالب الغرناطي، محمد بن أيوب، نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبدالبديع، (مصر: مطبعة مصر، ١٩٥٦م)، ص ١٦-١٧؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩١؛ والبقس هو شجر يشبه شجر الآس في ورقه وحبه، وتتخذ منه الأبواب لمتانته وصلابته؛ الزبيدي، تاج العروس، المجلد الرابع، ص ١١١.

(٦) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٦١٦.

أمـا كورة جيـان فهي من المنـاطق الغنية بـالغـابات ، وكـانت تشكل مع طـرطوشـة مصدرين هـامين من مصـادر الأخشاب في الأنـدلس . ففي مدينـة شقورة ، من أعمال جيـان ، تتواجد الأشجار بوفـرة على سفوح الجبال[1]. كما يبدو أن مدينـة تبنشكة ، من أعمال جيان أيضًـا ، كانت عبارة عن منطقـة غابية هامة إذ تحمل منها الأخشاب إلى مختلف مدن الأندلس[2] . وقد وصفت جيان على وجه العموم بكونها معروفة بالمحارث والأخشاب[3].

وتتوفـر الغابـات بكثرة في منطقـة شلب ، حيث تشارك هـذه المنطقة في إمداد مدن الأندلس بالأخشاب[4].

ب/ التمور: لـم تكن الأندلس موطنًا أصليًا لزراعة النخيل و إنتاج التمور، إذ من المحتمل أن زراعتـه في هذه البلاد قـد ارتبطت بمجيء عبد الـرحمن بن معاوية[5]، الذي أبدى اهتمامًا واضحًـا بجلب شتى أنواع الغروس والبذور إلى الأندلس . وعلى ذلك فإن التمـور كانت قليلة جـدًا في بداية عصر الإمـارة نظرًا لقلة النخيـل ؛ وقد أشار ابـن الفقيه[6] إلى هذه الحقيقـة بقوله : " وبـالأندلس نخل قليل " . ومع مـرور الـوقت انتشـرت زراعـة النخيل في بعض جهـات الأندلس ، وحققت نجـاحاً في بعض المـدن ، ومنها على سبيل المثال مـدينة ألش ، فقد كان فيهـا : " نخيل جيدة لاتفلح في غيرها مـن بلاد الأندلس "[7].

---

(١) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٩ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٧٦ ؛ ابن غالب الغرناطي ، المصدر السابق ، ص ١٥ ؛ ياقوت ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٣ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، ج٢ ، ص ٤٩ .

(٤) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ١٨١ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٥) انظر أعلاه ، ص ١٠٣_١٠٤ .

(٦) ابن الفقيـه الهمداني ، أبـوبكـر أحمد بـن محمد ، مختصـر كتـاب البلدان ، (ليـدن؛ مطبع بريل ، ١٣٠٢هـ) ، ص ٨٨ .

(٧) يـاقوت ، المصـدر السابق ، المجلـد الأول ، ص ٢٤٥ ؛ القـزويني ، المصدر السـابق ، ص ٥٠٢ .

ولعل الظروف المناخية قد ساعدت كثيرًا على نجاح زراعة النخيل في هذه المنطقة. فهي من الأقاليم الحارة وتحتوي تربتها على نسبة كبيرة من الأملاح، كما تتوفر فيها المياه. وكل ذلك من الشروط اللازمة لزراعة النخيل[١]. أما جزيرة يابسة[٢] فإن النخيل بها كثير جدًا[٣].

جـ/ الحبوب: وتزرع في معظم مناطق الأندلس، فهي الغذاء الرئيسي للسكان. ويأتي محصول القمح في مقدمة هذه الحبوب، ويزرع في قرطبة[٤] وغرناطة التي وصفت بكونها بحرًا من بحور الحنطة[٥]، وفي طليطلة والتي كان قمحها موصوفًا بالجودة[٦]، كما تكثر زراعة القمح في مدينة يبورة[٧] وفي فحص بلاطة[٨]، وتنتشر مزارع القمح في مدينة أَبَّذة[٩]، وفي حصن بيانة[١٠]، وتجود زراعة القمح أيضًا في شُبْرُب[١١] وفي مدينة شنترة[١٢] وكورة جيان[١٣]

---

(١) ابن بصال، المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٠، ٩٢.

(٢) يابسة(Ibiza)تقع بالقرب من جزيرة ميورقة. وهي جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب. وأقرب بر إليها مدينة دانية؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦١٦.

(٣) القزويني، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٧.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص ١٠٣.

(٦) البكري، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٧) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨١؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦١٦.

(٨) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(١١) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٦. وشبرب هي بلدة تقع ضمن أعمال بلنسيه. انظر: ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٢١.

(١٢) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤.

(١٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

وسرقسطة[١] وشريش[٢]. ومع أن زراعة القمح تغطي مساحات واسعة من أنحاء الأندلس إلا أن مستوى الإنتاج لم يكن كافيًا لسد حاجات الاستهلاك المحلي، وذلك نتيجة لإقبال الناس المتزايد على هذا المحصول لكونه الغذاء الأساسي لهم. غير أنه في فترات سنوات القحط والمجاعة يحدث نقص واضح في الإنتاج الزراعي وخصوصًا القمح فتتدخل الدولة لحفظ المنتوج أو المجلوب كالذي فعله الأمير محمد حين بنى حصن إسْتَيَرشْ، لحفظ الغلال القادمة من مدينة سالم[٣].

ولم يكن بمقدور كثير من الفقراء الحصول على القمح عند غلاء ثمنه، وقد أشارت الأمثال الأندلسية إلى ذلك: "إذا غلا القمح مالو حصال"[٤].

ويعتبر الشعير من الحبوب الأخرى التي حظيت بالأهمية والرعاية، ويزرع في أقاليم قرطبة [٥] وفي جيان [٦] وشنترة[٧] وحصن بيانة[٨] وأبّدة[٩].

ويزرع الفول والحمص في سرقسطة[١٠]، كما تزرع الذرة في غرناطة، وكانت هي قوت الفقراء والبدو والفلاحين[١١]، ويتضح من ذلك أنها تباع بأثمان زهيدة.

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٧.

(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٠. وشريش (Jerez) هي من كورة شذونة. بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً. وهي على مقربة من البحر؛ المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٣٢.

(٤) الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، رقم المثل ٢٤، ص ٩.

(٥) البكري، المصدر السابق، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٦) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٧) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤.

(٨) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٣؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦.

(١٠) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٧.

(١١) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٤٣.

د/ الفواكـه: اشتهرت الأنـدلس بطيب الفواكـه ووفرتهـا، فمن النادر أن نجد وصفًا لـلأندلس يخلو من الإشارة إلى مافيهـا من الفاكهة[1]. ويأتي التين في مقدمة هذه الفـواكه التي اشتهرت بها الأندلس، وبلغ من وفـرته فيها ماروي عن الفقيـه يحيى بن يحيى الليثي ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، من أنه سأل مـالك بن أنس عن زكاة التين، فقال له: لازكاة فيها، فقـال يحيى: "إنها تدخَّر عندنا"، ونذر إن وصل الأندلس أن يـرسل لمالك سفينة مملوءة تينًـا، فلما وصل أرسلها فإذا مالك قد مات[2].

وتنتشـر زراعة التين في معظم أرجـاء الأنـدلس، ففي إشبيلية يـزرع التين بصنفيه التين القوطي والتين الشعري[3]، كما تكثر زراعة التيـن بمالقة، واشتهر تينها باسم: التين الريي، وكان موصوفًا بالجودة[4]. ويوجد في طليطلة صنف من التين، نصفـه أخضر ونصفـه الآخر أبيض في نهـاية الحـلاوة[5]. وتكثر زراعة التين في كـل من لقنت[6] وقورية[7] ومرسية[8] وبلنسية[9] وشريش[10] ودانية[11] وشذونة[12] وشنتمرية[13]، وفي غيرها من المدن والقرى.

(١) ابن الشبـاط، المصـدر السابـق، ص ١٠١-١٠٢؛ المقري، المصـدر السـابق، ج١، ص ٢٠٠.
(٢) المقري، المصدر السابق، ج٢، ص ١١.
(٣) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١١٠؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٣.
(٤) الإدريسي، المصدر السـابق، ص ٢٠٤؛ ابن سعيد، المغـرب في حلى المغرب، ج١، ص ٤٢٣؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٩.
(٥) ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨.
(٦) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٣.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٨٣.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٩٥.
(٩) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٦.
(١٠) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٠.
(١١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٢.
(١٢) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٥.
(١٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٧٩.

وقد أوصى ابن بصال[١] بضرورة انتقاء الأراضي الحرشة اليابسة لزراعة التين، واستشهد على ذلك بجودة زراعة هذا المحصول في المناطق الجبلية.

ويَعدُّ الزيتون من المحاصيل المهمة في البلاد، فهو يضارع التين في أهميته ووفرته وانتشاره في معظم بقاع الأندلس[٢]، وقد أشار ابن الفقيه[٣] إلى كثرة الزيتون في الأندلس.

ويُلاحظ أن زراعة الزيتون كانت تَتركَّز في الجبال، فقد كان جبل العروس، شمال قرطبة، مغروسًا بالكروم والزيتون وسائر الأشجار[٤]، ويزرع الزيتون في جبل البرانس[٥]، من فحص البلوط، كما تكثر زراعته في إشبيلية وبالذات في جبل الشرف الذي وصف بأنه: "لاتكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه"[٦]. ويتضح من ذلك أن المسلمين في الأندلس استغلوا سفوح الجبال وقاموا بتسطيحها وإعدادها للزراعة على هيئة مدرجات[٧].

ويزرع الزيتون أيضًا في لبلة[٨] وقبرة[٩] ودانية[١٠]. ومورور[١١]

---

(١) ابن بصال، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) JOAQUIN VALLVE, LA AGRICULTURA EN AL- ANDALUS, AL QANTARA, MADRID, 1982, VOLUMEN,III, P.285.

(٣) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٤) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٦- ٢٧.

(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٣٥.

(٦) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٥٨.

(٧) محمد محمد التهامي المليجي، الحياة الاقتصادية في الأندلس في عصر الدولة الأموية ١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٨.

(٨) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٩؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٩) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٣؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٣٥.

(١٠) ابن غالب، المصدر السابق، ص ١٦.

(١١) المصدر نفسه، ص ٢٤.

وشذونة[1] وحصن ببشتر[2] وبيانة[3]. وتعرف قرية شوذر[4] بغدير الزيت لكثرة زيتونها [5]. ويوجد الزيتون الكبير في قرسيس[6]. كما يزرع في وشقه[7] وجيان[8] ووادي آش[9]، وفي غيرها من المدن.

ويعتبر قصب السكر من المحاصيل الهامة التي نجحت زراعتها في الأندلس، وتركزت مناطق زراعته في الجهات الساحلية[10]، مثل إلبيرة[11] وجبل موسى[12]، بالقرب من الجزيرة الخضراء، كما يزرع في إشبيلية، إذ هي: "من السواحل التي يحسن فيها نبات قصب السكر"[13]. ويزرع أيضًا في المنكب[14] وشمجلة[15]. وهو مما يقدم للضيوف، فقد روي عن أحد

---

(١) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٤) شوذر(Jodar) قرية بكورة جيان، وهي كثيرة المياه والبساتين، كثيرة السقي؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٥١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

(٦) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٤. أما قرسيس فهي منطقة سهلية على ستين ميلاً من قرطبة؛ المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٧) العذري، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٨) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٩) الحميري، المصدر السابق، ص ٦٠٤.

(١٠) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٠.

(١١) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص ١٠٤.

(١٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٦٧.

(١٣) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٣، ٢٤.

(١٤) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١٠٨.

(١٥) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٦١. أما شمجلة فهي مدينة من أعمال رية، قريبة من البحر؛ المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٣٦١.

الأدباء قوله: "كنت جالسًا عند أبي عمر أحمد بن محمد بن عبدربه[١]، فأتانا من بعض إخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر"[٢].

أما الموز فإنه يشارك قصب السكر في مناطق زراعته، إذ هو من المحاصيل التي تجود زراعتها في الأندلس خاصة في ساحل إلبيرة[٣]، وكذلك في حصن شلوبينية[٤] وشمجلة[٥] والمنكب[٦].

ويعدّ العنب من المحاصيل الهامة أيضًا في الأندلس، فهو يزرع في مناطق عديدة من أرجاء الأندلس، ففي قرطبة في جبل العروس منها يزرع العنب[٧] كما يزرع أيضًا في قورية[٨] ومرسية[٩] وباغة[١٠] ودانية[١١]

(١) أبوعمر أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حدير بن سالم. مولى هشام بن عبدالرحمن ابن معاوية. وهو شاعر الأندلس وأديبها. توفي سنة ٣٨٢هـ؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص٨٧، ٨٨.

(٢) الضبي، أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (مجريط: مطبع روخس، ١٨٨٤م)، ص ٥١٢.

(٣) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٠٢.

(٤) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٦٠؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٣. وشلوبينية (Salobrena) حصن من أعمال كورة إلبيرة على شاطيء البحر؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٦٠.

(٥) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٣٦١.

(٦) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١٠٨.

(٧) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ، ص ٢٦، ٢٧.

(٨) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٣؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٨٥.

(٩) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

(١٠) أبو الفداء، اسماعيل بن علي، تقويم البلدان، صححه: رينود والبارون ديسلان، (باريس: دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م)، ص ١٧٧؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٤.

(١١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٢؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٤٣٤.

ولبلة[١] وإشبيلية[٢]، وكذلك في شذونة[٣] ولقنت[٤] وحصن ببشتر[٥] وبيّانة[٦] ووادي آش[٧] وشريش[٨]، وتكثر مزارع العنب في مدينة أبّدة، وقد: "كاد العنب فيها لايباع ولايشترى كثرة"[٩]. وتجود زراعة العنب في لورقة، إذ كان عنقود العنب فيها يزن خمسين رطلاً عراقيًا[١٠]. ويوجد العنب في مدن أخرى كثيرة من الأندلس. ونظرًا لوفرة العنب؛ فقد كان قسم كبير منه يحول إلى زبيب بعد تجفيفه. ويوجد الزبيب في غرناطة[١١]، كما يوجد في إشبيلية[١٢] وكان مشهورًا بالجودة، أما قرية شاط[١٣]، ففيها: "زبيب حسن الصفة كبير المقدار أحمر اللون يصحب طعمه مزازة ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية وهو منسوب إلى هذه القرية"[١٤]. ويكثر الزبيب في مدينة ألش،

---

(١) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٢، ٢٣؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٣٣٩.

(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١١٠.

(٣) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٤) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٣؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٥١١.

(٥) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٧) الحميري، المصدر السابق، ص ٦٠٤.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

(٩) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٧.

(١٠) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٢٥، ٢٦. أما الرطل العراقي فقد كان يساوي الرطل الشرعي، وهو يساوي في قول إحدى المدارس الفقهية - ١٢٨ درهم، وفي قول مدرسة أخرى ١٣٠ درهمًا. انظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، (عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م)، ص ٣٥.

(١١) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٤٣.

(١٢) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٩.

(١٣) شاط: قرية على بعد ١٢ ميلاً من مدينة المنكب؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص١٩٩.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

ويحمل منها إلى مدن الأندلس الأخرى[١]، كما يكثر أيضًا في جزيرة يابسة، وكان موصوفًا بالحسن والجودة[٢].

ويعتبر التفاح من المحاصيل المهمة في الأندلس، وقد اشتهرت بعض المواقع الأندلسية بزراعة التفاح، ومنها مدينة شنترة التي يتميز تفاحها بحجمه الكبير[٣]. واختص حصن جليانة بالتفاح الذي يضرب به المثل في الأندلس[٤]، فهو يجمع عظم الحجم وحلاوة الطعم[٥]. كما يزرع التفاح في مدن شلب[٦] ووشقة[٧] وقلمرية[٨] وغرناطة[٩].

ومن أصناف الفواكه الأخرى الموجودة بالأندلس، الرُمَّان، ونخص بالذكر الرمّان السفري الذي فاض على أرجاء الأندلس، وصار الأندلسيون لايفضلون عليه سواه، وهذا النوع من الرُمَّان قد جلب من المشرق إلى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية. وإلى جانب الرمان السفري يوجد نوع آخر من الرمّان يعرف باليرجين لكنه أقل جودة من السفري، إذ كان الأندلسيون يعملون على تغيير هذا النوع إلى الرمّان السفري، وفي ذلك يقول ابن حجاج[١٠]: "وإن أردت أن تجعل الرمان المحسوم المعروف بالأندلس

(١) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٤٤، ٢٤٥؛ القزويني، المصدر السابق، ص ٥٠٢.

(٢) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٤٢٤؛ القزويني، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٣) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٤١٥؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٤) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٨.

(٥) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٩.

(٦) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٧) العذري، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٧١؛ وقلمرية (Coimbra) مدينة صغيرة، متحضرة، عامرة، كثيرة الكرم والتفاح، بينها وبين قورية أربعة أيام؛ المصدر نفسه، ص ٤٧١.

(٩) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٤٣.

(١٠) ابن حجاج الإشبيلي، أحمد بن محمد، المقنع في الفلاحة، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، (منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٤٠.

باليـرجين سفريًّا، فـاحفر أصله في ينـاير من حواليـه شبرا واحشها رمـادًا واسقه ثلاثين يومًا".

وتنتشر زراعـة الرمّان في كل من مـالقة[١] وغرناطة[٢] وحصن ببشتر[٣]. ومن أصنـاف الـفواكه الأخـرى، الكمثرى، وتـزرع في غـرناطـة[٤] وبلنسية[٥] وشنترة [٦] ووشقة[٧] وجبل شُلَيـر[٨]. أمـا الإجّـاص[٩]، فتكثـر زراعتــه في غرناطة[١٠].

هـ/ محــاصيل أخرى: اشتهـرت الأندلس بزراعـة محاصيل أخـرى لها قيمة عظيمة في المجـالات التجارية والصناعية، ويأتي القطن في مقـدمة هذه المحاصيل، وقد أشـار ابن الفقيه[١١] إلى زراعـة القطن في الأندلس. وتعتبر مدينة إشبيلية من أهم مدن الأنـدلس في زراعة القطن وإنتاجه، بل أنها وصلت إلى مرحلة التصدير في هذا المضمار[١٢].

وتكثر مزارع القطن في مدينتي رُنْدة[١٣] ووادي آش[١٤].

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٥٢.
(٢) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٤٣.
(٣) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٦.
(٤) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٢٦.
(٥) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٩.
(٦) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٧.
(٧) العذري، المصدر السابق، ص ٥٥.
(٨) الإدريسي، المصـدر السـابق، ص ٢٠١. وجبل شليـر (Chulair) من أعمال إلبيـرة لايفارقه الثلج شتاءً ولا صيفًا؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٣٦٠.
(٩) الإجّاص هو ضرب من المشمش؛ الزبيدي، لحن العامة، ص ١٨١.
(١٠) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٢٦.
(١١) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٨.
(١٢) العـذري، المصـدر السـابق، ص ٩٦؛ ابن غـالب الغـرنـاطـي، المصـدر السـابق، ص ٢٣-٢٤.
(١٣) ابن سعيد، المصدر السـابق، ج١، ص ٣٢٩. ورندة(Ronda) معقل حصين من أعمال تاكرنا، وهي مدينة قديمة على نهرٍ جارٍ؛ ياقوت المصدر السابق، المجلد الثالث، ص٧٣.
(١٤) الحميري، المصدر السابق، ص ٦٠٤.

وبالإضافة إلى القطن فإن الكتان يعد من المحاصيل التي اشتهرت الأندلس بزراعتها[١]. وتجود زراعته بالذات في كورة إلبيرة[٢]. وكانت مدينة لاردة[٣]: "مخصوصة بكثرة الكتان وطيبه ومنها يتجهز بالكتان إلى جميع نواحي الثغر"[٤]. ويجود الكتان في مدينة شبرب[٥]. كما تجود زراعته أيضًا في المناطق القريبة من باجة والتي كانت تنتج نوعية جيدة من الكتان[٦].

ويزرع الزعفران في طليطلة[٧] وبياسة[٨] وأبّدة[٩] وباغة[١٠] وبلنسية[١١] ووادي الحجارة[١٢] كما يزرع العصفر في إشبيلية[١٣] ولبلة[١٤]. ويذكر ابن بصال[١٥] أن العصفر نوعان: مشوك وغير مشوك. والنوع الثاني أفضل من الأول في الجمع والصبغ. وتجود زراعته في المناطق المعتدلة ذات الهواء الرطب.

---

(١) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢) البكري، المصدر السابق، ص ٨٤، ٨٥؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.

(٣) لاردة (Larida) مدينة شرقي قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طركونة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٧.

(٤) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٠٧.

(٥) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٦.

(٦) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٦٤.

(٧) البكري، المصدر السابق، ص ٨٨؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٩.

(٨) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٥١٨. وبياسة (Baeza) مدينة كبيرة معدودة في كورة جيان، بينها وبين أبدة فرسخان؛ المصدر نفسه، المجلد الأول، ص ٥١٨.

(٩) ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٥؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ص ١٦٧.

(١٠) ابن غالب، المصدر السابق، ص ١٤؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٤.

(١١) العذري، المصدر السابق، ص ١٧؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٩.

(١٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(١٣) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١١١؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص ١١٧.

(١٥) ابن بصال، المصدر السابق، ص ١١٦.

أما القرمز فأكثر مايكون في إشبيلية[١]، ويزرع أيضا في لبلة[٢] وشذونة[٣] وبلنسية[٤] وفحص إلبيرة[٥].

ويعتبر التوت من المحاصيل الهامة في الأندلس، إذ يتوقف عليه قيام صناعة الحرير[٦]. ويكثر شجر التوت في مدينة بسطة[٧]، كما يزرع في مدينة وادي آش[٨]، وفي حصن شنش[٩]، بالقرب من المرية.

ويوجد في الأندلس نبات الحلفاء، وقد اشتهرت مدينة لقنت بزراعة هذا المحصول[١٠].

---

(١) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧؛ العذري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٢) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٣) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٥) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٠٥.

(٦) ومن أجل ذلك اعتنى الأندلسيون كثيرًا بتربية دودة الحرير وكذا زراعة التوت· وبلغ من عنايتهم في ذلك؛ أن خصّص فقهاؤهم جانبًا من مناقشاتهم لبحث بعض المسائل المتعلقة بطرق التعامل الزراعي فيما يخص محصول التوت، كما فعل الفقيه أصبغ بن محمد والد الفقيه قاسم بن أصبغ، ت ٣٠٠هـ· انظر الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبوالأجفان، ، الطبعة الثانية، (تونس: مطبعة الكواكب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص ١٥٥.

(٧) الحميري، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٦٠٤.

(٩) ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٥؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤.

(١٠) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٣.

رابعًا: طرق التعامل الزراعي:

أشرنا فيما مضى إلى أن عهدا جديدًا من عهود الزراعة في الأندلس قد أشرق منذ بدء عصر الإمارة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، وأن تطورًا واضحًا قد طرأ على الحياة الزراعية في هذه البلاد، وكان ذلك مرتبطًا إلى حدٍ كبير بشخصية الأمير عبدالرحمن بن معاوية ١٣٨- ١٧٢هـ/ ٧٥٥- ٧٨٨م، الذي أبدى اهتمامًا واسعًا بتنشيط الزراعة في بلاده، وقد اتخذ عدة خطوات هامة في هذا المجال، كما أوضحنا أن أمراء الأندلس سلكوا نفس الاتجاه الذي سلكه جدهم مؤسس الإمارة الأموية.

ولاشك أن هذا الاتجاه المدروس نحو تنشيط الزراعة، لم يكن ليحقق أهدافه لو لم تتوفر له الخطط الكفيلة بتنظيمه وتقنينه. وعلى هذا فإن الزراعة في الأندلس قد عرفت الكثير من طرق التعامل الزراعي التي كانت سائدة في أنحاء العالم الإسلامي في ذلك الوقت. وقد تحدثت المصادر التي بين أيدينا، وبشكل خاص تلك التي تتضمن مجموعة من الفتاوى التي أصدرها فقهاء الأندلس في هذه الفترة حول قضايا متنوعة، تحدثت هذه المصادر عن بعض طرق التعامل الزراعي المعمول بها في الأندلس في هذه الفترة، إذ نستشف من الأسئلة المتعددة التي وجهت إلى الفقهاء حول قضايا العمل الزراعي، أن نظام العمل بالأجرة كان موجودًا بالأندلس ومعمولاً به عصرئذ، فقد دأب كثير من أصحاب المزارع، إن لم يكن جميعهم، على استئجار واحدٍ أو أكثر من الفلاحين للعمل في مزارعهم والقيام بأعمال الحصاد أو الحرث أو حتى حماية الزرع من الماشية أو غير ذلك من الأمور المتعلقة بالعمل الزراعي. فقد يتخذ صاحب المزرعة أجيرًا ليحصد له زرعه، لكن هذا الأجير يخطئ فيحصد زرعًا آخر غير زرع الرجل الذي استأجره. وقد أفتى الفقهاء في هذه الحالة بإسقاط الأجرة عن صاحب الزرع المستأجر، فلا أجرة للعامل لأنه أخطأ ولم يتثبت، إلا

إذا كـان الرجـل الذي استفـاد من هـذا الخطأ قـد اعتاد علـى أن يحصد زرعـه بالإجارة، فعندئذ عليه دفع الأجرة[١].

وربما يتخـذ صاحب المـزرعة أجيرًا لحـرث الأرض، ونستشف ذلك من فتوى الفقيه أصبغ بن خايل[٢]، التي يؤكد فيها علـى أنه إذا تعطل أجير الحرث لانكسار محراثـه أو توقف الثور الذي يستخـدمه في الحرث، فالأجـرة له واجبة لاينقص منهـا شيء، وأما إن كـان تـوقفه عن العمل بسبب المطـر أو القحط أو بسبب مرض مفـاجئ حلّ به، فـلا أجرة له في هـذا وينقص له من الأجـرة بقدر الأيام التي تعطل فيها بسبب ذلك[٣].

ونلاحظ من خلال العرض السابق، أن الثيـران كانت من الوسائل المهمة في العمل الـزراعي، وقـد وردت الإشـارة إلى ذلك أيضًـا في أجوبـة الفقيـه ابن لبابة، ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، عن الأسئلة التي عرضت عليه في هذا الجانب[٤].

وقد يُتخذ الأجير لحماية الزرع، أو لغير ذلك من الأمور المتعلقة بالخدمة في المـزرعة، ونـرى مثال ذلك في سـؤال موجـه إلى الفقيه ابن لبـابة عن القـوم الأربعـة يستأجرون أجيـرًا ليحمي زرعهم من الخنـازيـر، ولأحدهـم الـزرع القليل وللآخر الكثيـر؟ فأجاب بأن على كل واحد منهـم من الأجـرة على قدر زرعه[٥].

---

(١) الونشريسي، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٣٤.

(٢) أبـو القـاسم، أصبغ بن خليل. من أهل قـرطبـة، كـان حـافظًـا للـرأي على مـذهب مـالك وأصحابه، فقيهًا في الشروط بصيرًا بالعقود. دارت الفتيا عليه بالأندلس خمسين عامًا. توفي رحمه الله سنة ٢٧٣هـ، قبل وفاة الأمير محمد بن عبدالرحمن بثلاثين يومًا؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ١٥١، ١٥٢.

(٣) ابن سلمون الكناني، أبو محمد عبدالله بن عبدالله، كتاب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيـديهم من العقـود والأحكـام، موجـود بهـامش كتـاب تبصـرة الحكام لابن فـرحـون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٠١هـ)، الطبعة الأولى، ج١، ص٢٨٨.

(٤) الونشريسي، المصدر السابق، ج٩، ص ١٠٩، ١١٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٠٠.

وقد تنشأ الخلافات بين صاحب المزرعة وبين من يعمل عنده فيها بسبب عدم اتفاقهما مسبقًا على شروط العمل، وفي هذا الشأن يقول ابن حبيب بأنه إذا ادَّعى صاحب الأرض المزارعة وادَّعى العامل الكراء، فالعامل يصدق مع يمينه[1].

ويلاحظ في الفتوى السابقة لابن حبيب إشارة إلى المزارعة، وهي لون من ألوان التعامل الزراعي المختلفة، وكان معمولاً بها في الأندلس في هذه الفترة كما يتضح من قراءة النصوص التي بين أيدينا[2].

وكثيرًا ماكان المزارعون يتعاونون فيما بينهم ويساعد بعضهم بعضاً في أعمال الزراعة، فقد يحدث أن يجتمع عدة أشخاص فيعملوا لكل رجل منهم، ولمدة يوم أو أكثر، أعماله الخاصة به كالصناعة والخياطة والحصاد وقطع الثمر ونحو ذلك، على سبيل السرعة في إنجاز الأعمال، لكن مثل هذه الطريقة لاتخلو من وقوع المشكلات بينهم بسبب عدم التساوي في حجم الأعمال الخاصة لكل منهم، فقد يمتنع أصحاب الأعمال الأولين، أو من قضيت لهم أعمالهم أولاً، عن مشاركة الآخرين في أعمالهم، بحجة أن أعمالهم كانت أخف من أعمال هؤلاء. وقد أفتى ابن لبابة في مثل ذلك بأن للذين عملوا أجرة عملهم[3].

---

(١) ابن سلمون الكناني، المصدر السابق، ج٢، ص ٩.

(٢) ووردت الإشارة إلى المزارعة في أحد الأسئلة المعروضة على الفقيه ابن لبابة. انظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج٨، ص ١٦١. والمزارعة هي إعطاء الأرض لمن يزرعها على أن يكون له نصيب مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو الأكثر من ذلك أو الأدنى حسب مايتفقان عليه. انظر: السيد سابق، فقه السنة، ط٦، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، المجلد الثالث، ص ١٦٢.

(٣) الونشريسي، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٣٤.

خامسًا: الرعي وتربية الماشية:

على الرغم من صعوبة أرض الأنـدلس وطبيعتها الجبلية، إلا أن المناطق الرعـوية فيهـا قد تعددت واتسمت بـالخصب، وكان لـذلك دور هام في تـربية الماشية وتكاثرها. ولقد اشتهرت مـدينة إشبيلية بطيب مراعيها واتساعها، ففيها منطقة يقال لها؛ المراين: "وهي مواضع ندية ومروجها لاتتهشم صيفاً وتتمادى غضارتها، وبذلك يصلح نتاج رمكها، وتـدرّ الألبان على طيب مسارحها، ولو اقتصرت مسـارح الأندلس عليهـا لوسعتهم.. "[١]. ولذا فقـد كانـت إشبيلية مكانًا ملائمًا لتربية الماشية وبخاصة الخيولُ.

ويشير الرازي[٢] إلى توفـر المراعي الخصبة في قبرة بصفـة دائمة، وذلك أن التربة في هذه المنطقة تتميز بالرطوبة الطبيعية مما جعل أشجارها تعيش فترة طويلـة. أما مدينـة شذونة فقد وصفت بـأنها: "جامعة لخيـر البر وبركـة البحر ينتجـع من كل الآفـاق بحـلاها ويحمـد مـرعاها"[٣]. ولذا فإن المـاشية تكثر فيها[٤]. كما وصفت جزيرة قبطل[٥] بالخصب والنماء[٦].

وتنتشر المـراعي الخصبة أيضًا في كل من جـزيرة شلطيش[٧] وقرمونة[٨] وفي جبل الشارات[٩]، شمال طليطلة، وبالقـرب من حصن لاردة يوجد فحص

---

(١) العـذري، المصـدر السـابق، ص ٩٦؛ ابن غـالب الغـرنـاطـي، المصـدر السابق، ص ٢٣-٢٤.

(٢) E.LÉVI - PROVENCAL, LA "DESCRIPTION DE L'ESPAGNE" D'AHMAD AL-RAZI, AL-ANDALUS, MADRID GRANDA, 1953, VOL. XVIII, P.65.

(٣) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٤) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠١.

(٥) قبطل أو قبطيل(Capitale)مفرغ وادي طرطوشة في البحر، ويعرف أيضًـا بالعسكر لأنه موضع عسكر به المجوس؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٥٤.

(٦) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٢.

(٧) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٣- ٣٤٤.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٦١.

(٩) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٨؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

مشكيجـان، وهو كثيـر الضياع والمـزارع والمراعي[1]. أمـا قلعة ربـاح فإنـه: "يطيب مرعـاها ويزكو وتحسن الماشيـة في مسارحها ولألبانهـا فضل بائن على غيرها"[2].

وبـالقــرب من ببشتـر يـوجـد حصـن فطـرون، وبـه مسـارح عــريضـة للمواشي[3]. كما يوجد فـي طرطوشة جبل كثير الخير والبركـة، وفي أعلاه مروج كثيرة المياه والمراعي[4]. وتنتشر المراعي الخصبة في جزيرة ميورقة[5]، وقد نتج عن ذلك وفرة الماشية ورخصها في هذه الجزيرة[6].

ولعل من أهم أنواع المـاشية التي تربى في الأندلس، البغـال، فقد كانت تشكل الوسيلـة المثلى لحركة النقل، ولهذا اعتنى الأنـدلسيون بتربيتها وحـرصوا على اقتنائها، ويشير ابن حوقل[7] إلى أن الأندلس: "تختص بالبغال الفُره وبها يتفاخرون ويتكاثـرون". كما عدّد ابن حوقل مزايا البغـال التي رآها بالأندلس، فـذكر أنهـا تمتاز بحسن السيـر وسرعـة المشي وعظم الخلق واختلاف الألـوان الصـافية مع الصبـر على الكـد والعسف، ولـذا فقد رغب فيهـا الأمـراء فكانـوا يؤثرونها فيما يركبون[8].

وتكثر البغال في قـرطبة، و"يجلب منها البغال التي تبـاع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنهـا وعلوها الزائد"[9]. ولذا فإنه لم يكـن في استطاعة

---

(١) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٠٧-٥٠٨.

(٢) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢٣.

(٤) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٤٥.

(٥) ميورقـة(Mallorca.) جزيرة في البحر. شرقيها جـزيرة سردانية وغربيها جزيـرة يابسة. فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٥٦٧.

(٦) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١١٠؛ المقري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢١.

(٧) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٩) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٥٢٠؛ القزويني، المصدر السابق، ص ٥٥٢.

الفقراء اقتناء البغال وشراؤها، واقتصر الأمر في معظم الأحوال على الأمراء والأغنياء ومن في حكمهم، فقد شوهد الأمير محمد بن عبدالرحمن ذات يوم راكبًا بغلاً[١]. كما يروى أن الأمير المنذر بن محمد أرسل إلى عمر بن حفصون، بعد أن أظهر الطاعة، مائة بغل يحمل عليها جملة متاعه وعياله ليأتي إلى قرطبة[٢]. ويذكر أن عبدالله بن محمد الثقفي[٣]، ت بعد سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، كان يسير إلى باديته راجلاً ولو شاء ركب الدواب لسعة حاله[٤]. وقد مرَّ بنا فيما مضى أن الطبيب حمدين بن أبان، الذي عاش في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، كانت له ضياع وممتلكات في قرطبة، وكان لايركب الدواب إلا من نتاجه ولا يأكل إلا من زرعه ولا يلبس إلا من كتان ضيعته[٥]، وفي ذلك أيضًا إشارة إلى اهتمام الأندلسيين بتربية الدواب.

والواقع أن أمراء بني أمية قد أعطوا الثروة الحيوانية جزءًا كبيرًا من اهتماماتهم، فقد كان من بين الشروط التي وضعها عبدالرحمن بن معاوية على النصارى في قشتالة وأعمالها أن يقدموا للإمارة الأموية عشرة آلاف رأس من خيار الخيل ومثلها من البغال مقابل تأمينهم على حياتهم[٦]. وكان الأمير محمد بن عبدالرحمن معجبًا بالجواميس من دواب المشرق، مستدعيًا لها من

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٢٠.

(٢) ابن عبد ربه، المصدر السابق، المجلد الثالث، ج ٥، ص ٢٢١؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١١٧-١١٨.

(٣) عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي، من أهل قرطبة. كان حافظًا للمسائل، متقدمًا فيها، كما كان بصيرًا باللغة والشعر متفننًا في العلوم؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨١.

(٤) القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٥.

(٥) ابن جلجل، المصدر السابق، ص ٩٣؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٣، ص٦٥.

(٦) الذهبي، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٥٠؛ انظر: وثيقة رقم (١).

التجار مستكثرًا منها [1]. ويبدو أن هذا الأمير بالذات كان حريصًا على تنمية الثروة الحيوانية، إذ يروي ابن حيان[2] أنه في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن دخل الأندلس من المتاع الفاخر والرياش النادر والحيوان المستغرب والمستطرف مالم يدخل في أيام سابقيه من الأمراء، فمن ذلك مثلاً أن أمير سجلماسة[3] أهدى إلى الأمير محمد زرافة، فكانت أول زرافة دخلت الأندلس. ويبدو أن الأبقار كانت وافرة العدد خلال هذه الفترة، إذ كانت لحوم البقر تشكل المادة الأساسية من الغذاء بالإضافة إلى لحوم الغنم، فمما يروى[4] أن يوسف بن عبدالرحمن الفهري عندما طمع بالصلح مع عبدالرحمن بن معاوية في بداية دخوله الأندلس، أخرج - أي يوسف - الغنم والبقر فذبحت وصنع الطعام لهم جميعًا وذلك في محاولة فاشلة من جانب يوسف الفهري لمنع وقوع الحرب.

ولقد كان المنذر بن الأمير عبدالرحمن بن الحكم (عمّ الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) يمتلك مائتي بقرة متناتجة في جزيرة له، بالإضافة إلى أصناف أخرى من الماشية[5].

ويستشف من الأسئلة التي وجهت إلى الفقيه ابن لبابة، أن الأبقار والثيران كانت تستخدم في أغراض الزراعة المتعددة في الأندلس[6].

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٦- ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٥ - ٢٧٧.

(٣) سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان. بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٩٢.

(٤) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص ٨١.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٧٢.

(٦) الونشريسي، المصدر السابق، ج٩، ص ١٠٩- ١١٠.

وقد تحدث الجغرافيون[1] عن جبل الشارات، شمـال طليطلة، فأشادوا بوفـرة الماشيـة الموجودة فيـه، إذ كان فيـه من الغنم والبقر الشيء الكثيـر الذي يتجهز به الجلاّبون إلى سائر البلاد، ولايوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً، بل هي في نهـايـة مـن السمن، ويضـرب بهـا المثل في ذلك في جميع أقطـار الأندلس، مما يدل على خصوبة المراعي.

وتكثـر الأغنام في الأنـدلس، فبالإضـافـة إلى توفـرها في جبل الشـارات السالف الذكر؛ فهي تكثر أيضًا في مدينة قُلُمْرية[2].

لقد كانت الأغنام، باستمرار هدفًـا اقتصاديًا يطلبه الثوار والخارجون على الإمارة الأموية، فأصبحت الغارات على الأغنام في مراعيها تقليدًا متبعًا وتكتيكًا عسكريًـا متعارفًا عليـه بين المتنازعين. فمن ذلك مثلاً مـارواه ابن حيان[3] في حوادث سنـة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م؛ من أن الثـائر عمر بن حفصـون، بعد أن نقض العهـد الذي أبـرمه مع الإمـارة الأمويـة؛ هجم على قـرطبة وأغـار على أغنامهـا بالصحراء. وتكرر نفس المشهد مع محمد بن إبراهيم بن حجاج[4] الذي خرج ثـائرًا ضـد النـاصـر لـدين اللـه سنـة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، فـاستلب أغنـامًـا لأهل قرطبة[5].

---

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٨؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٣٩.

(٤) كان محمد بـن إبراهيم بن حجاج صاحب قـرمونة بعد مـوت أبيه. وكانت له بهـا دولة حسنة وأيام صـالحة. ولمـا توفي أبـوه ولي إشبيلية أخوه عبـدالرحمن إذ كـان كبيره. وكـانـت دولته بقرمـونة أضخم من دولة أخيـه بإشبيلية وأطول. تـوفي عام ٣٠٢هـ؛ ابن عـذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٩.

(٥) ابن حيـان، المصـدر السابق، ج٥، ص ٨٠؛ ابـن عذارى، المصـدر السـابق، ج٢، ص ١٣٠.

ومن أصناف الماشية الموجودة بالأندلس؛ الخيول، وكانت تربى في المناطق الرعوية المنتشرة في جهات عديدة من الأندلس. ويبدو أن الخيول كانت قليلة العدد في الأندلس مع بداية عصر الإمارة(١)، وقد أحسَّ أمراء بني أمية بهذه المشكلة فعملوا على معالجتها من خلال الاهتمام المكثف بتربية الخيل، وانتقاء المراعي الخصبة المناسبة لتربيتها. ولعل أهم مظهر من مظاهر هذا الاهتمام الرسمي بتربية الخيل؛ ماروي من أن الأمير الحكم بن هشام، اتخذ له ألفي فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقرطبة، بجوار قصره، واعتنى بها عناية فائقة، فخصص لها دارين، وعلى كل دار عشرة عرفاء، وتحت يد كل عريف مائة فرس، فالعرفاء يشرفون عليها وعلى تعليفها(٢). وكان هدف الأمير الحكم من ذلك هو وأد الثورات في مهدها، ومباغتة الثوار والخارجين على سلطانه قبل أن يستفحل خطرهم.

ومن خلال ذلك نستطيع أن نرى بوضوح مدى أهمية الخيل في حفظ البلاد وضبط الأمن فيها مما يجعل الاهتمام بتربيتها أمرًا حتميًا لا مندوحة عنه.

ولم يكن الاهتمامُ بتربية الخيول نابعاً من حاجة الإمارة الأموية لها في الأغراض العسكرية فحسب؛ بل كان يستفاد منها في مجالات النقل، ومن المرجح أنها استخدمت في نقل البضائع على الطرق البرية المؤدية إلى جنوب فرنسا والدول الأوربية الأخرى، نظرا لوعورة هذه الطرق وطول مسافتها(٣).

---

(١) فيليب حتي، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٠٢-٦٠٣. وربما يكون السبب في ذلك هو طبيعة الموقع الجغرافي للأندلس، إذ إن الحواضر الكبرى فيها تقع على البحر، وبالتالي فإنها من الناحية العسكرية لاتحتاج إلى الخيول، وقد ذكر ابن فضل الله العمري هذه الحقيقة بقوله: "وأما الثغور البحرية كالمرية فليس لها حاجة بالخيل إلا قليلاً وحاجتها إلى الحراريق آكد". انظر: ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١١٠.

(٢) ابن عبد ربه، المصدر السابق، المجلد الثالث، ج ٥، ص ٢١٧؛ مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص ١١٧-١١٨.

(٣) محمد محمد التهامي المليجي، المرجع السابق، ص ١٥٤.

ومن مظاهر الاهتمـام بتربية الخيل؛ أن المنذر بن الأميـر عبدالرحمن بن الحكم اتخـذ مـائةَ من الخيل واعتنى بتـربيتهـا في جزيـرة لـه[1]، بالقـرب من إشبيليـة حيث المـراعي الخصبـة. والواقع أن مـراعي إشبيليـة اختصت بإنتـاج الخيول الجيدة وتـربيتها[2]، وقطعت شـوطًـا بعيـدًا في ذلك، فكـانت تصـدر الخيول إلى جـزيرة قبطل[3]، وربمـا إلى غيرهـا من مـدن الأندلس الأخـرى. ويلاحظ أن هذه المراعـي قد احتفظت بخصوصيتها في تربية الخيول وإنتاجها إلى مابعد عصر الإمارة ١٣٨- ٣١٦هـ/ ٧٥٥- ٩٢٨م، وذلك على الرغم مما شهدته الأنـدلس عمومًا وإشبيلية والجهات المحيطة بهـا على وجه الخصوص من فتنٍ وحـروب خلال عصـر الإمارة، كـان لها تأثيـر سلبي بالغ على الإنتـاج الزراعي والثـروة الحيوانيـة. فقد أشـار ابن حيان[4] في حـوادث سنة ٣٦٢هــ/ ٩٧٢م، إلى إنتاج الخيول في إشبيلية، بقـوله: " . . وفي هذا الوقت وافت إلى المدينة الزهـراء المهار والفلاء المستنتجة في مدائن إشبيلية ولبلـة في عدد وافر وصفات مقبولة " .

ويستفاد من النصِ السـابق أيضاً أن مدينـة لبلة كـانت مركزًا من المـراكز المخصصة لتربية الخيـول، وقد أشار ابن غالب[5] إلى ذلك. كما كانت كورة تدمير في شرق الأندلس مـركزًا آخر لتربية الخيل[6]. وبالإضـافة إلى ذلك فإن الخيول تربى في كل من ترجالة[7] وحصن مدلين[8].

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٧٢.
(٢) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦.
(٣) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٢.
(٤) ابن حيان، أبـو مروان حيان بن خلف بن حيـان، المقتبس في أخبار بلـد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، ص ١١٧.
(٥) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٢- ٢٣.
(٦) العذري، المصدر السابق، ص ٢.
(٧) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٧؛ الحميري، المصدر السابق، ص ١٣٣.
(٨) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٦.

والحق أن أمراء بني أميـة لم يقتصروا على البحث عن المراعي المنـاسبة لتربية الخيل وحسب؛ بل خصصوا إدارة مستقلـة تعنى بشؤون الخيل وتربيتها، ويطلق على هـذه الإدارة اسم: خطـة الخيل، كمـا يُسمى المشـرف المبـاشـر عليها؛ صاحب الخيل[1].

ولاريب أن إنشاء خطـة الخيل هذه كان لأغراضٍ عسكريـة؛ إلا أنها في الوقت نفسه تدلُّ دلالة قاطعة على عناية القوم بأمر الخيل، خاصة وأن الحروب الـداخلية في هـذه الفترة قضت على قسم كبيـر من الخيول، حسبمـا سيجيء تفصيله فيما بعد.

وقد اهتم الأنـدلسيون بنوع خاص بتربيـة الخيول العربية، فقـد أشار ابن الفقيه[2] إلى وجـود «الخيل العراب» فـي الأندلس. وظل الاعتنـاء بتـربية هـذه الخيول مستمرًا حتى توافرت وتناتجت في الأندلس، فعندما نفحص محتويات الهدية التي أهـداها ابن شهيد[3] إلى الناصـر لدين اللـه نجد من بينهـا: «مائة فرس منها خمسة عشر فـرسًا من الخيل العراب المتخيرة لركـاب السلطان فائقة النعوت»[4].

ويظهـر أن العـرب جلبـوا معهم إلى الأنـدلس أعـدادًا من الإبل، إذ يشيـر ابن الفقيه[5] إلى «الإبل العراب» من بين أصناف الثروة الحيوانية في الأندلس.

(١) يشير الخشني إلى أن موسى بن سماعة كان صاحب الخيل في عهد الأمير الحكم بن هشام؛ الخشني، المصدر السابق، ص ٣٧. كما يذكـر ابن حيان أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم قلَّد عيسى بن شهيـد خطة الخيل ثم استـوزره؛ وكذلك فعل الأميـر محمد بن عبـدالرحمن بوزيـره الأثير لديه هـاشم بن عبدالعزيـز؛ قلَّده خطة الخيل ثم استوزره. انظـر: ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٦، ١٦٠.

(٢) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٣- ٨٤.

(٣) أحمد بن عبدالملك بن عمر بن محمـد بن عيسى بن شهيد، أبو عامر، اشتهر بـالبلاغة وقد أثنى ابن بسام على نظمه ونثـره وأدبه. وكان قديرًا على فنون الهَزْل ووصـف بالجود حتى إنه شارف الإملاق عند موته. انظر: ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٧٨.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٨- ٣٥٩.

(٥) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٣- ٨٤.

أما الماعز فتوجد بكثرة في جزيرة قادس[1]، وتشكل القسم الأكبر من ماشيتها[2]، غير أنها كانت قليلة العدد، فيما يظهر، في باقي أنحاء الأندلس، إذ لم نعثر في مصادرنا على مايشير إلى وجود الماعز ضمن أصناف الماشية الأخرى إلا في حدود ضيقة جدًا[3].

وتعد الأيايل من أنواع الثروة الحيوانية الموجودة في الأندلس[4]. وكانت هدفًا يقتنصه الصيادون في البراري. ويروى أن لب بن موسى خرج في سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٦م يصيد الأيل لكنه لقي حتفه في خروجه هذا[5].

والواقع أن الصيد في البراري لم يكن مقتصرًا على الأيايل أو غيرها من الحيوانات البرية؛ بل كانت الطيور صيدًا ثمينًا في الغابات والبراري. وكانت لحوم الطيور تشكل مادة هامة ضمن أصناف الأطعمة، فقد روي أن الفقيه أحمد بن بقي بن مخلد ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م كان إذا طرقه الضيوف ليلاً، لم يذبح لهم شيئًا من الطير، وإنما يقتصر على العسل والسمن والبيض ونحو ذلك فيقدمه لضيفه[6].

لقد كان المهتمون بالصيد وشؤونه كثيرين، وكانوا يمثلون مختلف شرائح المجتمع الأندلسي. فهناك من يمارس الصيد على سبيل اللهو وقضاء الفراغ

---

(١) قادس (Cadix): جزيرة تقع بالقرب من طالقة من مدن إشبيلية، وبها مزارع كثيرة؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٨.

(٣) مثال ذلك مارواه ابن حيان من أن طبيبًا في قرطبة أشار على نصر الخصي بلبن الماعز، وذلك بعد أن شرب نصر كأس السمّ الذي أعده هو أساسًا للفتك بحياة الأمير عبدالرحمن ابن الحكم، لكن نصرًا لم يجد لبن الماعز حتى قضى نحبه. وفي هذه القصة مايمكن أن نستأنس به في الإشارة إلى ندرة الماعز، في قرطبة على الأقل. انظر: ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص١١.

(٤) وقد أشار الزبيدي إلى ذلك في معرض تصحيحه لأخطاء الكلام لدى العامة في الأندلس؛ الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٥) العذري، المصدر السابق، ص ٣١.

(٦) الخشني، المصدر السابق، ص ١١٤-١١٥.

كما هي الحال مع الأمراء ومن سار في ركابهم، وهناك من يمارسه طلبًا للرزق.

وكانت الصقور أو البزاة[(١)] هي الوسيلة المثلى المستخدمة في الصيد في معظم الأحيان، ولذا فقد اعتنى الأمويون بشأنها كثيرًا، فخصصت مناطق عديدة لتربية البزاة ورعايتها، ومن أهمها: المناطق الجبلية في أشبونة، وقد وصفت البزاة في هذه المنطقة بأنها من أحسن البـزاة وأطيرها وأعتقها[(٢)]. كما أن جزيرة يابسة قد اختصت بتربية البزاة الجيدة[(٣)].

بل إن الإمـارة الأمـوية أنشـأت إدارة خاصـة لهـذا الغـرض يطلق على من يتولى الإشراف عليهـا اسم «صاحب البيازة»[(٤)]. ويظهر أن وظـائف هذه الإدارة تنحصر في الاهتمام بشـؤون البزاة وتربيتها، وكذلك تـرتيب رحلات الصيد التي يقوم بها الأمراء الأمويون وإعدادها[(٥)].

وبلغ من اهتمام المجتمع الأندلسي بتربية البزاة وبشؤون الصيد على وجه العموم؛ أن ورد في بعض النـوازل الفقهية مايشير إلى ذلك، فقـد عرضت أسئلة على فقهـاء عصـر الإمـارة ارتكـزت مـوضـوعـاتهـا على حكم استعـارة البـازي للاصطياد به ثم هلاكه في يـد المستعير، إلى غير ذلك من القضايا المتعلقة في هذا الجانب[(٦)].

---

(١) البُزاة: ضرب مـن الصقور التي تصيد، مفردها البـازي. انظر: ابن منظور، جمال الـدين أبو الفضل محمد بن مكـرم، لسان العـرب، (بيروت: دار صـادر، د. ت)، المجلد ١٤، ص ٧٢.

(٢) ابن غـالب الغـرنـاطي، المصدر السـابق، ص ٢٢؛ ابن سعيـد، المصـدر السـابق، ج١، ص٤١١.

(٣) القزويني، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٤) كان صاحب البيازة في عهد الناصر لدين الله هو نجم بن طرفة، انظر: ابن جلجل، المصدر السابق، ص١٠٧، ١١١.

(٥) وكان الأميـر عبدالـرحمن بن الحكم كلفًـا بصيد الغرانيـق؛ ابن الأبار، الحلـة السيراء، ج١، ص٤١. كما أن مطروح بن سليمان بن يقظان الثائر بسـرقسطة زمن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية كان يصيـد الطيور بواسطة البزاة؛ العذري، المصـدر السابق، ص ٢٦؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٨٩.

(٦) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٠٩.

وعلى الرغم من حرص أمراء بني أمية على تنمية الثروة الحيوانية وتشجيعها، إلا أن جهودهم في هذا المجال لم يكتب لها النجاح الكامل فيما يظهر، وذلك بفعل العوامل السلبية التي ظلت عائقًا أمام هذه الجهود، ومن أبرزها الحروب والفتن الداخلية التي عصفت بالأندلس لفترات طويلة فأنهكت قواها الاقتصادية، ولم يكن تأثيرها السلبي ليقتصر على جانب واحد من الجوانب الاقتصادية دون غيره، بل شملتها جميعًا، إذ أهلكت قسمًا لايستهان به من الناس وهم الأيدي العاملة، وأحرقت المحاصيل الزراعية وأتلفت المزارع، ثم تسبَّبت في هلاك الماشية ونقص الثروة الحيوانية بالإضافة إلى تعطيل الطرق التجارية.

ولقد كانت الغارات على الأغنام والأبقار وغيرها من أصناف الماشية الأخرى من المشاهد المألوفة التي تكررت كثيرًا بين المتحاربين في هذه الفترة، فقد دأب ابن حفصون على استهداف الثروة الحيوانية في غاراته التي يشنها على قرطبة وعلى غيرها من المناطق الخاضعة لسلطان الحكومة المركزية(١). وكانت جيوش الإمارة الأموية ترد عليه بالمثل، فقد أشار ابن حيان(٢)، في حديثه عن أخبار الحرب التي وقعت سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م بين الجيش الأموي وجيش ابن حفصون، إلى هلاك عدد من الخيول التابعة لجيش ابن حفصون. كما يروي ابن حيان(٣) أن جماعة من المفسدين من أهل شذونة وغيرها، أغاروا على جزيرة للمنذر بن الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وكان فيها مائة رمكة(٤) ومائتا بقرة، وهذا التصرف كان من الأعمال الكيدية التي قام بها زعماء العرب ضد الإمارة الأموية، وذلك لزعزعة نفوذ الإمارة في مناطقهم تمهيدًا للانفصال.

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٣٩، ١٤٥؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٣.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٧٢.

(٤) الرَمَكة هي إناث الخيل؛ الزبيدي، لحن العامة، ص ٧٩.

وعندما اجتاز زعيم المولّدين الثائر، سعدون السرنباقي[1]، بمدينة قُلُمْرية، وهي يومئذ بيد المسلمين يسكنها قوم من مصمودة، خرج إليه أهل قلمرية يصدونه عن طريقه فوقعت بينهم حرب، قتل فيها رجال من مصمودة وعقرت لهم خيول[2].

ومع هذا الازدهار للثروة الحيوانية إلا أن الثروة الحيوانية نقصت في أوقات الكوارث الطبيعية كالقحط العظيم الذي وقع بالأندلس سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م[3] والسيل العارم بالأندلس سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م[4].

أما مهنة الرعي فقد نشأت كاستجابة طبيعية لوفرة الماشية، ووفرة المراعي في الأندلس، غير أن مزاولة هذه المهنة قد ارتبطت بالفقراء فيما يبدو، فقد كان عامر بن أبي جوشن بن ذي النون الهواري فقيرًا يرعى الغنم، في أول أمره[5]. ويتضح من الأسئلة التي وجهت إلى الفقهاء، وخصوصًا الفقيه ابن لبابة، خلال هذه الحقبة؛ أن هناك محاولات جادة لتقنين مهنة الرعي وتنظيم قواعدها وشروطها، فقد كانت تحدث تجاوزات من الرعاة، كأن يقوم أحدهم بتوكيل غيره من الرعاة على الغنم[6]، أو يقوم الراعي بدفع الماشية من البقر والغنم إلى غيره

(١) هو سعدون بن غار، من زعماء المولدين، وأصله من مولدي الغرب. كان موصوفًا بالشجاعة والشر، وكان المولدون يغلون فيه ويقولون إنما هو السرور الباقي، وقد تضافر مع ابن مروان الجليقي في الثورة ضد الإمارة الأموية، وذلك في أواخر عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٤٤- ٣٤٩.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٦٩.

(٣) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ١؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ٨٩.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٥؛ الذهبي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦١.

(٥) العذري، المصدر السابق، ص ١٤. وأما عامر بن أبي جوشن فقد تغلب على شاطبة والجزيرة في عهد الأمير عبدالله، وفي مطلع حكم الناصر لدين الله تمسك عامر بالطاعة، لكنه نقض عهده سنة ٣١٢هـ فحاربه الناصر واستنزله؛ المصدر نفسه، ص ١٤ـ١٥.

(٦) الونشريسي، المصدر السابق، ج٨، ص ٣٣١.

بـدون إذن أهلها فيضيع شيء منهـا[١]، أو يقوم الـراعي بضـرب الماشيـة بعصا كبيرة أو بحجر فيقتلها[٢].

كمـا يتضح من هذه الأسئلـة أن الرعـاة يـؤاجرون من أنفسهـم على الـرعي لمدد زمنية متفاوتة تصل إلى سنة[٣]، وقد تصل إلى ثلاثة أشهر[٤]. ويتجلى لنا من خلال هـذه الأسئلة مدى البـؤس الذي يعيشه الـرعاة، وفي ذلك تأكيـد لما ذكرناه من قبل من أن مهنة الرعي قد ارتبطت بالفقراء، فقد أوضحت إحدى هذه الأسئلة أن أجرة الـرعي لمدة سنة واحدة تقدر بعشـرة دنانير[٥]. ولنا أن نتصـور ضـآلـة هـذا المبلغ إذا علمنـا أن ثمن جـاريـة حسنـاء تجيـد الغنـاء يصل إلى الخمسمائة دينار، وقد دفع فيها المنذر بن الأمير عبدالرحمن ألف دينار[٦].

سادسًا: صيد السمك:

تشكل الثروة السمكية رافدًا هامًا من روافـد الثروة الحيوانية في الأندلس، وذلك لوفرة الأسماك فيها، إذ تنتشر مصائد الأسماك على طول السواحل الغربية والجنوبية والشرقية، بالإضافة إلى الأنهار الداخلية في البلاد. فيصطاد السمك في ساحل مـدينة أشبـونة[٧] وجزيـرة شلطيش[٨] وأكشونبة[٩]. كما يصطـاد السمك في شاطئ مالقـة، إذ يروى أن الناصر لدين الله عبـدالرحمن بن محمد

(١) الونشريسي، المصدر السابق، ج٨، ص ٣٣١.
(٢) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٣١-٣٣٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٦٣.
(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٦٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٦٣.
(٦) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٧٧.
(٧) ابن غالب، المصدر السابق، ص ٢٢؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٤١١.
(٨) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٧، ١٦٨.
(٩) ابن غـالب، المصدر السـابق، ص ٢٢. وأكشونبـة (Ocsonba) مدينـة يتصل عملها بعمل أشبونة، غربي قرطبـة، وهي مدينة كثيرة الخيرات برية وبحريـة؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٤٠.

اصطاد السمك ذات مرة في هذه الجهة[١]. وفي بزليانة[٢] توجد: "شباك يصاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى تلك الجهات المجاورة لها"[٣]. ويظهر أن مدينة المنكّب[٤] كانت من مصائد الأسماك، إذ يروى أن الأمير عبدالرحمن بن معاوية قد دخل الأندلس في قارب سمّاك، فوصل به إلى مدينة المنكّب[٥]. ولعل في ذلك مايشير إلى ازدهار تجارة السمك، وبالتالي نشاط حركة الصيد في البحر، إذ كانت قوارب الصيادين تجوب سواحل الأندلس والمغرب معًا بحثًا عن الأسماك.

وتوجد مصائد الأسماك في إشبيلية التي وصفت بفضل الصيد في البر والبحر[٦]. أما في قرطبة فيصطاد السمك من نهرها، وقد اعتاد الأمير عبدالله ابن محمد، على الصيد في نهر قرطبة[٧].

ولقد ترتب على وفرة الثروة السمكية وتنوع مصادرها، أن قامت تجارة السمك في الأندلس وازدهرت، ومن مظاهر هذا الازدهار، أن قسمًا من الناس انصرف إلى صيد السمك والاتجار به، فكان عمر بن حفصون، قبل أن يعلن عصيانه على الإمارة الأموية، يشتغل بتجارة السمك، إذ قال الذهبي[٨] عنه: "وكان هذا بدويًا يجلب السمك بالأندلس".

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٣.
(٢) بزليانة: قرية تقع على بعد ثمانية أميال من مالقة؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٠.
(٤) المنكّب (Almonecar) بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال إلبيرة. بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٢١٦.
(٥) الذهبي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٤٥.
(٦) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٣- ٢٤.
(٧) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٦.
(٨) الذهبي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦٣- ٢٦٤.

وكان قسم من الفقراء أو الزهاد من الناس يرون في صيد السمك وسيلة لإدراك عيشة الكفاف والاستغناء عن ذل المسألة[١]. ويبدو أن هذا الأسلوب في الحياة قد استمر إلى مابعد عصر الإمارة، فقد كان القاضي أبوبكر بن السليم[٢] ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، يصيد السمك بنهر قرطبة ويبيع صيده فيأخذ من ثمنه مايقتات به ويتصدق بفضله[٣]. على أن بعض أمراء بني أمية اتخذ من صيد السمك وسيلة للمتعة والاستجمام، فقد كان الأمير عبدالله بن محمد يصيد السمك في نهر قرطبة، فإذا أراد الخروج للصيد، عَهِدَ إلى صاحب المدينة بألاّ يدع أحدًا يجوز القنطرة في ذلك اليوم الذي يخرج فيه[٤].

كما يروى أن الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد بعد أن فرغ من إحدى غزواته سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، انتقل إلى ساحل مالقة وأمضى فيه ثلاثة أيام مستريحًا، وكانت تصطاد أمامه أنواع السمك البحري[٥].

أما أهم أنواع الأسماك الموجودة في الأندلس فنذكر منها؛ الترحتة ويوجد في نهر إبرة[٦]. وورد في الأمثال الأندلسية مايشير إلى أنواع أخرى مثل:

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٣٩.

(٢) هو محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم. قاضي الجماعة بقرطبة. رحل إلى المشرق سنة ٣٣٢هـ. وانصرف إلى الأندلس فأقبل على الزهد ودراسة العلم. ولي القضاء بقرطبة سنة ٣٥٦هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٣٦٧هـ؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٩-٧٥٠.

(٣) القاضي عياض، المصدر السابق، تحقيق أحمد بكير محمود، المجلد الثاني، ج٤، ص ٥٤٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٤) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٦.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢٣.

(٦) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٠٥.

الشابل[١] والصلباح[٢]. كما أشارت الأمثال الأندلسية إلى أنواع عديدة من الحيتان منها: المول[٣] والشول[٤]، ومن أنواع الحيتان أيضا؛ البوري والشوري، ويكثر وجودها في نهر طرطوشة[٥].

---

(١) فمن الأمثال التي أشارت إلى هذا النوع من السمك: «بحل شابل، دمٌّ على خدٌّ»، وعبارة دم على خد تقال كناية عن الشيء الطري. انظر: الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، رقم ٦٢١، ص ١٤٠.

(٢) أشار الأندلسيون في أمثالهم إلى هذا النوع من السمك، فقالوا: «بحل صلباح، مايموت حتى يذبح». وهذا المثل يشبه به الشخص المنفلت الذي لايقبض عليه. انظر: المصدر نفسه، رقم ٦٦٩، ص ١٤٩.

(٣) ومن الأمثال الواردة في هذا النوع من الحيتان: «المول، اسم يقتول» والمقصود هو أن اسم المول يقتله لأن الصيادين يبحثون عنه لنفاسته وغلاء ثمنه. انظر: المصدر نفسه، رقم ٢٣١، ص ٥٨.

(٤) ومن الأمثال الأندلسية الواردة في حوت الشول، قولهم: «حوت الشل، مالُ شوك»، انظر الزجالي، المصدر نفسه، رقم ٨٣٠، ص ١٨٩.

(٥) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٤٥.

الفصل الثالث

النشـــاط الصناعي

أولاً - العوامل المؤثرة في الصناعة ·

ثانيًا - الصناعــات :

أ. الصناعات المعدنية .

١ - الحدادة

٢ - الصياغة

ب حياكة المنسوجات وصباغة الأنسجة .

جـ. الصناعات الجلدية .

د. الصناعات الخشبية .

هـ. الصناعات الزراعية .

و. صناعة الورق

ز. الصناعات الأخرى

ثالثًا - الحِـــرف .

رابعًا - أحوال الصُنَّـاع والحِرفيين

أولاً: العوامل المؤثرة في الصناعة.

لقد تبع حركةَ الفتح الإسلامي للأنـدلس كسادٌ صناعي، إذ توقف الصنّاع عن الإنتـاج كنتيجـة طبيعيـة للفتح، كما أحـدث هـذا الفتح هـزة في المجـال الاقتصادي بسبب الغنـائم الهائلة التي غنمهـا المسلمون في المدن المفتـوحة. أمـا عهـد الـولاة (٩٥-١٣٨هـ/ ٧١٣- ٧٥٥م) فكـان عهـد اضطـراب وعـدم استقرار من النـاحيتين السياسية والاقتصـادية. ولمّا استقرت دعـائم الإسلام في الأندلس بتأسيس الإمارة الأموية، وازدهـر الاقتصاد الأندلسي بدأت الصناعات بالنمو على الرغم من المعوقات[١]. ولكن كانت هناك عدة عوامل إيجابية أدت إلى النمو نذكر منها: وفرة الأيدي العاملة، فقد انصرف قسم كبير من الناس إلى المجال الصناعي واشتغلـوا بجوانبه المختلفة، ومما يدل على وفـرة هذه الأيدي العاملة، ماروي من أن الأمير الحكم بن هشام، قد قتل من أهل الربض بقرطبة، عندما ثـاروا عليه سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، مايـزيد على عشرة آلاف رجل، وأجلى عن قرطبة ضعف هذا العدد[٢]. وجاء في روايـة أخرى أن عـدد القتلى في هذه الحادثـة يقترب من الأربعين ألفًـا، وأن أعدادًا أخرى منهم تقـدر بالألـوف، قد أرغمت على الخروج من قرطبة[٣].

و إذا سمحنـا للمبالغـة بحصتهـا المعهـودة في مثل هذه الـروايـات، فإن مـاتبقى ليدل على صحـة مـاذهبنا إليـه من وفـرة الأيدي العـاملـة، خاصـة وأن الـروايات التي أوردنـاهـا آنفًا تتحـدث عن قـرطبة وحـدهـا، فكيف ببقية مـدن الأنـدلس الأخرى. ثم إن حي الـربض بقرطبـة يضم الكثيرين من أهل الصنـائع والحرف المختلفة، فقد كان من بين الأسبـاب التي أدت إلى اندلاع ثورة الربض

(١) السيد عبدالعزيـز سالم، الفنون والصناعات بالأنـدلس، دائرة معارف الشعب، العدد ٦٤، القاهرة: مطابع الشعب، ١٩٥٩، ص ١٧٨.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق بروفنسال، ص ١٦.

(٣) الذهبي، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٥٧.

سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، أن غلامًا، من مماليك الأمير الحكم، أعطى سيفه لحدادٍ من أهل الربض ليصقله، لكن هذا الحداد أخذ يتهكم بالغلام ويستهزئ به حتى أغضبه، فما كان من الغلام إلا أن أخذ السيف وضرب به الحداد، فقتله، فهاج الربضيون بعد هذا الحادث، وأعلنوا العصيان(١).

ومما يدل أيضًا على وفرة الأيدي العاملة؛ أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم، عندما شرع في توسعة المسجد الجامع بقرطبة، لم يواجه مشقة في استدعاء العديد من الأيدي العاملة المُدرَّبة لتنفيذ مشروعه هذا. فقد: "جمع فاخر الآلات لبنائه واستكثر من عدد حذاق الفعلة لأحكامه "(٢).

كما جاء في الأمثال الأندلسية مايشير إلى وفرة الأيدي العاملة، كقولهم: "كثرة الكفوف، وقلة الدُّفوف "(٣).

ومن العوامل المؤثرة إيجابًا على الصناعة، نذكر أيضاً:

وفرة المواد الخام اللازمة للصناعة، وكان لهذا العامل أثر هام في غزارة الإنتاج الصناعي، وفي تقدم الصناعات المختلفة خاصة وأن المسلمين قد عملوا على استغلال مواقع جديدة تتوفر فيها الثروة المعدنية واستنبطوا طرق وتقنيات جديدة في مجال التعدين(٤). ومن أهم أنواع المعادن الموجودة في الأندلس: الذهب، ويوجد في كورة تدمير(٥) وفي كورة إلبيرة(٦)، وكذلك في نهر لاردة(٧)، وفي ساحل أشبونة(٨).

(١) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٤٢.
(٢) ابن حيان المصدر السابق، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
(٣) الزجالي، المصدر السابق، رقم المثل ١١٥٧، ص ٢٦٨.
(٤) JOAQUIN VALLVE, LA INDUSTRIA EN AL- ANDALUS, AL-QANTARA, MADRID, 1980, VOLUMEN 1, P.1.
(٥) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٧.
(٦) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص ١٠٤؛ وانظر كذلك: LÉVI - PROVENCAL: OP. Cit, P.66.
(٧) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٨ – ١٢٩.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٢٨ – ١٢٩.

أما الفضــة، فتوجد في منـاطق متفرقة من الأنـدلس : ففي إقليم كرتش، من أعمال قرطبة، يوجد معـدنٍ للفضة غزير المادة فائق الجودة[١]. كما يوجد معدن الفضة فـي تدمير[٢] وإلبيرة[٣] وجيان[٤]، وكذلك في مـدينة شنترة[٥]، وفي طوطالقة[٦]، من إقليم باجة.

أما معدن النحاس في الأندلس فهو، حسبما يقول البكري[٧]: «أكثر من أن يحصى»، لكنـه لـم يوضح لنـا المنـاطق التي يتوفـر فيهـا النحاس. ويشيـر الرازي[٨] إلى توفر النحاس في كورة إلبيـرة. كما تشير بعض المصادر المتأخرة إلى موقعين يتـوفر فيهمـا النحاس، أولهما في جبـال طليطلة[٩]، وثانيهمـا في شمال الأندلس[١٠].

ويعتبر الحديد من أكثر المعادن شيوعًا في استعمالات المجال الصناعي المختلفــة، وينتشر في منـاطق متفرقة من الأنـدلس، فـهو يـوجــد في كـورة

---

(١) البكـري، المصـدر السـابق، ص ١٢٩؛ المقـري، المصـدر السـابق، ج١، ص ٤٥٥؛ مجهول المؤلف، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، قطعة من مخطوط في جغرافية الأندلس، تقديم حسين مؤنس، (مـدريد : صحيفة معهد الدراسـات الإسلامية، ١٩٦٥- ١٩٦٦م)، المجلد الثالث عشر، ص ١٨١.

(٢) ابن الفقيه الهمـداني، المصدر السـابق، ص ٨٧؛ البكري، المصـدر السابق، ص ١٢٩؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٥- ١٦.

(٣) ابن الخطيب، المصــدر السـابق، المجلــد الأول، ص ١٠٤؛ الأصطخـري، المصــدر السابق، ص ٣٦؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٤.

(٤) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٧.

(٥) المراكشي، عبدالواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، (القاهرة: دار إحياء التراث الاسلامي، ١٩٦٣م)، ص ٤٤٨.

(٦) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٥٠.

(٧) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٩- ١٣٠.

(٨) LÉVI - PROVENCAL: OP. Cit, P,66

(٩) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(١٠) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٠ـ٢٠١.

إلبيرة[1] وفي جبال طليطلة[2] وفي كورة بلنسية[3]. وتعد مدينة فـرِّيش الواقعة إلى الغرب من قرطبة، من المناطق التي يتوفر فيها الحديد بكثرة[4]. كما يوجد الفولاذ في إشبيلية[5].

ويتوفـر الرصاص في الأندلس بكميـات كبيرة[6]، إذ يوجـد في إلبيرة[7] ودلاية[8] وبرجة[9].

واشتملت الثـروة المعدنيـة في الأندلـس على الزئبق، ويـوجد بكميـات هائلة في الجبـال القريبة من فحص البلوط، شمـال قرطبة[10]. كما اشتملت الثروة المعدنية على معدن التوتيـا، ويوجد في قرطبة[11] وإلبيرة[12]، ويستفاد من هذا المعدن في الصناعات النحاسية[13].

---

(١) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٤.

(٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٣) ابن غالب، المصدر السابق، ص ١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠-٢١؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٢٥٩.

(٥) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٢.

(٦) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩؛ البكري، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبـار غرناطة، المجلـد الأول، ص ١٠٤؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٨) المراكشي، المصدر السابق، ص ٤٤٨- ٤٤٩.

(٩) ابن سعيـد، المصـدر السـابق، ج٢، ص ٢٢٥؛ المقـري، المصـدر السـابق، ج١، ص ١٥٠.

(١٠) ابن الفقيه الهمداني، المصـدر السابق، ص ٨٧؛ ابن غالب الغرنـاطي، المصدر السابق، ص ٢٠.

(١١) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٥٢.

(١٢) البكـري، المصدر السـابق، ص ١٢٩- ١٣٠؛ الإدريسي، المصدر السـابق، ص ١٩٩؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٤.

(١٣) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٩- ١٣٠.

ومن المعادن الأخرى الموجودة في الأندلس؛ حجر المرقشيتا وتوجد في جبل شلير في إلبيرة على اختلاف أنواعها[١]، واللازورد ويوجد في إلبيرة[٢] وتدمير[٣]. وحجر البجادي ويتوفر في الجبال القريبة من أشبونة[٤]، ومن خواص هذا الحجر أنه يضيء في الليل كالمصباح.

أما حجر المغناطيس فيوجد في كورة تدمير[٥]، كما يوجد الياقوت الأحمر في مالقة[٦] وبجانة[٧]، ويوجد القصدير في أكشونبة[٨]، وأما معدن الصفر فيوجد في إلبيرة[٩].

ويظهر أن الأندلسيين استفادوا كثيرًا من خواص بعض المعادن في الأغراض الطبية إلى جانب استفادتهم منها في الأغراض الأخرى، فهناك معدن الشادنج، وهو حجر يقطع الدم، ويستخدم أيضًا في التذاهيب، ويتوفر هذا المعدن في الجبال القريبة من قرطبة[١٠]. وهناك الحجر اليهودي ويستفاد منه في تفتيت الحصى في المثانة أو الكلية[١١]، ويوجد هذا المعدن في حصن البونت[١٢].

(١) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص١٠٥.

(٢) ابن الخطيب، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٠٥.

(٣) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٧ - ١٢٨؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

(٤) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٧ - ١٢٨؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

(٥) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

(٦) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٧) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٣٩- ٤٠.

(٨) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٩) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٦؛ القزويني، المصدر السابق، ص ٥٠٢.

(١٠) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩؛ القزويني، المصدر السابق، ص ٥٥٢؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٥٢٠.

(١١) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٣.

(١٢) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩.

أما معدن الزنجفر فهو يوجد في حصن أبال - شمال قرطبة -[1]. ويوجد معدن الشب في قرطبة[2] ولبلة[3].

ومن المعادن الأخرى الموجودة في الأندلس؛ المغنيسيا[4] والكبريت الأحمر والكبريت الأصفر[5]. وتزخر أرض الأندلس بالرخام، وقد استفاد الأندلسيون منه كثيرًا في منشآتهم العمرانية. ويذكر ابن غالب[6] أن الرخام يستخرج من عشرة مقاطع في الأندلس، لكنه لم يبين لنا الأماكن التي يتوفر فيها الرخام بشكل دقيق. ونستطيع أن نتعرف على هذه المناطق الغنية بالرخام من المصادر المختلفة. ففي قسطيلية، من أعمال إلبيرة، يوجد مقطع للرخام[7]، ويوجد أيضا في الجبال القريبة من قرطبة[8] وفي ناشرة[9] وباغة[10] وطركونة[11]، كما يوجد الرخام في ماردة، إذ يروى أن الوزير هاشم بن عبدالعزيز جمع أنواعًا جيدة من الرخام في هذه المدينة عندما كان واليًا عليها[12]. وتحتوي مدينة فرِّيش على مقاطع عديدة للرخام، ويمتاز الرخام الفريشي ببياضه وصلابته[13]. ويوجد الرخام في رية[14].

---

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢١٣.
(٢) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٥٢.
(٣) ابن سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٩؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٥٠٧.
(٤) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٩ - ١٣٠.
(٦) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٣٩.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٤.
(٨) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠١.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠١.
(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠١.
(١١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٠ - ١٩١؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩٢.
(١٢) الحميري، المصدر السابق، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.
(١٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٧؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٠-٢١.
(١٤) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٥٦٨.

أما الأخشاب فهي من الخامات الأساسية التي اعتمدت عليها الصناعة في ذلك الوقت، وكانت الأندلس تزخر بهذه الثروة من الأخشاب في أراضيها وخصوصًا في الجهات الشرقية منها، ففي جبال طرطوشة يوجد خشب الصنوبر بكثرة[١]، ويبدو أن الأخشاب كانت تتوافر بكميات هائلة في المناطق الشمالية الشرقية من الأندلس، إذ يذكر ابن حيان[٢] في حوادث سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م أن الإمارة الأموية جرّدت حملة عسكرية نحو بنبلونة، لكنها لم تحقق نجاحًا يذكر، ويرجع السبب في ذلك إلى أن أهالي بنبلونة اعتمدوا على الأخشاب الوفيرة لديهم، فوضعوها في طريق المسلمين لإعاقتهم عن الحركة، كما قاموا بحفر الخنادق من أجل ذلك. و يتوفر الخشب بكميات كبيرة في كورة جيان[٣]، إذ كان الناصر لدين الله، يستفيد من أخشاب هذه المنطقة في إنشاء مبانيه[٤]. واشتهرت جزيرة يابسة بجودة أخشابها[٥].

ولا نستبعد أن يكون لهذه المواد الخام دور إستراتيجي في تطوير الصناعة، لكنها لم تستخدم الاستخدام الأمثل، ويستفاد منها على نطاق واسع في هذه الفترة، بسبب وجود العديد من العوائق التي حالت دون ذلك، وتتمثل هذه العوائق في مجموعة من العوامل التي أثرت سلبًا على الصناعة، فحدَّت من تعاظم نموها.

---

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٠ ؛ الحميري، المصدر السابق، ص٣٩١.

(٢) E.LÉVI - PROVENCAL Y E. GARCIA GOMEZ.: TEXTOS INÉDITOS DEL "MUQTABIS" DE IBN HAYYANSOBRE LOS ORIGENES DEL REINO DE PAMPLONA, AL-ANDALUS, REVISTADE LAS ESCUELAS DE MADRIDY GRANDA. VOL. XIX, 1954, FASC.2. P.296.

(٣) ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٦.

(٥) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٤٢٤.

ولعل من أهم هذه العوامل:

عدم الاستقرار السياسي، واضطراب حبل الأمن الداخلي في الأندلس، إذ كان للحروب والثورات المتعاقبة التي تميز بها عصر الإمارة، أثر بالغ في الإضرار بالصناعة، فقد تسببت ثورة الربض الشهيرة بقرطبة سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، في خسارة فادحة للصناعة، إذ نجم عنها هلاك قسم كبير من الناس، وهم الأيدي العاملة، كما نجم عنها أيضًا هجرة قسم آخر منهم إلى خارج الأندلس، ولنا أن نتصور حجم الخسارة التي لحقت بالصناعة بفقدان هذه الأعداد الضخمة من الأيدي العاملة، والتي كانت، فيما يبدو، على درجة عالية من الكفاءة المهنية، ويدل على ذلك ماروي من أن حدادًا من جالية الربض بقرطبة يدعى؛ سمعون بن يزيلان الزناتي[(١)]، قد نزل سجلماسة بعد جلائه عن قرطبة، وصنع سلاحًا جيدًا حاز على إعجاب زعيم الدولة القائمة بسجلماسة وهو أبو الخطاب الصفري، فاستحسنه، وضمّ هذا الحداد الأندلسي إلى بلاطه، فظلت مكانته تزداد عند أبي الخطاب شيئًا فشيئًا، إلى أن صار القائم بأمره، فلما مات أبو الخطاب ولّي مكانه[(٢)]، وعرفت الدولة بعد ذلك باسم هذا الحداد الأندلسي، وهي دولة بني مدرار. وفي ذلك يذكر البكري[(٣)] أن بني مدرار القائمين بأمر سجلماسة، قد عيَّرهم الناس لأن مؤسس دولتهم كان حدادًا، وهجتهم الشعراء بذلك.

---

(١) أبوالقاسم سمعون بن يزيلان بن يرول بن إسحاق بن يحيى الزناتي، الملقب بالمدرار، وقد نسبت دولة بني مدرار بسجلماسة إليه. كان جده ممن دخل الأندلس مع طارق بن زياد. توفي سنة ١٩٩هـ، وولي بعده ولده أبو الوزير؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤م) ص ١٤٠- ١٤١.

(٢) ابن الخطيب، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٤٠- ١٤١.

(٣) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، منتخب من كتاب المسالك والممالك، (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت)، ص ١٤٩.

ومن وجوه الضـرر الأخرى التي لحقت بالصنـاعة من جراء هـذه الحروب والفتن الداخليـة، ما دأب عليه قـادة الثورات على الأمويين من العبث بـالمواد الخام اللازمة للصناعة، فكثيرًا مـا كان يلجأ زعماء الثورة في أي جهة كانت من الأندلس إلى اصطنـاع الهيبة لأنفسهم وإضفـاء صفة الاستقـلال على كيانهم، وذلك عن طريق سك العملة وكتابة أسمائهم عليها، وبالنظر إلى كثرة الثوار في جهات متفـرقة من الأندلس في هذه الفتـرة، والرغبة العارمـة لدى كل منهم في الاستقـلال بمـا في أيـديهم من الأقـاليم، ومن ثم حـرصهم على سك العملـة بأسمائهم كمظهر من مظاهر الانفصال؛ فـإن ذلك كله قد أدى إلى إجهاد طاقة المناجـم المعدنية، كـالذهب والفضـة، فبدلاً مـن أن يستفاد منها فـي أغراض صناعية أخرى أكثر نفعًا؛ نجدها تسخَّر لإشباع رغبة الطامحين في الانفصال. فمن ذلك مثلاً أن ديسم بن إسحاق[١]، عندما سيطر على مدينة لورقة وغلظت شوكته فيهـا وكثر أتباعه، أعلن العصيـان وحارب جيوش الإمارة الأمـوية، وعثر على معادن الفضة بتدمير، فضرب الدراهم على اسمه[٢].

ومن الأضـرار الأخرى التي أصيبت بهـا الصنـاعة بسبب تـدهـور الحالـة الأمنيـة وعـدم الاستقرار السيـاسي في الأنـدلس، هـو انصـراف عـدد من أهل الصنـائع والحرف إلى المشـاركة في الأحـداث العسكـرية والسيـاسية، إذ كـان يحدث في بعـض الأحيان أن يخرج صـاحب الصناعـة للمشاركـة في الجيوش والحملات العسكـرية التي تبعثها الإمارة الأمـوية لغزوٍ أو لإخماد ثـورةٍ أو لصد هجوم محتمل من الخـارج وما إلى ذلك من الأمور الحربيـة. فقد أشار المؤرخ

---

(١) ديسم بن إسحـاق، كان من فرسـان عمر بن حفصـون، ثم ملك لورقـة وغلظت شوكتـه وكثر أتباعه وأعلن العصيان. وقد غزاه القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة وحاربه وضايقه فأذعن وأدى قطيعًا من الجباية وتمسـك بموالاة عمر بن حفصون. وقد توفي بمـرسية سنة ٢٩٣هـ؛ العذري، المصدر السابق، ص ١١-١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١-١٢.

ابن حيان[1] إلى وجود صاحب الصناعة[2] في الجيش الذي بعثه الأمير عبدالله ابن محمد بقيادة ابنه المطرف لإخماد بعض الثورات القائمة في وجه الإمارة الأموية في شذونة وفي غيرها من الجهات، ويفهم من رواية ابن حيان عن صاحب الصناعة هذا أنه كان يحتل موقعًا متأخرًا من صفوف الجيش بالقرب من مستودع الجيش وذخيرته فيما يبدو، وكان الأسرى يحبسون قريبًا منه، فيقول ابن حيان في هذا الشأن: " . . وكان في حبس العسكر رجال من أسرى أهل شذونة كانوا في العمود عند صاحب الصناعة بالعسكر. . " ولاغرابة في أن يظل صاحب الصناعة في مؤخرة الجيش، فلم يكن القتال مهمته الأساسية التي أخرج من أجلها، بل كانت مهمته بالدرجة الأولى هي الإشراف المباشر على الأسلحة والنظر في مدى صلاحيتها للاستعمال، غير أن تواجد صاحب الصناعة في ساحة الوغى لايخلو، بطبيعة الحال، من الخطر الذي يتهدد حياته، وذلك مايجعلنا نظن بأن مشاركة هؤلاء في الجيوش يعد من العوامل المؤثرة سلبًا في الصناعة.

كما يحدث في أحيان أخرى أن يشارك الحرفيون وأهل الصنائع المختلفة في الأحداث السياسية والفتن الداخلية في مناطقهم، وهذا يؤدي إلى انصرافهم بالتدريج عن أعمالهم الأساسية، فيتعطل الإنتاج الصناعي بسبب ذلك، فقد روي أن زعيم المولّدين بسرقسطة، محمد بن لب التجيبي[3]، قتل على يد

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١١٣.

(٢) ويبدو أن المقصود بهذه الصناعة، هي الصناعة المعدنية كالحدادة وماشاكلها، فقد كانت حاجة الجيش ضرورية لصاحب هذه الصناعة، وذلك لصنع مايحتاج إليه الجيش من الأسلحة أو لإصلاح الأسلحة كصقل السيوف مثلاً.

(٣) ثار محمد بن لب ودخل مدينة سرقسطة سنة ٢٥٨هـ. وبعد خروجه منها ولاّه الأمير محمد ابن عبدالرحمن على أرنيط وطرسونة وجريش. وجدّد له الأمير المنذر بن محمد الولاية على هذه المناطق وأضاف إليها تطيلة ولاردة. كما بنى محمد بن لب حصن تاجره وحصن غويتوز وبقيرة وجعلهما ملاذًا لمن هرب من الأسرى، قتل سنة ٢٨٥هـ ؛ العذري، المصدر السابق، ص ٣٦- ٣٧.

رجل من الفرّانين عند باب سرقسطة[1]. كما يروى أن المولّدين والموالي، عندما ثاروا بإشبيلية وأحاطوا بقصر الإمارة، وفيه محمد بن الأمير عبدالله بن محمد، اجتمع إليهم سفال المدينة - كما تقول الرواية - من الباعة وغيرهم، فاستكثف جمعهم، ولم يتمكن الجيش الموجود في المدينة من إخضاعهم[2].

ففي مثل هذه الأخبار إشارات واضحة إلى تأثر أهل الحرف المختلفة بالأحداث السياسية الجارية، ومشاركتهم في رسم بعض أحداثها.

ومن العوامل المؤثرة سلبًا على الصناعة، نذكر: الكوارث العامة كالحرائق وماشابهها، فمن ذلك مثلاً الحريق الذي وقع بسوق قرطبة سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، فاحترقت منه حوانيت المشاطين والخراطين[3]، ويظهر أن هذا الحريق كان هائلاً وإلا لما وصلت إلينا أخباره.

وقد نتج عن هذا الحادث وقوع مشكلات بين أصحاب الحوانيت المحترقة من التجار والصنّاع وبين عملائهم الذين فقدوا أمتعتهم وبضائعهم في تلك الحوانيت، إذ يبدو أن هؤلاء العملاء قد طالبوا أصحاب الحوانيت بدفع تعويضات لهم مقابل بضائعهم المفقودة، ويظهر أن الدولة استطلعت آراء الفقهاء في هذه القضية. فكان من رأي الفقيه محمد بن أيمن ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م[4] أن يكتفى بسؤال أصحاب الحوانيت عمّا إذا كانت بضائع عملائهم موجودة في حوانيتهم وقت اندلاع الحريق، والتأكد من أنها احترقت

---

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٢.

(٤) محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبدالله. كان فقيهًا عالمًا، حافظًا للمسائل والأقضية، نبيلاً في الرأي، مشاورًا في الأحكام. وكان ضابطًا لكتبه ثقة في روايته وألّف مصنفًا في السنن على تصنيف أبي داود. انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٠٤-٧٠٥.

بـالفعل، وتؤخـذ منهم الأيمـان المغلّظـة على ذلك، وعندهـا فـلا يقع عليهم ضمان ولايحق لأحد أن يطالبهم بدفع أية تعويضات[1].

ثانيًا: الصناعات:

أ- الصناعات المعدنية:

١/ الحِـدادة: لقـد كانت الأندلس غنيـة بالثروة المعدنيـة، وخصوصًا معدن الحديد[2] الـذي هيأ السبيل لقيـام الصناعـات المعـدنيـة، وخصوصًـا الحدادة. فكثيرًا مـا أشارت مصادرنا إلى الحدادين. كمـا أن المصنوعات التي ينتجها الحدادون كانت كثيرة ومتنـوعة، ويضاف إلى ذلك، كدليل على ازدهار هذه الحرفة ونشاطها، أن كثيرًا من الحـدادين كانوا يتخذون لهم صبيان يعملون عندهم بـالأجرة لمساعـدتهم في إنجاز أعمالهم، وهـذا يحملنا على الظن بأن المستـوى المـادي للحدادين كـان جيـدًا، كمـا أن حجم أعمالهم كـان كبيـرًا ونشاطهم متسعًا، بحيث تعذر عليهم أن يؤدوا واجباتهم بمفردهم ودون الحاجة إلى عمال يشـاركونهم في هذه الأعمـال. فقد كان هـاشم الضرّاب[3]، بعد أن جيء به من طليطلة إلى قرطبة، يعمل بالأجرة في سوق الحدادين بقرطبة[4].

ومما يروى خـلال ثورة الربض سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، : "أن حدّادًا كان بين يـديه صبي يسـوق الكير وأبصـر اجتماع النـاس وحضورهم في الأسلحـة، فقال: ومن رئيسهم؟ فقيل: ليس لهم رئيس. فقال للصبي: ياصبي حرّك الكير

---

(١) ابن سلمون، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١.

(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩؛ البكري، المصدر السابق، ص ١٢٩- ١٣٠.

(٣) ثـار هاشم الضـراب بطليطلـة سنة ٢١٤هـ بعـد خروجـه من قـرطبـة، واستدعى أهل الشـر والفسـاد، فاجتمع إليـه منهم جمع عظيم، فعلا ذكـره وانتشر صيتـه. انظر: ابن عـذارى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٨٣.

واعمل عملك؛ فإن هؤلاء لايكون منهم شيء"[1]. وفي هذه الأخبار مايشير إلى استعانة الحدادين بعمال يعملون لديهم بالأجرة.

ولقد كان للحدادين سوقٌ خاصةٌ بهم، إذ ورد أن محمد بن فضيل بن هذيل الحداد[2]، كان يتجر في سوق الحديد ويفتي أهل السوق بقرطبة[3].

وقبل أن نأخذ في الحديث عن الصناعات المعدنية يجدر بنا أن نشير إلى الآلات وأدوات العمل التي استخدمها الحدّادون في صناعتهم، وذلك حسبما تمدّنا به المصادر. فمن هذه الآلات نذكر، حجر المِسَنّ، وهو الذي يشحذ الحديد عليه[4]. ومنها الكلاليب، وهي التي يمسك بها الحداد عند الإيقاد والضرب[5]. ومنها أيضًا الزِّق، وهو الذي ينفخ به الحداد. والكير، وهو موقد النار الذي يبنيه الحداد، وكان العامة في الأندلس يطلقون تسمية الكير على الزِّق الذي ينفخ به الحداد[6]. وورد ذكر الكير في قصة الحدّاد الربضي الذي انتقد التنظيم العسكري لأهل الربض في ثورتهم، وقد سقناها آنفًا.

ويشير الفقيه عبدالملك بن حبيب ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، إلى أن كير الحداد يعد من الأشياء الضارة بالمناطق السكنية المجاورة له؛ فمنع من إحداثه لما في ذلك من الضرر[7]، ويبدو أن هذا الضرر كان متمثلاً في الدخان الذي

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، ص ٩٩؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق ليفي بروفنسال، ص ١٥- ١٦.

(٢) أبوعبدالله، محمد بن فضيل بن هذيل الحداد، سمع من ابن لبابة وصحبه. كان حافظًا للمسائل والمذهب ومتكلمًا فيه، كثير الرواية والمناظرة. استشهد رحمه الله في معركة الخندق في الأندلس سنة ٣٢٧هـ؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤١٨-٤١٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤١٨- ٤١٩.

(٤) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٩١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٨٥.

(٧) ابن سلمون الكناني، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩١.

يخرج من نـار الكير بعد إيقـاده. ولعل في هذه الإشـارة من الفقيه ابن حبيب، تأييدًا لمـا ذكرنـاه عن ازدهار حرفـة الحدادة في هـذه الفترة، فمن المحتمل أن تكون سـوق الحدادين قد ضـاقت بأصحاب هـذه الحرفة، فـاتجه بعضهم إلى اتخـاذ حـوانيت بـالقـرب من المنـاطق السكنيـة، الأمـر الـذي أزعج السكـان المتضررين من ذلك، فضجوا بالشكوى.

ويبدو أن أنـواع الصناعـات الحديديـة كانت تتبايـن من حيث الجودة؛ وذلك تبعًـا لجودة الحـديد ورداءتـه، ويظهـر أن رجال الحسبـة قد تمكنـوا من ضبط حالات كثيرة من الغش في الحديـد داخل الأسواق؛ ولذا نجد الفقيه ابن لبابة يفتي بإعادة الحديد إلى صاحبه إن كان الذي اشتراه لايعلم حين أخذه أهو لين أم أحرش، فأدخلـه العمل فوجده أحـرش متقطعًا[1]. وقد تكـررت فتاوى الفقهاء حـول هذا المـوضوع، فأوضحـوا أن الحديد إذا كـان أحرش، فهـو يعد عيبًا يستوجب إعادته[2].

وتعتبر صناعـة الأسلحة من أهـم الصناعات المعدنيـة في الأندلس، وقد أحـرز الأنـدلسيـون فـي ذلك تقـدمًـا كبيـرًا، ولعل طبيعـة المــوقع الجغـرافي للأندلس، ومجاورتها للدويـلات المسيحية في الشمال، قد حفز همم أبنائها إلى الإكثـار من صنـاعة الأسلحـة وتطـويـرها مـا أمكن ذلك. وقـد أشـار ابن الخطيب[3] إلى كثـرة السلاح في الأنـدلس. كمـا جاء في إحـدى الدراسـات التاريخية الحديثة أن صناعة الأسلحـة كانت مزدهرة في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، كغيرها من الصناعات؛ الأمر الـذي جعل دولـة الفرنجة تـرضخ لصـوت العقل أحيانًـا ضمانًـا لاستمرار تبادل المنافع بينها وبين الإمارة الأموية[4].

(١) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٦٠.

(٣) ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق بروفنسال، ص ٤.

(٤) محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص ٢٢٩- ٢٣٠.

والحق أن أمراء بني أميـة قد حرصوا منـذ عهد مؤسس الإمارة عبـدالرحمن ابن معاوية على تنمية مخزون السلاح لديهم، إما بتصنيعه أو استيراده، فقد ألزم عبـدالرحمن بن معـاوية النصـارى من أهل قشتـالة بتأديـة ألف من الرمـاح إلى جانب عدد من الأشياء العينية الأخرى، يـدفعونها كل عام مقابل تأمينهم وحقن دمائهم(١).

واستمر اهتمام أمـراء بني أمية بصناعة الأسلحة وتنميتهـا. فقد استحدث في عصر الإمارة مؤسسة خاصة لهذا الغرض، يقال لها: خزانة السلاح، ويختار لها الأمير الأموي موظفًا للإشراف عليها. ويبدو أن مخازن الأسلحة هذه لم تكن مستودعًـا كبيرًا تجمع فيـه الأسلحة وحسب؛ بـل كانت أيضًـا عبارة عن مـراكز خاصة لصناعة الأسلحة، ونستنتج ذلك من هذا النص الذي أورده الحميري(٢) في حديثه عن مدينـة قرمونة، إذ يقول: "وبها حمّامـات ودار صناعة بنيت بعد سنة المجوس مخزنًا للسلاح".

ومن المعلوم أن المجوسَ، كما تسميهم الرواية العربية، هم النورمانديون الذين غزوا سواحل الأندلس الغربيـة في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م. وقـد ظلت هذه المؤسسة العسكـرية؛ خزانـة السلاح، على مكانتها من الرعـاية والاهتمام في عهد الناصر لدين اللـه، إذ تشير مصادرنا إلى أسماء بعض من تقلدوا هذا المنصب في ذلك الوقت(٣).

---

(١) الذهبي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٠؛ انظر وثيقة رقم (١).

(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٦١.

(٣) مثل: عبدالله بن محمد الخـروبي الذي قلّده الناصر لدين الله خزانـة السلاح سنة ٣١٣هـ، وكذلك أبـو عبدالملك الثقفي الذي تولى خـزانة السلاح أيضًـا في عهد الناصر لـدين الله، وظلّ محتفظًـا بمنصبه هـذا في عهد الحكم المستنصـر باللـه ٣٥٠- ٣٦٦هـ. انظـر: ابن جلجل، المصدر السابق، ص ١١١؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩١.

وقد اختصت مدينة طليطلة بصناعة الأسلحة[١]. ويعتقد أحد الباحثين أن صناعة السلاح كانت مزدهرة في مجريط خاصة وأن هذه المدينة كانت في بدء نشأتها قلعة عسكرية حصينة وثغرًا يرابط فيه المجاهدون المسلمون[٢].

أما أهم الصناعات الخاصة بالأسلحة، فنذكر منها: التروس والرماح، وقد ورد ذكر الترس كثيرًا في الحروب الداخلية في الأندلس في هذه الفترة[٣]. كما كانت الرماح الصغيرة تصنع في الأندلس وكانوا يسمونها، مَطْرَد[٤]. وتصنع السيوف في الأندلس، وقد ذكر ابن حيان [٥] في حوادث سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م أن الناصر لدين الله قد بعث إلى ابن حفصون بهدية كان من جملتها السيوف، وقد سُر ابن حفصون كثيرًا بهذه الهدية.

ومن الصناعات المعدنية الأخرى التي ينتجها الحدَّادون، السكاكين، وقد ازدهرت صناعتها في مرسيه[٦]. كما تصنع السكك، ومفردها السكة وهي التي تستخدم في فلاحة الأرض[٧]. وتصنع في مرسية الأمقاص المذهبة[٨]. كما تصنع في مدن الأندلس الأخرى، الفؤوس، وقد شاع استعمالها في هذه الفترة، فيروى أن المطرف بن الأمير عبدالله بن محمد عندما قصد حصن رغوان، وهو من حصون ابن حجاج، غلب عليه وهدمه: "وضم صاحبه إبراهيم بن حجاج أن عمل مع الفعلة في هدمه بيده فأس يهدم به منزله مع الهادمين"[٩]. كما يروى أن هاشمًا الضراب عندما جيء به إلى قرطبة صار يضرب بالمعول في الحدادين أجيرًا ولهذا سمي بالضراب[١٠].

(١) ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص٨- ٩.
(٢) محمود علي مكي، مدريد العربية، (القاهرة: دار الكتاب العربي، د. ت)، ص ٨٣.
(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٧٢.
(٤) الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٦١.
(٥) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٥- ١١٦.
(٦) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠١، ٢٠٢.
(٧) الزبيدي، المصدر السابق، ١٠٢، ١٢٣.
(٨) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠١، ٢٠٢.
(٩) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٨١.
(١٠) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ٨٣.

ومن الفؤوس مايستعمل في قطع الخشب، وكان يسمى هذا النوع؛ الصاقور[(١)]. ومن الصناعات الأخرى المتخذة من الحديد، المسامير، ولايخفى أن مجال استعمالاتها واسع جدًا، وورد في بعض المصادر[(٢)] إشارة إلى استعمال المسامير في أغراض مختلفة. ويبدو أن الحدادين كانوا يصنعون عدة أنواع من المسامير، فمنها نوع يقال له: فِتْرِيَّة[(٣)].

وتمتد صناعة الحديد إلى مجالات أوسع بكثير من تلك التي عرضناها، فقد كانت الأبواب تصنع من الحديد، غير أن ذلك اقتصر فيما يبدو على بوابات المدن الهامة لحمايتها من احتمالات الغزو الخارجي وعلى قصور الأمراء، فقد كان لقرطبة سبعة أبواب حديد[(٤)]. كما يروى أن بكر بن يحيى بن بكر، زعيم المولّدين الثائر على الأمير عبدالله بن محمد في كورة أشكونبة، قد تغلب على مدينة شنت مرية: "وبناها حصنًا اتخذ عليها أبواب حديد ملبسة عجيبة الصنعة"[(٥)]. كما كان لمدينة طرطوشة أربعة أبواب كلها ملبسة بالحديد[(٦)].

وبالإضافة إلى المدن؛ فإن أبواب القصور كانت تتخذ من الحديد أيضًا، فقد روي أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم افتتح في قصر الإمارة بقرطبة بابًا من أبواب القصر يسمى، باب السدة، وكانت دفته من الحديد[(٧)].

---

(١) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٢) الخشني، المصدر السابق، ص ٧٠؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

(٤) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٥؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٧.

(٦) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩١.

(٧) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٤.

ولم يقتصر الأندلسيون عند هذا الحد في مجال الصناعات الحديدية، بل بلغ من تقدمهم في هذا المجال أنهم توصلوا إلى صناعة مراسي السفن في الموانئ، ومنها مدينة شلطيش، إذ يوجد فيها «دار صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعته أهل البلاد لجفائه وهي صنعة المراسي التي ترسي بها السفن وقد تغلب عليها المجوس مرات»[1]. والجملة الأخيرة التي تشير إلى تغلب المجوس عليها تدل على أن هذه الصناعة قد أنجزت خلال عصر الإمارة، فالمجوس أو النورمانديون غزوا سواحل الأندلس في سنة ٢٢٩هـ/ ٨٨٤م وكذلك في سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩[2].

ولمدينة قرطاجنة ميناء ترسو فيه المراكب الكبار والصغار[3]، وكذلك الحال بالنسبة لمدينة دانية، إذ لها مرسى «من أعجب المراسي»[4].

وبالإضافة إلى الصناعات الحديدية، وجدت صناعات نحاسية قائمة في هذا الوقت. فقد وصف باب السدة في قصر قرطبة بأن دفته كانت من الحديد وبها حلق لاطون على شكل رأس رجل يفتح فمه، وكان الأمير هشام ابن عبدالرحمن هو الذي جلب هذا الحلق من باب مدينة أربونة عندما افتتحها سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م[5]، ومن التحف المصنوعة من النحاس، الثريات، وكان جامع قرطبة يشتمل على مائتين وأربع وعشرين ثريا من اللاطون[6].

ومن الصناعات المتخذة من الصُّفْر: الأسطال[7].

---

(١) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٣- ٣٤٤.

(٢) حسين مؤنس، غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ و ٢٤٥هـ - ٨٤٤ و٨٥٩م، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، المجلد الثاني، ١٩٤٩م، ص ١٩.

(٣) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٦٢.

(٤) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٦.

(٥) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٦٥؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٤.

(٦) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٥٥١.

(٧) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٨٤- ٨٥.

٢ / الصياغة :

على الرغم من وجود الذهب والفضة في مناطق متفرقة من أنحاء الأندلس، إلا أن مصادرنا لاتمدنا بكثير من المعلومات حول صياغة الحلي أو غيرها من الصناعات المشتقة من الذهب والفضة. وإن هذه الندرة في المعلومات حول هذا الجانب لتوحي لنا بأن صياغة الحلى لم تكن متطورة كثيرًا في الأندلس في هذه الفترة. ولعل في قصة عقد الشفاء الذي اشتراه الأمير عبدالرحمن بن الحكم لإحدى محظياته مايعزز هذا الكلام، فهذا العقد كان لزبيدة زوجة هارون الرشيد، فقدم به التجار من المشرق إلى الأندلس بعد أحداث الفتنة التي وقعت ببغداد بين الأمين والمأمون، فاشتراه منهم الأمير عبدالرحمن بن الحكم[١].

وربما يكون من أسباب ذلك؛ عدم وفرة الذهب بكميات كبيرة في الأندلس، فقد أشارت إحدى الروايات التاريخية إلى أن الذهب كان يساق إلى الأندلس من بلاد السودان[٢]، وقد أدرك الأمير عبدالرحمن بن معاوية حاجة الأندلس إلى الذهب والفضة، فألزم نصارى قشتالة بتأدية عشرة آلاف أوقية[٣] من الذهب وعشرة آلاف رطل[٤] من الفضة، مقابل تأمينهم على حياتهم وحقن دمائهم[٥].

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤٣؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٨.

(٢) المراكشي، المصدر السابق، ص ٤٤٩.

(٣) تساوي الأوقية في الأصل ١ من الرطل. وكانت الأوقية الشرعية موجودة في مكة في صدر الإسلام كوزن يساوي ٤٠ درهما = ١٢٥ غم وكانت الأوقية في مصر تساوي ١٢ درهما = ٣٧٫٥ غم. انظر: فالتر هنتس، المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) في الأندلس كان الرطل يزن ١١٢ أوقية، كل أوقية ثمانية مثاقيل، وكل مثقال ٤٫٧٢٢ غرام، أي ٤٥٣٫٣ غم. انظر: المرجع نفسه، ص ٣٧.

(٥) الذهبي، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٥٠؛ انظر: وثيقة رقم (١).

وتُبيّن لنا بعض المصادر شيئاً من أصناف الحلي في الأندلس، فمنها صنف يقال له: يارق أو يارقان، وتسميه العامة في الأندلس، أراق، وهو يتخذ في المعاصم[1]. ومنها صنف يقال له: الوشاح، وهما نظمان من لؤلؤ يُخالف بينهما ويُعطف أحدهما على الآخر، وتتوشح به المرأة[2]. غير أن هناك صناعاتٍ أخرى مُشتقة من الذهب والفضة إلى جانب صناعة الحلي، كالأواني الذهبية والفضية. فقد كان مما استنه زرياب لأهل الأندلس، أنه حملهم على تفضيل آنية الزجاج على آنية الذهب والفضة[3]. ويروى أن خالد بن هاشم[4] كانت له آنية فضية خالصة من عشرة آلاف دينار[5]. كما تصنع الكؤوس الذهبية في الأندلس، وجاء ذلك في سؤال أجاب عنه الفقيه ابن لبابة[6].

وبالإضافة إلى ماسبق فإن التماثيل الذهبية كانت مما تنتجه دار الصناعة بقرطبة[7].

ب - حياكة المنسوجات وصباغة الأنسجة:

١/ حياكة المنسوجات:

لقد ازدهرت حياكة المنسوجات على اختلاف أنواعها، وقد جاء اهتمام الدولة المتمثل بإنشاء مصانع خاصة للنسيج كأبلغ دليل على مدى هذا الازدهار الذي وصلته الأندلس في هذا الجانب الصناعي المهم.

---

(١) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٣) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.

(٤) خالد بن هاشم: كان عمّا للوزير هاشم بن عبدالعزيز. وقد أظهر هاشم بن عبدالعزيز العداوة لعمه خالد بن هاشم إذ كان خالد صنيعة لنصر الخصي؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٦٥.

(٥) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٦٥.

(٦) الونشريسي، المصدر السابق، ج١٠، ص ٣٦٨.

(٧) المقري، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٦٨ - ٥٦٩.

ويمكن تصنيف حياكة المنسوجات في الأندلس إلى نوعين؛ النوع الأول هو «دور الطراز» التي أنشأتها الإمارة الأموية، وتعرف أحيانا باسم طراز الخاصة[1]. وكان إنتاجها مقصورا على مايحتاجه الأمير وأفراد أسرته ورجال دولته من الثياب والملابس. وفي هذا الصدد يروى أن الوزير هاشم بن عبدالعزيز كان يرتدي ذات يوم ثوبًا أصفر طرازيا[2]، ونتوقع أن هذا الثوب من إنتاج دار الطراز كما تدل على ذلك تسميته. ويشير ابن خلدون[3] إلى أن المنسوجات التي تنتجها دور الطراز، يكتب عليها أسماء الأمراء مع كلمات أخرى تجري مجرى الفأل. كما أشار أيضًا إلى أن دار الطراز كانت ملحقة بقصر الإمارة. وقد تحدث المؤرخون[4]، بشيء من الإعجاب، عن إنشاء أول مصنع خاص للنسيج، وأشادوا كثيرًا بشخصية مؤسس هذا المصنع، وهو الأمير عبدالرحمن بن الحكم ووصفوا هذا العمل بأنه من مظاهر تفخيم الملك. غير أن ابن حيان[5] يؤكد على أن الأمير عبدالرحمن بن معاوية هو الذي وضع النواة الأولى لهذا المصنع، إذ يقول: " وكانت هذه الدار البردية من بنيان الأمير الداخل عبدالرحمن بن معاوية رحمة الله عليه ". وعلى ذلك فإنه من المحتمل أن تكون دار البرد هذه التي أنشأها الأمير عبدالرحمن بن معاوية، قد اختصت منذ ذلك الحين بصناعة البرود الأميرية، ولذلك عرفت بالدار البردية، ثم تطورت في عصر الأمير عبدالرحمن بن الحكم، فاتسعت مرافقها، إذ يذكر ابن

---

(١) محمد محمد المليجي، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٩٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د. ت)، ص ٢٦٧.

(٤) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ٩١؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق بروفنسال، ص ٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٣٨؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص ٦٦.

الخطيب[1] أن في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم: "اتخذ الطراز الذي كان حديث الرفاق وطرفة أهل الآفاق". ومعنى هذا أن دارًا للطراز أقيمت إلى جانب الدار البردية لنسج الطرز الأميرية على أثواب وبرود الأمير وحرمه وخدمه وحشمه[2].

وعلى هذا فإن صناعة النسيج قد حظيت بقسطٍ وافر من الرعاية والاهتمام في ظل حكام بني أمية، فكانت هي الهاجس الذي عمل الأمويون على تحقيقه منذ بداية حكمهم.

وقد ظل الاهتمام بإنشاء مثل هذه المصانع متزايدًا حتى في أوقات الفتن والثورات التي عصفت بالإمارة الأموية، فقد جنح بعض الزعماء الثائرين على الإمارة الأموية، ممن استشعروا في أنفسهم قوة، جنح هؤلاء إلى محاكاة حكام قرطبة والتشبه بهم، فاتخذوا لأنفسهم بلاطًا وحرسًا خاصًا وحاشية، كمظهرٍ من مظاهر الاستقلال، مثلما فعل إبراهيم بن حجاج اللخمي[3]، الزعيم العربي المستقل في إشبيلية وقرمونة، والذي عمد أيضًا إلى اتخاذ دار للطراز، تطرز على اسمه[4].

ويروى أن الناصر لدين الله، بعد تسلمه مقاليد الحكم، اتخذ دارًا للطراز لنسج مايحتاج إليه من الخلع والكسي وما إلى ذلك[5].

ويبدو أن حكام بني أمية قد استفادوا مما تنتجه دور الطرز من الثياب في تعاملهم السياسي مع الآخرين، فيروى أن النورمانديين بعد هجومهم على

---

(١) ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق ليفي بروفنسال، ص ٢٠.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج١، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٣) ابراهيم بن حجاج بن عمير بن حبيب اللخمي، أبو إسحاق. بيته في عرب إشبيلية وثار بها عند اندلاع الفتنة، وملك إشبيلية وقرمونة واتخذ لنفسه جندًا. لم يجاهر بالمعصية في أكثر أوقاته؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٧٦.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٢؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٦ - ١٢٧.

(٥) ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق بروفنسال، ص ٤٠.

سواحل الأنـدلس سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، أبـاحوا الفداء فيمن كـان عندهم من أسرى المسلمين، ففدي الأكثر منهم، ولم يأخـذوا في فدائهم ذهبًا ولا فضة، وإنما اكتفوا فقط بأخذ الثياب والطعام(١). ويروى أيضًا أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم قـد بعث بهـدية إلى ملك النـورمـان، واشتملت هـذه الهديـة على الثياب والأواني، فأعجب بها ملك النورمان(٢). كذلك يروى أن الأمير المنذر ابن محمـد قد أمـر بأن تقطع الثيـاب لأولاد عمر بـن حفصون وتـرسل إليهم، وذلك بعـد أن تظاهـر ابن حفصون برغبتــه في الدخـول تحت طـاعة الإمـــارة الأموية (٣). كما يـروى أن الناصر لدين اللـه عبدالرحمن بن محمـد، كافأ ابن حفصون على هديتـه له، بعد أن تم صلحه معـه، بهدية مضاعفة أكثـر له فيها من فاخر الكسي السلطانية من الوشي الطرازي وغيره(٤).

ولقد كـان لدار الطـرز تنظيم إداري، كغيرها من المـؤسسات الحكـومية الأخـرى، فقـد استحدث منصب إداري لمن يتـولى مهمـة الإشـراف على دار الطـراز، ويسمى متقلد هـذا المنصب؛ صـاحب الطراز، وتـورد لنـا مصادرنـا أسماء بعضٍ ممن تقلدوا هذا المنصب خلال هذه الفترة(٥).

ولم يقتصر اهتمام الإمارة بصناعة النسيج على إنشاء المصانع وحسب؛ بل تجــاوزت ذلك إلى البحث عـن الصنّـاع المهــرة المتخصصين في هـــذا المجال، إذ يـذكر أحد المـؤرخين المحدثين(٦) أن بني أميـة استحضـروا من

---

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٢) ابن دحية الكلبي، أبـوالخطاب عمر بن الحسن، المطرب في أشعـار أهل المغرب، تحقيق مصطفى عوض الكريم، ط١، (الخرطوم: مطبعة مصر، ١٩٥٤م)، ص ١٣٢.

(٣) ابن عبد ربه، المصـدر السابق، المجلد الثالث، ج ٥، ص ٢٢١؛ ابـن عذارى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٧ – ١١٨.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٥ – ١١٦.

(٥) منهم على سبيل المثال: سعيد بن عبدالملك بن سعيـد بن عاصم، صاحب الطراز في عهد الأمير محمـد بن عبدالرحمن ٢٣٨ – ٢٧٣هـ، ومنهم أيضًا ريّان الفتى صـاحب الطراز في عهد الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥ – ٣٠٠هـ. انظر: ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٨٥.

(٦) السيد عبدالعزيز سالم، الفنون والصناعات بالأندلس، ص ١٨٩.

الشام أسرات كاملة من صناع النسيج، ومن هنا فإن صناعة المنسوجات الأندلسية لم تكن إلا تطورًا للطرق الصناعية المعروفة في المشرق.

أما النوع الثاني من أنواع حياكة المنسوجات فهو طراز العامة وربما المقصود منه المصانع الأهلية للنسيج والتي خضعت لإشراف دقيق من جانب الدولة[١]. وقد انتشرت هذه المصانع في عدد كبير من المدن الأندلسية، وتميزت كل مدينة بإنتاج أنواع خاصة بها من المنسوجات، فقدأشار الرازي[٢] إلى أن من بين الأصناف التي اشتهرت قرطبة بصناعتها، الأقمشة الناعمة ونسيج الحرير السميك. كما تصنع في قرطبة الثياب والأكسية من الكتان والخز والقز[٣]. وفي كورة تدمير تصنع الطرز والبُسط[٤]، كما تصنع البسط في كل من مدينتي ألش[٥] ومرسية[٦]، ولأهل مرسية بالذات مهارة فائقة في إتقان صناعتها.

وكان الأندلسيون يتهادون البسط فيما بينهم، مما يدل على قيمتها الثمينة وحسن موقعها في النفوس[٧].

ويبدو أن الأندلس كانت تنتج أنواعًا عديدة من البسط، لكننا لم نعثر في المصادر المتاحة لنا إلا على نوعين اثنين؛ الأول منهما يصنع من الصوف، ويسميه الأندلسيون الحنبل[٨]. أما الثاني فيسمى: النُّخ[٩]، وتصدره الأندلس إلى بلاد المشرق الإسلامي[١٠].

(١) محمد محمد التهامي المليجي، المرجع السابق، ص ٦٠.
(٢) LÉVI - PROVENCAL: LA "DESCRIPTION DE L'ESPAGNE" DE RAZI, P.65.
(٣) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٨.
(٤) العذري، المصدر السابق، ص ٢.
(٥) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٤٤- ٢٤٥.
(٦) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٣٩.
(٧) الخشني، المصدر السابق، ص ١٠٨.
(٨) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٢١٠؛ والحنبل هو جُبَّة من الفَرْو طويلة الكُمَّين؛ ابن سيده، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ٨١. وواضح أن إطلاق اسم الحنبل على هذا النوع من الصوف إنما هو من أخطاء العامة في الأندلس.
(٩) النُّخ: بساط طويل، طوله أكثر من عرضه. وهو فارسي معرب، وجمعه نخاخ؛ ابن سيده، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ٧٤؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٢٨٢.
(١٠) الأزدي، محمد بن أحمد، حكاية أبي القاسم البغدادي، (هيدلبرج: مطبعة كرل ونتر، ١٩٠٢م)، ص ٣٦.

وتصنع في مالقة ثياب الحرير الموشاة بالذهب، كما تصنع في سرقسطة[1] الثياب السرقسطية[2]، وتنتج قلشانة[3] ثيابًا منسوبة إليها فتعرف بالثياب القلشانية[4]. أما في حصن بكيران فتصنع ثياب بيض تمتاز بالرقة والعتاقة وتباع بأثمان غالية[5]. وتفوقت بلنسية في إنتاج النسيج المنسوب إليها [6]. واشتهر حصن فرقصة، من أعمال دانية، بصناعة الأكسية، فكانت تنسب إليه الأكسية الفرقصية[7]، ويبدو أن ثمن الكساء كان مرتفعًا، إذ يروى أن القاضي محمد بن سلمة[8]، بعث رجلاً إلى السوق ليشتري له كساء بَرَّ كان[9]، فاشتراه الرجل بأربعة وعشرين دينارًا ونصف الدينار، فلم يقبله القاضي وأمر بردِّه لارتفاع ثمنه[10]. وتعمل في مدينة بسطة الطرز[11]، كما يعمل فيها المحرر، وهو نوع من الثياب، ويعرف أيضًا بالملبد المختم، وتعمل هذه

---

(١) ابن سعيد، علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، ١٩٧٠م)، ص ١٤٠؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٩.

(٢) العذري، المصدر السابق، ص ٢٢؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص ١٨- ١٩.

(٣) قلشانة (Calsena) مدينة سهلية على وادي لكة، ولها قصبة مشرفة بغربيها. وهي من كورة شذونة. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ٤٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٦٦.

(٥) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٦) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢١.

(٧) ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٨) محمد بن سلمة الكلابي. كان رجلاً صالحًا في مذهبه، فاضلاً في دينه، شديد السلامة في طبعه، مع الزهادة والتنسك. ولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين في عهد الأمير عبدالله بن محمد، وتوفي أثناء ولايته الثانية؛ الخشني، المصدر السابق، ص ٩٥، ١٠٠.

(٩) المصدر نفسه، ص ٩٥، والبرّكان: ضرب من الأكسية، وقيل ثوب برنكاني لضرب من الأكسية، وهو مما تلحن فيه العامة فتقول بركان، وإنما هو برنكان وبرنكاني. انظر: ابن سيده، المصدر السابق، المجلد الأول، السفر الرابع، ص ٨٠.

(١٠) الخشني، المصدر السابق، ص ٩٥، ٩٦.

(١١) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٥.

الثياب كذلك في غرناطة[1]. وقد أوصى زرياب بلبس الثياب المحررة في فصل الربيع[2].

وتعمل الأردية في بجانة[3]. ويبدو أن الأندلسيين عملوا بعض الأردية من الحرير ويسمونها، مُلاءة[4]. وقد ورد ذكر الملاءة في أبيات من الشعر نظمها شاعر العصر أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه في وصف منية كنتش للأمير محمد بن عبدالرحمن، ومنها:

توشحن من هذا اليماني مثلما   تأزرن من ذاك الملاء المزعفرا[5].

ومن أنواع الثياب الموجودة بالأندلس، الممطر، وهو ثوب صوف يتوقى به من المطر، ويصف ابن حوقل[6] هذا النوع من الثياب بأنه مشمَّع يمنع المطر أن يصل إلى لابسه. وكان لدى الأمير عبدالرحمن بن الحكم مماطر من الخز كثيرة[7].

ويوجد في الأندلس نوع آخر من الثياب، وهي ثياب البياض الظهائر، ووصفت هذه الثياب بأنها خفيفة[8]، ولذا فإن الأندلسيين كانوا يلبسونها في فصل الصيف[9].

ويذكر ابن حيان[10] في حوادث سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م، أن الداعي ابن القط القرشي[11] كان يلبس ثيابًا بياضًا.

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠١.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٢٨.
(٣) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩.
(٤) الملاءة: بالضم والمد هي الملحفة؛ ابن سيده، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ٧٦.
(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.
(٦) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩.
(٧) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ١٢٦ - ١٢٧.
(٨) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.
(٩) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١٠٦.
(١٠) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٣٥.
(١١) هو أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية بن الأمير هشام بن عبدالرحمن بن معاوية، أبو القاسم المعروف بابن القط. من أهل العناية بالعلم والصناعة، خرج في أيام الأمير عبدالله بن محمد يطلب الدولة ويظهر الحسبة والرغبة في الجهاد؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٩.

ويعد الديباج من أصناف المنسوجات التي أتقن الأندلسيون صناعتها ، ولعلنا نستنتج من نصٍ أورده ابن الخطيب[1] مايدل على تقدم صناعة الديباج في الأندلس . فقد ورد في النص المذكور أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور ١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٣- ٧٧٥م قال ذات يوم؛ واصفًا عبدالرحمن بن معاوية واستقرار أحوال الأندلس في عهده ، : «وما الذي يقال في رجل يركب من نتاجه ويلبس من ديباجه وينفق من خراجه» .

ولقد اختصت بعض المدن الأندلسية بصناعة الديباج ، فكانت مدينة مرسية تنتج أنواعًا مختلفة من الديباج[2]. ويعمل في مدينة بسطة طرز الوطاء من الديباج[3]. كما يعمل في مدينة فنيانة طرز الديباج[4].

واشتهرت قرطبة بصناعة الديباج ، وكان بعض العلماء القرطبيين يشتغلون في هذه الصناعة ويتّجرون بها ، ومن هؤلاء؛ محمد بن عبيد بن أيوب المعروف بالدباج[5]. ت : ٣١٧هـ/ ٩٢٩م .

أما المنسوجات الحريرية فهي من أهم أنواع المنسوجات في الأندلس ، وقامت عليها تجارة واسعة ، ويعتبر حصن شنش من المراكز الهامة في إنتاج الحرير[6].

---

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، تحقيق بروفنسال ، ص ٥ .

(٢) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٤٥- ٢٤٦ .

(٣) الحميري ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤١ .

(٥) محمد بن عبيد بن أيوب ، من أهل قرطبة ، يكني : أبا عبدالله . روى بقرطبة عن جماعة ورحل إلى بغداد وروى عن علمائها ، فسمع من أبي خيثمة تاريخه ومن عبدالله بن أحمد بن حنبل؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦٨٤- ٦٨٥ .

(٦) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٢٥ .

ومن أصناف المنسوجات الأخرى؛ الأوطية، وتصنع في تدمير[1] وبسطة[2].

أما الأوطية الصوفية فتصنع في جنجالة[3] وقونكة[4].

ولعل مما ساعد على ازدهار حياكة المنسوجات في الأندلس، أنها كانت تحظى بأهمية بالغة على المستوى الشعبي فضلاً عن الاهتمام الرسمي الذي حظيت به من قبل الدولة. فقد كانت الأسر تزاول هذه الحرفة في البيوت، إذ هي من الضرورات التي لايستغنى عنها، ولعل فئة الفقهاء وأهل العلم وغيرهم ممن اتصف بالزهد والتواضع كانوا يحرصون أكثر من غيرهم على صناعة مايحتاجونه من الملابس في بيوتهم، فقد وصف القاضي إبراهيم بن العباس المرواني[5] بالتواضع، فكان يجلس في بيته يقضي بين الناس وجاريته تنسج في ناحية من البيت[6]. ويروى أن القاضي المصعب بن عمران كان يعمل الوشائع[7] لزوجته وهي تنسج في منسج لها[8].

أما غزل النسيج فقد كانت مهنة محببة لدى النساء خاصة بل ومربحة في بعض الأحيان فقد أشاد أحد علماء الأندلس، وهو ابن الجبَّاب[9]،

(١) العذري، المصدر السابق، ص ٩.
(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ١١٣.
(٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٥.
(٥) إبراهيم بن العباس بن عيسى بن الوليد بن عبدالملك بن مروان. تولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٢١٤هـ، أو سنة ٢١٥هـ، وكان محمودًا في قضائه، عادلاً في حكمه؛ الخشني، المصدر السابق، ص ٥٠ – ٥١.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥٠– ٥١.
(٧) الوشيع خشبة الحائك التي تسمى الجف والجمع وشائع. والوشيعة خشبة أو قصبة يلف عليها ألوان الغزل من الوشي وغيره؛ الزبيدي، محمد مرتضى، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٥٣٤.
(٨) الخشني، المصدر السابق، ص ٢٥.
(٩) أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم. كان يبيع الجبب وكنيته أبو عمر. من أهل قرطبة. رحل فجاور بمكة ودخل اليمن وأقريطش وإفريقية. كان بالأندلس إمام وقته. انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج٥، ص ١٧٥.

ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، بفضل والدته في نبوغه العلمي، فقال: "كانت أمي تغزل وأبيع غزلها فاشتري به الرق والكتب" (١). وكان النساء ينتجن كميات كبيرة من الغزل فيما يبدو، حتى اضطرت الدولة إلى تخصيص سوق لعرض الغزل، وكان يشرف على هذا السوق موظف حكومي يدعى؛ أمين سوق الغزل. وقد وردت الإشارة إلى ذلك على لسان الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد، إذ قال يومًا لرجال دولته، منتقدًا سياسة سلفه الأمير عبدالله بن محمد: "أعلمتم أن الأمير عبدالله جدي بنزوله للعامة في الحكم للمرأة في غزلها والحمّال في ثمن مايحمله والدلاّل في ثمن ماينادي عليه، أضاع كبار الأمور ومهماتها، والنظر في حروبه ومدارأة المتوثبين عليه حتى اضطرمت جزيرة الأندلس وكادت الدولة ألا يبقي لها رسم. وأي مصلحة في نظر غزل امرأة ينظر فيه أمين سوق الغزل، وإضاعة النظر في قطع الطرق وسفك الدماء وتخريب العمران" (٢).

٢ / صباغة الأنسجة:

ارتبطت صباغة الأنسجة ارتباطًا وثيقًا بحياكة المنسوجات، إذ هما صنوان لايفترقان، فمتى ما ازدهرت صناعة المنسوجات وتطورت؛ فإن قسطًا وافرًا من هذا الازدهار والتطور سينصرف نحو صباغة الأنسجة، فهي الخطوة الأخيرة المتمِّمة لعملية الصناعة النسيجية، وبعدها تتخذ الصناعة شكلها النهائي.

وتبعًا لذلك؛ فإن النجاح الذي حققته الأندلس في حياكة المنسوجات قد انعكس بدوره على صباغة الأنسجة التي واكبت هذا النجاح، ونلحظ ذلك من خلال تعدد الألوان التي ازدانت بها المنسوجات الأندلسية في هذه الفترة، كما نلحظ ذلك أيضًا من خلال الاهتمام الفائق الذي أبداه التجار بمواد

---

(١) القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٧.

(٢) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٥.

الصباغة، وبحثهم الدؤوب عنها في شتى مناطق الأندلس، وقد أشاد ابن حوقل(١) ببراعة الأندلسيين في صباغة الأنسجة.

ويبدو أن بعض الألوان قد خضعت في مدى انتشارها ورواجها تحت تأثير التيارات السياسية السائدة في ذلك الوقت، فكان اللون الأبيض هو اللون المُفضَّل لدى الأندلسيين، فَقدَّموه على غيره من الألوان في ملابسهم وفي مبانيهم(٢) وفي معظم شؤون حياتهم. وحتى في مناسبات الأحزان التي اعتاد الناس فيها على لبس السواد، فإن الأندلسيين خالفوا غيرهم في ذلك، فكانوا يلبسون البياض في مثل هذه المناسبات. وقد استنّوا هذه العادة منذ عهد بني أمية، وذلك لمخالفة العباسيين في لباسهم السواد(٣). ومن الطريف أن الأندلسيين حاولوا فلسفة هذه العادة في اختيارهم اللون الأبيض لمناسبات الأحزان، فقال قائلهم:

إذا كان البياضُ لِباسَ حزنٍ بأندلسٍ فذاك من الصواب!
ألم ترني لبستُ بياضَ شيبي ؛ لأني قد حزنتُ على الشباب؟(٤)

فكان من الطبيعي بعد ذلك أن ينتشر اللون الأبيض على نطاق واسع بفضل التأييد الرسمي الذي يلقاه من الدولة، وتضاؤل انتشار اللون الأسود بسبب إعراض الدولة عنه وعدم رغبتها في رواجه.

(١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٢) يؤكد الأستاذ عنان على أن الأندلسيين يفضلون اللون الأبيض، فيقول عن مدينة إشبيلية بعد زيارته لها: "ومعظم منازلها بيضاء، وهو اللون المفضل في الأندلس". محمد عبدالله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، الطبعة الثانية، (القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ص ٥٧.

(٣) ابن دحية الكلبي، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٩. ويبدو أن هذه العادة؛ وهي اختيار الملابس ذات الألوان البيضاء في المناسبات الحزينة، لم تستمر طويلاً في الأندلس، إذ يقول النباهي: "وقد شوهد المنصور محمد بن أبي عامر وهو حاضر في مسجد للاستسقاء ولبوسه ثياب بيض وعلى رأسه أقرف وشي أغبر على شكل أهل المصايب بالأندلس قديما»، ويهمنا في هذا النص الجملة الأخيرة التي يفهم منها أن هذه العادة في اللباس كانت قديمة؛ النباهي، المصدر السابق، ص ٧٩.

ويروى أن الناس في الأندلس قد أخذوا عن زرياب تفضيله لبس البياض من أواخر شهر يونيه حتى أوائل أكتوبر، ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة[1].

وإلى جانب اللون الأبيض، فهناك مجموعة من الألوان الأخرى المشتقة من مواد الصباغة الأولية الموجودة في الأندلس، فمنها اللون الأحمر، وهو مأخوذ من مادة القرمز، وقد اختصت الأندلس بوفرة هذه المادة في أراضيها، إذ يذكر الجاحظ[2] أن بعضًا من تجار اليهود يجمعون القرمز من أرض الأندلس كل سنة، إذ كانت لهم معرفة دقيقة بأماكن وجوده.

ويوجد القرمز في أجزاء متفرقة من الأندلس، فهو يكثر في إشبيلية وشذونة وبلنسية[3]، كما يوجد أيضًا في لبلة[4].

ويظهر أن القرمز كان مخصوصاً بصباغة المنسوجات المشتقة من الإنتاج الحيواني كالحرير والصوف[5]، أما غير ذلك من المنسوجات الأخرى فلا يدخل القرمز في صباغتها، ولذا فقد وجب البحث عن مادة أخرى يستخلص منها اللون الأحمر لتصبغ به المنسوجات الأخرى المشتقة من غير الإنتاج الحيواني، ويبدو أن الأندلسيين اهتدوا إلى ذلك، فكانوا يستعملون الطين الأحمر في الصباغة[6]، ومن المحتمل أنهم استفادوا من هذه المادة في صباغة المنسوجات الأخرى المشتقة من غير الإنتاج الحيواني.

(١) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب التبصر بالتجارة في وصف مايستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، نشره وصححه: حسن حسني عبدالوهاب، ط٢، (مصر: مكتبة الخانجي، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، ص ٢٤.

(٣) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٦، ١٢٧؛ ابن الشبَّاط، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٥) الجاحظ، المصدر السابق، ص ٢٤؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م)، السفر الحادي عشر، ص ٣٢٦.

(٦) ابن سيده، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ٩٦.

ومن الألـوان الأخـرى، الأصفـر، ويستخلص من مـادة العصفـر، الـذي يتوفر في مدينة لبلة[(١)].

ولقد كـان القاضي محمـد بن بشير يلبـس رداءً معصفرًا[(٢)]، وعوتب هذا القاضي في لبسه المعصفر[(٣)]، إذ لـم يكن مألوفًا لـدى المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت، أن يُرى القضاة وغيرهم من الفقهاء والعلماء وهم يرتدون الملابس ذات الألوان الصفراء، فمثل هذهِ الألوان لاتتفق والمكانة الموقرة لهذه الفئة من المجتمع؛ إذ يبـدو أن اللون الأصفر كـان مفضلاً لـدى أهل الترف والمـرح من الأثرياء والمغنّين ومن جرى مجراهم، فقـد جاء رجل يسأل الناس عن القاضي ابن بشير، وهو لايعرفـه، فلما عرّفوه به لـم يصدق أنه القـاضي، عندما رآه لابسًا رداءه المعصفر[(٤)]. كما شوهـد الـوزير هاشـم بن عبـدالعزيز ذات يـوم وعليه ثوب أصفر[(٥)].

ويعد اللون الأصفر رمزًا من رموز الجمال الذي يبعث السرور في النفس، وطالما تغنّى به شعراء الأندلس، فهذا ابن عبد ربه يصف منية كنتش بقوله:

ترى المنية البيضاء في كل شارق   تُلبّس وجه الشمس ثوبًا معصفرًا[(٦)]

ويشتق اللون الأصفر أيضًا من الزعفران، الذي يوجد في أنحاء متفرقة من الأندلس مثل طليطلة[(٧)]وباغة[(٨)]وبيّاسة[(٩)].

---

(١) العذري، المصدر السابق، ص ١١١؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٩.
(٢) الخشني، المصدر السابق، ص ٣٢.
(٣) المقري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٤- ١٤٥.
(٤) الخشنـي، المصـدر السـابق، ص ٣٢؛ القـاضي عيـاض، المصـدر السـابق، ج١، ص ٥٠٠-٥٠٢.
(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٥٩.
(٦) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٤٢- ٢٤٣.
(٧) البكري، المصدر السابق، ص ٨٨.
(٨) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ١٤.
(٩) المصدر نفسه، ص ١٥.

ومن مواد الصبـاغة الأخرى؛ الصبغ السماوي، ويوجـد في طليطلة[١]، وكما هو واضح من التسمية، فإنه يشتق من هذه المادة اللون الأزرق الفاتح.

ويعد اللون الأخضر من الألوان الشائعة الاستعمال بطبقاته المختلفة[٢].

ومن مواد الصباغـة الموجودة في الأندلس؛ الزنجفـر، ويوجد في فحص البلوط[٣]، كما يوجد في بسطاطة من أقاليم قرطبة[٤].

ومن مواد الصباغة الأخرى، الفُوَّه، وهو نبات تصبغ به الثياب[٥]. ويبدو أن هذه المـادة يستفاد منها أيضًا في صبـاغة الجلود، فقد ذكـر ابن سيده[٦] أن الجلد المُفوّى هو المصبوغ بالفُوَّه.

أما عن الطريقـة التي يتم بها صباغة الثياب، فإن مصادرنـا لاتقدم لنا إلا نزرًا قليلاً من المعلومات حول هذا الموضوع. فقد كانت الثياب التي يراد صبغها توضع في قـدر وتحمى على النار ويوضع الصبغ معها، وقـد يحدث أن يحترق الثـوبُ وهـو في القِـدر، وفي هذه الحـالـة أفتى الفقيـه ابن حبيب بأن الصبَّـاغ لايضمن الثوب إذا احترق[٧].

جـ- الصناعات الجلدية:

تشكل الصناعات الجلـدية جانبًا مهماً من جـوانب النشاط الصناعي في الأنـدلس خلال هـذه الفترة. فقـد ازدهـرت بعض المصنوعـات الجلديـة وورد ذكرهـا كثيرًا في مصـادرنا، وكانـت هذه المصنوعـات ضروريـة في استعمالات الحياة اليومية[٨].

---

(١) البكري، المصدر السابق، ص ٨٨.
(٢) الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٣١- ١٣٢.
(٣) ابن غـالب الغرنـاطي، المصدر السـابق، ص. ٢؛ ياقـوت، المصدر السـابق، ج١، ص ٤٩٢.
(٤) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٥٥.
(٥) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٧٧.
(٦) ابن سيده، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١٠٩.
(٧) ابن فرحون، تبصرة الحكام، ج٢، ص. ٢٣- ٢٣١.
(٨) S.M. IMAMUDDIN, OP. CIT, P.109.

ويبدو أن بعض الملابس كانت تصنع من الجلد، وكانت خياطة الجلد شاقة عسيرة، تستغرق مدة طويلة، بخلاف بعض الملبوسات الأخرى التي تصنع من غير الجلد، وقد أوضح ذلك عريف الخياطين للأمير عبدالرحمن بن الحكم[1].

وتعتبر صناعة النعال أو الأحذية من الصناعات الجلدية الهامة، ويبدو أن الخرازين، وهم الذين يصنعون الأحذية ويخرزونها[2]، قد أبدعوا في صناعة أنواع عدة منها، مما يعني ازدهار هذه الصناعة وتقدمها، فقد كان القاضي محمد بن بشير ينتعل حذاءً صرّارًا[3]. كما أن أبا علي السراج[4]، داعية ابن القط القرشي، كان ينتعل في رجليه نعلين من حلفاء[5]. وهذا يظهر لنا أن الخرازين استفادوا من بعض الخامات الزراعية في صناعة الأحذية، مما يدل على سعة أفقهم في هذا الجانب.

أما النساء فكان لهن أحذية خاصة بهن، وهي تختلف بعض الشيء عن أحذية الرجال، فقد تكون مُرصَّعة بالدر والياقوت وغيرهما من الأحجار الكريمة مما قلّ ثمنه أو كثر، وكان الموسرات من النساء خاصة يقتنين مثل هذا الصنف من الأحذية؛ إذ يروى أن زوجة الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، وهي امرأة غنية،

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢١.

(٢) ويدل على ذلك ماجاء من أن يحيى بن عمر قد نهى الخرازين عن صناعة النعال الصرّارة كما منع النساء من لبسها. انظر: يحيى بن عمر، كتاب أحكام السوق، تحقيق محمود علي مكي، مدريد: صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد الرابع، العدد ١، ٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص ١٢٦.

(٣) الخشني، المصدر السابق، ص ٣٢؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج١، ص ٥٠٠-٥٠١.

(٤) أبوعلي السراج، يعرف بالزاهد، ويصفه ابن حيان بأنه رجل من شرار الخلق خبيث الطوية سيىء النية، وقد سعى هذا الرجل في عقد حلف بين عمر بن حفصون ومحمد بن لب القسوي؛ ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٢٧.

(٥) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ١٣٨.

كانت لهـا نعل مرصعـة بالدر واليـاقوت(١). وقـد خضعت صناعـة الأحذيـة، كغيرهـا من الصناعـات الأخرى، لـرقابـة صارمـة من صاحب السـوق وغيره من رجال الحسبة، فقد اكتشفت حالات من الغش مـن قبل صانعي الأحذية، ولذا فقد أفتى ابن حبيب بمنع الـذين يصنعون النعال عن تغليظ حـواشي النعال قبل خرزها (٢).

ومن الصنـاعات الجلـدية، النطع، وهـو عبـارة عن جلد يبسط للطعـام وغيره(٣). ويـروى أن زريابًـا قد أوصى الأنـدلسيين بـاختيار سفـر مصنوعـة من الجلد لتقـديم الطعام فيها على المـوائد الخشبية، وذلك لسهولـة تنظيفها (٤). كما يتخـذ من الجلد فرشًا لينـة ناعمة للنـوم، فقد أخذ الأندلسيـون عن زرياب إيثاره فرش أنطاع الأديم اللينة النـاعمة على ملاحف الكتان(٥). وبلغ من تطور الصناعـات الجلديـة في عصر الإمارة، ومهـارة الصنّاع في إتقـان أعمالهم، أن رجلاً في أواخر عهد الأمير عبـدالرحمن بن الحكم، عمل قبة من الجلد بلغت النفقة فيها خمسمائة دينار، فلما انتهى من عملها ضربها على وادي لكة(٦).

وممـا يشير إلى أهميـة الصنـاعات الجلـديـة وشمـوليتها لمعظم نـواحي الحياة؛ أن الأندلسيين استعاضوا بهـا عن الورق الذي لم يكن شائع الاستعمال في هـذه الفتـرة على مايظهـر، فكـانت الـرقاع الجلـديـة تستخدم فـي الكتابـة

---

(١) القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢.

(٢) ابن عبـدالرؤوف، أحمـد بن عبدالله، رسالـة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثـلاث رسائل أنـدلسية في آداب الحسبـة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسـال، (القاهـرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م)، الفصل الثاني، ص ١٠٣.

(٣) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.

(٥) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٣٧؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.

(٦) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩. وأما وادي لكة (Guadalete) فهو موضع من أرض الجـزيـرة الخضـراء من سـاحل الأندلـس الجنـوبي؛ الحميـري، المصـدر السابـق، ص٦٠٥.

والتـدوين، في ظل غياب الـورق. ومما يروى فـي ذلك أن القاضي عمـرو بن عبداللـه كان إذا أخذ مجلسـه للقضاء، يأمـر المتخاصمين أن يكتب كل منهم اسمه في رقعة، ثم يجمع الرقاع ويخلطها بين يديه وينادي على أصحابها الأول فالأول وهكذا [١]. كما يـروى أن الشاعر أبو عمـر أحمد بن محمد بن عبـد ربه دوّن أبياتًا من الشعر على جلد رق أبيض، وأرسلها إلى القاضي أحمد بن محمد ابن زياد، ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م في حاجة له[٢].

ومما جاء في قصـة اجتمـاع أهـل الربـض بقرطبـة للثورة على الأمير الحكـم بن هشام؛ أن كـاتب الأمير الحكم كان يكتب أسماء المتـآمرين حتى امتلأ الرق[٣]. والأخبار الدالة على استعمـالات الرق في الكتابة كثيرة، اقتصرنا منها على هذه النماذج التي أوردناها.

ومن الصنـاعات الجلديـة في الأندلس، مقـابض السيوف، وتتخـذ من السَّفن[٤]، ويوجد هذا السفن في مالقة[٥].

وتعتبر مـدينة لبلـة مركزًا مهمـاً لإنتاج الجلـود الجيدة[٦]. كما اشتهـرت مدينة باجة بدباغة الجلود[٧]. ولقد اجتهد فقهاء الأندلس في حث الناس على

---

(١) الخشني، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٢) القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٣.

(٣) الذهبي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٦.

(٤) السَّفَنُ: جلد خشن غليظ كجلود التماسيح يكون على قـوائم السيوف، وقيل أنه جلد الأطوم وهي سمكة بحـرية تسوّى قوائم السيوف من جلـدها. انظر: ابن منظور، أبـو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د. ت)، المجلد الثالث عشر، ص ٢١٠.

(٥) الأصطخـري، إبراهيم بن محمـد الفارسي الكـرخي، المسـالك والممالك، تحقيق محمـد جـابـر عبـدالعـال الحسيني، (بيـروت: دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ص ٣٥؛ المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٦) ابن غالب الغرناطي، المصدر السـابق، ص ٢٢- ٢٣؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٧) ابن غالب الغـرناطي، المصدر السابق، ص ٢١؛ ابن سعيـد، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٣.

التـوسع في دباغـة الجلـود والاستفادة منهـا فيمـا ينفعهـم ، فقد أفتى الفقيـه ابن حبيب بمنع بائعي الجلود من بيع جلـود الميتة نيَّة ، وأن يبيعوها مـدبوغة ، حتى يمكن الاستفادة منها في أغراض متنوعة(١).

وكانت الجلـود المدبوغة تبـاع بأثمان زهيدة ، وذلك بالمقـارنة مع بعض السلع الأخـرى ، مما يدل علـى وفرتها فـي الأسواق والتوسـع في إنتاجهـا . فقد بلغت قيمة ثلاثين زوجًا من الجلود المدبوغة ؛ ستة دنانير(٢).

ويبدو أن الدباغين قد حققوا ربحاً وفيرًا من جراء مزاولتهم هذه الحرفة ، إذ كان إقبـال الناس متـزايدًا على منتـوجاتهم ، ولـذا فإن بعض الدبـاغين لجأ إلى الاستعـانة بعمـال لمعـاونتهم في إنجاز أعمـالهم . ويستشف ذلك من إحـدى الأسئلة التي وجهت إلى الفقيـه ابن لبابـة ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م(٣). غير أن هذه الحـرفة لاتخلـو من أضرار نـاتجـة عن مخلفات الجلـود المـدبوغـة كالـروائح الكريهـة التي يتأذى بها الناس ، ومن أجل ذلك أوصى ابن حبيب الـدباغين بأن يعملوا على إزالة هذا الأذى(٤).

---

(١) ابن عبدالرؤوف ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) الونشريسي ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .

(٤) ابن فرحون ، تبصـرة الحكام ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ؛ ابن سلمون الكناني ، المصـدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٧ . وقـد أشـار بعـض الـدارسين المحـدثين إلى أن المشتغلين فـي الصنـاعـات الجلديـة اتخذوا مواقعهم خـارج أسوار المدن بالقـرب من البوابات . وذلك يـدل على مدى اهتمام الأندلسيين بنظافة الأسواق و إزالة الروائح الكريهة من المناطق السكنية . انظر :
S.M. IMAMUDDIN, OP. CIT, P.109.

د - الصناعات الخشبية :

وإلى جانب الأنشطة الصناعية الأخرى، فإن الصناعات الخشبية تُعد رافدًا هامًا من روافد النشاط الصناعي في هذه الفترة. فقد استفاد الأندلسيون من وفرة الخشب في بلادهم، فاتخذوا منه العديد من الصناعات التي أفادتهم كثيرًا في شؤون حياتهم. فمن هذه الصناعات الخشبية صناعة السفن المختلفة الأحجام، إذ كان لزامًا على الأندلسيين أن يولوا هذا الجانب من الصناعة قسطًا من رعايتهم واهتمامهم، فالموقع الجغرافي لبلادهم وإحاطة البحر بها من جهات ثلاث، يحتِّم عليهم ذلك لحماية سواحلهم من الغزو الخارجي، وقد حدث بالفعل أن تعرضت الأندلس لهجمات بحرية قام بها النورمانديون وذلك خلال عصر الإمارة، فأوجدت هذه الغزوات النورماندية انطباعًا عامًا لدى أهل الأندلس بضرورة تحصين مدنهم الساحلية، واتخاذ الخطوات اللازمة لبناء أسطول بحري قادر على مواجهة ماقد يطرأ على السواحل الأندلسية من أخطار عسكرية، فاستلزم ذلك مضاعفة الاهتمام بصناعة السفن. فقد قرر الأمير عبدالرحمن بن الحكم، إقامة دار للصناعة في إشبيلية: "وأنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسَّع عليهم"(١). ونتيجة

---

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٨٨. ويلاحظ أن ابن القوطية قد أشار في موضع آخر إلى أن سارة القوطية ابنة ألمند وحفيدة غيطشة ملك القوط؛ أنشأت مركبًا بأشبيلية وتوجهت بأخويها إلى الشام فنزلت بعسقلان وقصدت دمشق حيث تظلمت لهشام بن عبدالملك من عمها أرطباس. انظر: المصدر نفسه، ص ٣١، وقد استنتج بعض المؤرخين المحدثين من ذلك أن دار الصناعة بإشبيلية كانت قائمة بالفعل منذ الفتح الإسلامي للأندلس، ومن المحتمل أنها توقفت عن الإنتاج في عهد الإمارة الأموية فجددها الأمير عبدالرحمن بن الحكم بالبناء عقب الغزو النورماندي سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٥م ولعله أضاف إليها منشآت معمارية جديدة كي تنشط في إنتاج العديد من السفن، انظر: السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٩م)، ص ١٦١.

لهـذا الاهتمام فقـد تنـامت أعداد المـراكب في الأسطـول الأندلسي، فلم تكـد تمضي سنوات قلائل على هجـوم النورمانديين على الأنـدلس؛ إلا ونجد الأمير عبدالـرحمن بن الحكم يجهز حملة عسكريـة من ثلاثمائة مركب تـوجهت نحو جزيرتي ميورقة ومنورقة، وذلك سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م[١]. وظل الاهتمام بصناعة المراكب متـواصلاً من قبل الدولة، فقـد قرر الأمير محمد بن عبدالـرحمن إنشاء مجموعة من المراكب في قرطبة، ولمـا انتهى العمل فيها أمر بإرسالها إلى البحر المحيط سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م، لكنها تحطمت جميعًا عندما دخلت البحر[٢].

وفي هذا الخبر إشارة إلى أن قرطبة كانت مركزًا لصناعة المراكب، فكانت تحتضن دارًا للصنـاعة أنشئت، على مـايبدو، فـي عهد الأميـر عبدالـرحمن بن الحكم، بعد غزو النورمان لإشبيلية. لكن دار الصناعة هذه اقتصرت فيما بعد، وبالذات في عهد الناصر لدين الله على الصناعات المدنية كالتحف المعدنية والآلات، ولم تعـد دارًا لصنـاعة الأسطـول، وربمـا كـان ذلك لبعد قـرطبـة عن السـاحل، ولكثـرة ما أنشأه النـاصـر لـدين اللـه من دور الصناعـة في سـواحل الأندلس[٣].

وانتشـرت صناعـة المـراكب في عـدد من مدن الأنـدلس الأخـرى، ففي الجزيرة الخضراء توجد دار صناعة للأساطيل بناها الناصر لدين الله[٤]. ويظهر أن طـرطوشـة كانت من المـراكز الهـامة في صنـاعة السفن، إذ تصنع المـراكب

---

(١) ابن حيـان، المصـدر السـابق، تحقيق محمـود علي مكي، ص٢؛ ابن سعيـد، المصـدر السابق، ج١، ص ٤٩.

(٢) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٣، ١٠٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٥؛ ابن خلدون، العبر، المجلد الرابع - القسم الأول، ص ٢٦٨.

(٣) السيد عبدالعزيـز سالم، قرطبة حاضرة الخـلافة في الأندلس، ج١، ص ٢١٧؛ ج ٢، ص ١٣٠.

(٤) الحميري، المصدر السابق، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

الكبار من خشب الصنوبر المتوفر في جبالها[1]. كما تصنع المراكب في جزيرة يابسة لجودة خشبها [2]. ويوجد في مدينة شنتمرية الغرب دار لصناعة الأساطيل[3].

ويستفاد من الخشب في إنشاء المباني، فقد كان الناصر لدين الله يجلب الخشب لمبانيه من كورة جيان[4]. كما يستفاد من الخشب في صناعة بعض أنواع الأسلحة، كالمنجنيق مثلاً الذي كان يستعمل بشكل واسع في الحروب الواقعة في الأندلس في هذه الفترة، فقد استعان به الأمير عبدالرحمن ابن معاوية في قمع إحدى الثورات في طليطلة[5]، كما استخدمه الجيش الأموي أثناء حصار ابن مروان الجليقي وجماعته[6].

ومن الأسلحة المصنوعة من الخشب؛ القَسيِّ، وكانت تستخدم على نطاق واسع في العمليات العسكرية في الأندلس خلال هذه الفترة[7]. ويذكر الحميري[8] أن القسي تصنع من خشب أشجار الطخش المتوفرة في جبل شقورة في كورة جيان.

وتمتد الصناعات الخشبية لتساهم في تأثيث المنازل، إذ يستفاد من الخشب في صناعة الأسِرَّة، ويبدو أن من أجود أنواع الأسِرَّة ماكان لدى الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وهو سرير من الخيزران وثيق الصنعة[9]. وكان في منزل القاضي يحيى بن معمر[10] سرير يرقد عليه[11].

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٠؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩١.
(٢) ياقوت، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٤٢٤.
(٣) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٧.
(٤) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٦.
(٥) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص ٩٢- ٩٣.
(٦) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٦٧.
(٧) أخبار مجموعة، ص ٦٠.
(٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٩.
(٩) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٨- ١٩.
(١٠) يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد الإلهاني. من العرب الشاميين، وكان من أهل إشبيلية. له رحلة لقي فيها أشهب بن عبدالعزيز وسمع منه ومن غيره من أهل العلم. وكان ورعًا زاهدًا فاضلاً. ولاه الأمير عبدالرحمن بن الحكم قضاء الجماعة بقرطبة؛ الخشني، المصدر السابق، ص٤٥، ٤٩.
(١١) المصدر نفسه، ص ٤٨.

ويدخل الخشب كذلك في صناعة الأطباق، فقد أشار الزبيدي[1] إلى نوع من الأطباق يعمل من القضب.

كما يدخل الخشب أيضًا في صناعة الموائد، وكانت هذه تستخدم في تقديم الأطعمة، إذ يوضع الطعام فوق المائدة الخشبية عندما يكون جاهزًا للأكل[2].

وتصنع الأقلام من الخشب، ووردت الإشارة إليها في حديث للفقيه ابن لبابة، يقول فيه: "أتيتُ القاضي محمداً بنَ سلَمَةِ فلم أرَ في دواته إلا أقلامًا مكسورة فأخذت مع نفسي أقلامًا حسانًا كانت عندي وبريتها وأتيته بها فأبى من قبولها "[3].

ومن الصناعات الخشبية؛ الآلات الموسيقية، وأهمها آلة العود الواسعة الانتشار في الأندلس في ذلك الوقت. ويبدو أن صناعة هذه الآلة قد حظيت بعناية كبيرة خاصة في مدينة بلنسية، التي كان أهلها يتفاخرون بكثرة الأعواد لديهم[4].

ومما يروى أن عباس بن فرناس كان يحسن علم الموسيقى ويضرب العود ويغني عليه[5]. كما يروى أن زريابًا المغني بعد استيطانه الأندلس عمل على تطوير آلة العود فزادها وترًا خامسًا[6]. وتعتبر مدينة إشبيلية من المراكز المهمة في صناعة الآلات الموسيقية المتنوعة[7]، ومن هذه الآلات البوق، وهذه الآلة

---

(١) الزبيدي، لحن العامة، ص ٧١.

(٢) المقري، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٨.

(٣) الخشني، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٤) العذري، المصدر السابق، ص ١٨.

(٥) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩.

(٦) المقري، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٦.

(٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢١٣.

تماثل آلة العود من حيث درجة استعمالهـا وانتشارها. ولقد جاء في رواية أوردها ابن حيـان أن الأميـر محمـد بن عبـدالـرحمن قـد خصص مجلسًـا يجتمع فيـه بالزامرين، وشوهد في هذا المجلس بوق فاخر مصنوع من خشب الأبنوس(١).

ومن الآلات الموسيقية الأخرى؛ الزلاميّ، وهو عبارة عن مزمار على شكل قصبـة منحوتـة الجانبين من الخشب، ويتألف من قطعتين منفـردتين(٢). ومن الآلات الموسيقية؛ القانون، وهي آلـة وترية على شكل مربع(٣). ومنها أيضا؛ الرباب، وهي كذلك آلة وترية على شكل الكرة(٤).

ولقد حرص الأندلسيون كثيرًا على الارتقـاء بالصناعات الخشبية إلى درجة الابتكار، فيـروى أن عباس بـن فرناس اختـرع آلة لمعـرفة الأوقـات تسمى؛ ذات الحلق، وقدّمهـا للأمير عبـدالرحمن بن الحكم، كما اختـرع آلة مماثلة لمعـرفة الأوقـات تسمى؛ المنقـانـة، فأحكم صنعتهـا ثم رفعهـا إلى الأميـر محمـد بن عبدالرحمن. هذا بالإضافـة إلى الكثير من الصناعات الأخرى التي كان يستعين في عملها بعريف النجارين(٥).

ولقد استفاد أمراء بني أمية من أخشاب الصنوبـر المتوفرة في طرطوشة في بنـاء المسجد الجـامع بقـرطبة وتجميلـه، إذ كـانت جميع أخشـابه من عيـدان الصنوبر الطرطوشي(٦). وتفنّن النجـارون في إتقـان صنـاعـة الخشب في هـذا المسجد، فأكثروا من النقوش البديعة على الأخشاب المحيطة بالمحراب(٧).

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٩١.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٢٣؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٣.

(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٤٢٤؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٣.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٤٢٤؛ المقري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٣.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٨٢ - ٢٨٤.

(٦) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٥٧.

هـ - الصناعات الزراعية :

استفاد الأندلسيون من وفرة المحاصيل الزراعية في بلادهم ، فاستغلوا قسمًا كبيرًا منها في الأغراض الصناعية الأخرى ، ومن هذه الصناعات الزراعية مايتعلق بالأطعمة ونحوها ، ومنها مايتعلق بمستلزمات الحياة ، وتوضيح ذلك فيمايلي :

١/ الأطعمة وما إليها :

عرفت الأندلس صناعة ألوانٍ معينة من الأطعمة خلال هذه الفترة ، وكان بعضها مرتبطًا بشخصية زرياب ومجيئه إلى الأندلس ، إذ إن زريابًا قد سنَّ للأندلسيين قلي الفول[١] . كما يروى أن الأندلسيين اخترعوا لونًا من الطعام أطلقوا عليه اسم ؛ التفايا[٢] .

ومن الأطعمة الأخرى التي اشتهرت الأندلس بصناعتها ؛ الجبن ، فقد اختصت كل من إشبيلية وشريش بصناعة الجبن[٣] . ويعزى السبب في تخصص هاتين المدينتين بصناعة الجبن ؛ حسبما يراه بعض المؤرخين المحدثين[٤] ؛ إلى أن جماعة من بقايا النورمانيين الذين غزوا سواحل الأندلس الغربية سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٣م ، قد سكنت في ضواحي إشبيلية ثم اعتنقت

---

(١) يذكر ابن هشام اللخمي أن العامة في الأندلس كانوا يقولون للفول المقلي المملوح ؛ الزِّرياب ، والصواب الزِّريابي منسوب إلى زرياب ، وهو أول من اتخذه فنسب إليه . انظر: ابن هشام اللخمي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) التفايا : طعام يصنع بماء الكزبرة الرطبة ويحلى بالسنبوسق والكباب . وهو على أنواع عديدة ؛ فمنه التفايا البيضاء والتفايا المبيضة باللوز والتفايا المقلية ، وغيرها . انظر: مجهول المؤلف ، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس ، تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد ٩ ، ١٠ ، ١٩٦١ - ١٩٦٢م) ، ص ٨٥ - ٨٧ ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) المقري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٤) السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٣٧ ؛ عبدالرحمن الحجي ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

الإسلام[1] واحترفت تربية الماشية وصناعة الجبن، فكانوا ينتجون أحسن أنواعها.

ويبدو أن النصارى في الأندلس اشتغلوا أيضًا بصناعة الجبن، إذ يروى أن الفقيه عبدالملك بن حبيب، ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، نهى عن أكل جبن المجوس، لكنه لم يمانع في أكل جبن النصارى القاطنين في الأندلس[2].

ويشتق من الجبن صناعة لون آخر من الأطعمة، وهي المجبنات[3]. وقد اختصت مدينة شريش بصناعة هذه المجبنات، ومن الواضح أن ذلك يرجع إلى وفرة إنتاج الجبن بها وجودته، وفي هذا يقول المقري[4]: " . . ومما اختصت به إحسان الصنعة في المجبنات، وطيب جبنها يعين على ذلك، ويقول أهل الأندلس: من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم".

---

(١) ربما كان قسم من هذه البقية الباقية من فلول النورمانيين أو المجوس، كما تسميهم الرواية العربية، قد ظلّ محتفظًا بدينه القديم ولم يدخل في الإسلام، رغم استيطانه في الأندلس خلال هذه الفترة، إذ إن الفقيه ابن حبيب كان يحذر المسلمين من أكل جبن المجوس، فلربما كان ابن حبيب يعني بالمجوس، أولئك النورمانيين الذين استقروا في الأندلس واشتغلوا بصناعة الأجبان، لكنهم لم يدخلوا في الإسلام.

(٢) ابن عبدالرؤوف، المصدر السابق، ص ١٠١. ويظهر أن صناعة الجبن في الأندلس تكاد أن تكون حكرًا على النصارى دون غيرهم في هذه البلاد. فبعد هذه الفتوى التي أصدرها ابن حبيب بثلاثة قرون تقريبًا تعود مسألة حكم أكل جبن النصارى للظهور مرة أخرى على ساحة النقاش والبحث، فيصنّف أبو الوليد الطرطوشي كتابًا في تحريم جبن الروم. انظر: الطرطوشي، الحوادث والبدع، ص٤.

(٣) هي نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها وتقلى بالزيت الطيب؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٤. وقد اعتبر الطرطوشي (القرن: ٦هـ) أكل المجبنات من البدع. انظر: الطرطوشي، المصدر السابق، ص ١٤١. وأما الشيخ أبو البركات المعروف بابن الحاج البلفيقي (القرن: ٨هـ) فقد وضع فيها شعرًا جميلاً، مما يدل على أن هذا النوع من الأكل قد ظل مفضلاً لدى الأندلسيين حتى القرن الثامن الهجري وربما بعده؛ النباهي، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٤.

وتُعدُّ الحلوى من الصناعات الزراعية السائدة في هذه الفترة، وكان يعمل في الأندلس أصناف منها كالناطف مثلاً، وهو يتألف من العسل والفستق(١). وقد وردت الإشارة إلى الناطف، كنوع من الحلوى، في المصادر المشرقية(٢)، مما يدل على أنه معروف في المشرق الإسلامي.

وتعد صناعة الخمر من الصناعات الرائجة في هذا المجال، وقد اجتهد أمراء بني أمية كثيرًا في التضييق من نطاق انتشارها في بلادهم، وبدأوا بأنفسهم فكانوا لايشربون الخمر واستبدلوها بشراب العسل(٣)، بل إن الأمير عبدالرحمن ابن الحكم، افتتح الأيام الأولى من حكمه بهدم الفندق السلطاني المعدّ لبيع الخمور في قرطبة(٤).

ومن الصناعات الزراعية الهامة، صناعة استخراج الزيت من الزيتون، فكانت الأندلس تحتل المرتبة الأولى في العالم في إنتاج زيت الزيتون وذلك بسبب وفرة أشجار الزيتون التي تغطي مساحات شاسعة من البلاد(٥). وقد اختصت إشبيلية بوفرة الزيتون في جبل الشرف القريب منها، ولذا فإنها كانت مركزًا من مراكز صناعة استخراج الزيت من الزيتون، ووصف زيتها بأنه يحتفظ

---

(١) ابن عبد ربه، المصدر السابق، المجلد الرابع، ج٨، ص ٢٤. وقيل بأنه ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق؛ الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٢) الأزدي، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٧.

(٤) ابن سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦؛ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع والعشرون، ص ٣١٥.

(٥) JOAQUIN VALLVE, LA AGRICULTURA EN AL- ANDALUS, P.285.

ولقد عمل الأندلسيون على تطوير طريقة استخراج الزيت من الزيتون مما أدى إلى تحسين نوعية الزيت، فاستخدموا طواحين لعصر زيت الزيتون يحركها الماء وأخرى تعمل بواسطة الحيوانات، فكان هناك ثلاثة أنواع من الزيت وهي زيت الماء، أي الزيت المستخرج بواسطة الطواحين المائية، وهو أفضل أنواع الزيت، ثم زيت المعصرة ذو النوعية المتوسطة ثم الزيت المطبوخ ذو النوعية الرديئة. انظر: S.M. IMAMUDDIN, OP. CIT, P.108.

برقته وعذوبته وقتًا طـويلاً فلا يتغير طعمه[١]. ويستفاد من الـزيت في أغراض متعـددة، فكان يحمل إلى المسـاجـد لـلإضاءة، ويظهـر أن بعض المحسنين الأثرياء كانـوا يخصصون قسمًا مما يملكونه من الزيت لإضـاءة المساجد، وقد ورد ذلك في إحدى الأسئلة التي أجاب عنها الفقيه عبدالملك بن حبيب[٢].

٢ / صناعات زراعية أخرى :

ومنها، صناعة الحبال، وهي تتخذ من نبات الحلفاء، ويبدو أن ممتهني هـذه الصناعـة لم يكن ينظـر إليهم في الغالب بعين الـرضـا والتقديـر من حيث مكـانتهم الاجتماعيـة، فقد غضب النـاصـر لدين اللـه ذات مرة على أحمـد بن إسحاق القرشي[٣]، فكتب إليه يوبخه ويغض من قدره وينتقص من مكانة جده الذي كان: "يفتل الحبال في أسطوانة ويخيط الحلفاء على باب داره"[٤].

ومن الصنـاعـات الزراعيـة الأخـرى، الحصـر، وتستخدم لفـرش أرضيـة المسـاجـد والمنـازل، وقد حث ابـن حبيب الموسـرين على فـرش المسـاجـد بالحصر[٥]. وكان القـاضي سعيد بن سليمان يجلس على حصيـر في المسجد إذا أخذ مجلسه للقضاء[٦]. كما شوهد في منزل القاضي يحيى بن معمر حصير بالإضافـة إلى شيء من الأثاث البسيط[٧]. ويعد هـذا مظهرًا من مظاهر الـزهد

---

(١) ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٢٣.

(٢) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٩٩.

(٣) أحمد بن إسحاق: أحـد قواد الناصر لدين اللـه، ويبدو أنه من إشبيلية، إذ كان والـده فارسًا من فرسان ابن حجـاج ثم استوزره الناصر وقلّـد ابنه أحمد أعنة الخيل وفوّض إليـه أمر الثغر الأعلى، لكن يبدو أنـه تهاون في تنفيذ واجباتـه، وربما وشي عليه أنـه يطمح إلى الانفصال عن إمارة قرطبة. انظر: مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص ١٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٥) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٩٩.

(٦) الخشني، المصـدر السابق، ص ٦٢؛ ابن حيـان، المصـدر السابق، تحقيق محمـود علي مكي، ص ٥٢، ٥٣.

(٧) الخشني، المصدر السابق، ص ٤٨.

والتواضع. ولقد قامت على صناعة الحصر تجارة واسعة، فانقسم المشتغلون بها إلى صنّاع وتجار، وقد أشار إلى ذلك ابن القوطية[1] في سياق روايته لحادثة قتل وقعت في قرطبة في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم.

ويدخل نبات الحلفاء في صناعة النعال، فقد كان أبو علي السرّاج يحتذي نعلين من حلفاء[2].

ومن الصناعات الزراعية الأخرى، السلال، ويبدو أنها كانت تستخدم في كثير من الأحيان في الأغراض المنزلية. ووردت الإشارة إليها فيما يروى من أن الأمير عبدالرحمن بن معاوية عندما قبض على ثلاثة من زعماء الثورة في طليطلة سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٤م، أمر بحلق رؤوسهم ثم ألبسهم جباب الصوف وأدخلهم في السلال[3].

وتعتبر صناعة المواد المنظفة للجسم برهانًا واضحًا على مدى التطور الذي أحرزه الأندلسيون في مجال الصناعات الزراعية. والحق أن هذا التطور في هذا الجانب ينسب في بعض مراحله إلى زرياب، والذي نقل معه كثيرًا من معالم الحضارة المشرقية إلى الأندلس، "فمما سنّه زرياب لأهل الأندلس، استعمال المرتك[4] المتخذ من المرداسنج، لطرد ريح الصنان من مغابنهم

---

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٩٠- ٩١.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٣٨.

(٣) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص ٩٥.

(٤) المرتَج: تعريب مَرتَك. وهو نوعان فضي وذهبي. وهو المرْدَارْ سَنْج، بضم الميم، وهو معرَّب، مُرْدارسنك، ومعناه الحجر الميت. انظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ١٠٠. ويشير المقدسي إلى أن المرداسنج يصنع في البصرة؛ المقدسي، المصدر السابق، ص ١٢٨. وقد أوضح لنا السقطي طريقة استعمال المرداسنج لإزالة الصنان؛ فذكر بأنه يؤخذ مرداسنجًا مبيضًا ويعجن بماء الورد ويتخذ أقراصًا وتدفن في الورد حتى تجف ثم ترفع إلى وقت الاستعمال؛ السقطي، أبو عبدالله محمد بن أبي محمد، في آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، (بيروت: دار الفكر الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٦٦.

ولاشيء يقـوم مقـامـه، وكـان ملـوك الأنـدلس تستعمل قبلـه ذرور الـورد وزهـر الريحان وماشاكل ذلك من ذوات القبض والبرد، فكانوا لاتسلم ثيابهم من وضر فدلَّهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها، فلما جربوه أحمدوه جدًا "[١].

ولقد كان الأنـدلسيون في هذه الفترة يصنعون الصابـون، إذ يروى أن عمر ابن حفص الثقفي[٢]، ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، اتخـذ له أعوانًـا يعملون الصـابون على باب داره[٣]. ويظهر لنا من ذلك أن هذه الصناعـة لم تكن قد تطورت بعد في الأندلس، إذ لم يخصص لأصحـاب هذه المهنة سوق خاصـة بهم لممارسة عملهم كما هو الشأن في الحرف الأخرى.

ومن الصناعات الزراعية الأخرى؛ الشمـع، ويُعد وسيلة جيدة للإضاءة، فقد كان الفقيه عبدالملك بن حبيب، ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، ينظر في كتبه ليلاً والشمعة موقدة بين يديه[٤]. أما المسجد الجامع بقرطبة فقد كان فيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقيد، أكبـر واحدة منها تحمل ألف مصباح وأقلها تحمل اثني عشر مصبـاحًـا، وفي شمـال محـراب هـذا المسجـد وضعت طسـوت ذهب وفضـة وحسك، كلها لوقيد الشمع في كل ليلة سبع وعشرين من رمضان[٥].

ومن الواضح أن هـذا العدد الكبير من الثريات في المسجـد الجامع يبيّن لنا مدى رواج صناعة الشمع وازدياد الطلب عليها.

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٧- ١٢٨.

(٢) عمر بن حفص بن غالب الثقفي الصابوني. يعرف بـابن أبي تمام. قرطبي، كان شيخًا فقيهًا عالمًا بالمسائل والشروط ثبتًا ثقة خيـارًا. سمع الناس منه. انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج٥، ص ١٧١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٧١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤- ٤٥.

(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٥٦- ٤٥٧.

و - صناعة الــورق :

إن المصادر التي بين أيـدينا لاتمدنـا بكثير من المعلـومات حول صنـاعة الورق في الأندلس خـلال هذه الفترة، مما يحملنا على الظن بأن هـذه الصناعة قد شهـدت نموًا بطيئًا في ذلك الـوقت، وأنها لم تكن في مستـوى النضج الذي كانت عليه غيرها من الصناعات.

فقد لاحظنا أثناء الحديث عن الصناعات الجلدية، أن استعمالات الرقوق في الكتابـة كانت منتشـرة على نطاق واسع، وخاصـةً في أوساط العلمـاء وطلبة العلم، وقـد عبَّـر عن ذلك أحـدهم، وهو ابن الجبَّـاب ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، بقوله: "كانت أمي تغزل وأبيع غزلها فاشتري به الرق والكتب"(١).

ويبـدو أن ازدهـار صنـاعـة الـورق في الأنـدلس لم يتحقق إلا في عصـر الخلافة ٣١٦- ٤٢٢هـ/ ٩٢٨- ١٠٣١م، وخصـوصًا في عهد الخليفة الحكم المستنصـر باللـه ٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م، الـذي كـان شغوفًـا باقتنـاء الكتب، فكان يبعث رسله في شرائها واستنسـاخها من كل مكان، فاقتضى هذا التوجه أن تـزدهر صناعة الـورق في الأندلس، ومن مظاهر هـذا الازدهار، هجرة عدد غير قليل من الورّاقين إلى الأنـدلس من مختلف البلدان، كعباس بن عمرو الكنابي(٢)، ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م الـذي ترك صقلية إلى القيروان سنـة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م، ومنها خـرج إلى الأندلس سنـة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، واتصل بـالحكم بن عبـدالرحمن، وكـان إذ ذاك وليًا للعهـد، فتـوسع له في الـورق وصار من جملـة الوراقين(٣).

---

(١) القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٧.

(٢) عباس بن عمرو بن هارون الكنابي الـورّاق، من أهل صقلية، يكنى أبا الفضل. كان وسيمًا، حليمًا، حسن الحكاية، بصيـرًا بالرد على أصحاب المذاهب، عالمًـا بالكلام. عاش حتى علت سنة وذهب بصره ومسَّه ضرب من الفالج؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٠٩.

ولعل من البديهي أن نقرر بأن هذا التطور في صناعة الورق في عهد الحكم المستنصر بالله لم يأت هكذا فجأة، مهما بذل المستنصر في ذلك من جهود، وإنما كان لهذا التطور جذور عميقة في عصر الإمارة ونمت بالتدريج حتى بلغت الذروة عندما وجدت من يرعاها ويقوم بأمرها في عصر الخلافة.

ويهمنا في هذا الصدد أن نتلمس الملامح الأولية لصناعة الورق في عصر الإمارة[1]، فتحدثنا المصادر عن استعمالات الورق منذ وقت مبكر من عصر الإمارة، إذ يروى أن الأمير الحكم بن هشام كتب شهادة في إحدى القضايا المعروضة عليه في قرطاس، وختم عليه بخاتمه[2].

ونقرأ أيضاً في مصادرنا أن بعضًا من جلساء الأمير عبدالرحمن بن الحكم كان يدون مايريد تدوينه من ملاحظات أو آراء في أوراق مختومة، كما فعل عبدالرحمن بن الشِّمر[3] عندما أراد إقناع الأمير عبدالرحمن بن الحكم بصحة علم التنجيم[4]. وكانت البطاقات الورقية تستخدم أيضًا في مجلس الأمير عبدالله بن محمد، إذ كان وزراؤه يدونون آراءهم في بطاقة ثم يرفعونها للأمير ليطلع عليها[5]. كما أن بعض القضاة، كان يكتب أحكامه التي يصدرها في قرطاس[6].

---

(١) يشير الدكتور العبادي إلى أنه من المحتمل أن تكون صناعة الورق قد وجدت في الأندلس خلال العصر الأموي؛ أحمد مختار العبادي، الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، ص ١٥٣.

(٢) النباهي، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) عبدالرحمن بن الشِّمْر: وأحيانًا يكتب اسمه عبدالله بن الشمر بن نمير القرطبي. منجم الأمير عبدالرحمن بن الحكم ونديمه. كان موصوفًا بالأدب والشعر والنثر، وكان لطيفًا حلوًا يغلب على قلب من شاهده، صحب الأمير عبدالرحمن قبل توليه الحكم ولما صار الأمر إليه نادمه. انظر: ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٤- ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٦.

(٥) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٣.

(٦) النباهي، المصدر السابق، ص ٤٦.

وقد امتدح المقدسي[1] الذي زار الأندلس في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي مهنة الوراقة فيها، إذ يقول: "وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة خطوطهم مدورة". كما أن عددًا من العلماء الأندلسيين قد اشتغل بالوراقة، خلال هذه الفترة، فهذا مالك بن غانم بن الحسن[2]، ت٣٠٥هـ/ ٩١٧م، كان يورّق ويعلّم[3].

ومن الطبيعي بعد ذلك كله، أن نتساءل عما إذا كانت صناعة الورق قد أخذت تنمو بشكل متصاعد في أواخر عصر الإمارة، بما يتفق والتطور السريع الذي وصلت إليه مهنة الوراقة. غير أنه يتوجب علينا ألا نفرط في التفاؤل حول هذا الموضوع، فمن المحتمل جدًا أن الأندلس كانت تستورد الورق من مصر، التي اشتهرت بصناعته وتصديره إلى أهل المغرب، حتى قيل في ذلك: "قراطيس سمرقند لأهل المشرق كقراطيس مصر لأهل المغرب"[4].

ز - الصناعات الأخرى:

لم يقتصر النشاط الصناعي في هذه الفترة على أنواع معينة من الصناعات كتلك التي تعرضنا لها؛ بل تعداها ليشمل أنماطًا أخرى، مثل:

١/ صناعة الزجاج:

وتعتبر هذه الصناعة إحدى الثمرات الحضارية التي تم إنجازها في عصر الإمارة ويبدو أنها حققت تقدمًا هامًا على يد عباس بن فرناس الذي تمكن من

---

(١) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٢) مالك بن غانم بن الحسن، الرعيني الزاهد، من أهل قرطبة. وكان خيّرًا فاضلاً. انظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج ٢، ص ٨٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٠٧.

(٤) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط١، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ج ٢، ص ٣٣٩.

صناعة الزجاج عن طريق استخراجه من الحجارة[1]. ثم انتشرت بعد ذلك صناعة الزجاج في سائر مدن الأندلس، وبالذات في مدينتي مرسية ومالقة[2]. وقد تحدث السقطي[3] عن بعض المراحل التي تمر بها صناعة الزجاج قبل أن يتخذ شكله الأخير، فأشار إلى وجود أفرانٍ للتبريد يوضع فيها الزجاج لمدة يوم وليلة. وحذَّر من تلاعب الزجاجين في هذا الشأن؛ إذ قد يعمد بعضهم إلى إخراج الزجاج من فرن التبريد قبل انقضاء المدة المقررة، فيتصدع الزجاج بسبب ذلك. وقد اشتق الأندلسيون من الزجاج بعضًا من الصناعات التي يستفاد منها في الأغراض المنزلية ونحوها، كالأواني والقوارير وما إلى ذلك. وتوسع الأندلسيون في استخدام الأواني الزجاجية، وخصوصًا بعد مجيء زرياب الذي كان يفضِّل استعمالها[4].

أما القوارير؛ فيستفاد منها في أغراض متنوعة، إذ كانت لدى الفقيه عبدالملك بن حبيب قارورة أذاب فيها اللبان في العسل، ويشرب منها كل يوم[5]. كما يروى أن ابن حبيب قد كتب إلى أحد الأدباء يستهديه مدادًا ووجه إليه بقارورة كبيرة[6]. وتستخدم القوارير في الأغراض العسكرية، وذلك بعد تعبئتها بالنفط، لتصبح مادة حارقة تقذف على سفن الأعداء، وكانت تسمى نيم النفط، وقد أثبت هذا السلاح مدى فعاليته في صد هجوم النورمانديين على سواحل الأندلس سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م[7].

---

(١) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٣؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٧٤.

(٢) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) السقطي، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.

(٥) القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٤، ٤٥؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٥٦.

(٦) القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٤- ٤٥.

(٧) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٩.

٢/ صناعة الفخار:

وتساهم هذه الصناعة في سدّ احتياجات المنازل من الأثاث، فكان قسم كبير من الأثاث المنزلي، وخصوصًا في منازل القضاة وغيرهم من أهل الزهد، يتألف من مواد فخارية، ففي منزل القاضي يحيى بن معمر توجد قلة للماء[١].

ويستفاد من تربة مجريط في صناعة القدور، وبلغ من جودتها أنها تستعمل على النار مدة طويلة فلا تنكسر[٢].

ويشير أحد الدارسين[٣] إلى أن صناعة الفخار كانت من أهم صناعات مجريط، وأن هذه المدينة كانت تدين بوجودها إلى تلك القنوات التي كانت تحمل المياه الجوفية إلى أحيائها ومنازلها عبر شبكة واسعة هائلة، وهذه القنوات إنما هي أنابيب مصنوعة من الفخار.

وجدير بالذكر أن مدينة مجريط أُنشئت في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن[٤].

واختصت مدينة أندرش[٥] بالصناعات الفخارية الجيدة، وذلك لجودة تربتها[٦].

---

(١) الخشني، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٢٣.

(٣) محمود علي مكي، مدريد العربية، ص ٨٢.
فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أنابيب المياه كانت تصنع من ذلك الفخار الذي تميزت به تربة مجريط، وقد أشار مهندسو القنوات الجوفية في مدريد خلال القرن الثامن عشر إلى تميز هذه الأنابيب الفخارية حيث لا يصيبها الفساد ولا يلحقها الطحلب الذي يمكن أن يغير طعم الماء أو يشوب نقاءه.
وقد أجريت هذه الدراسة الحديثة على ما بقي من هذه الأنابيب حتى الحين؛ محمود علي مكي، المرجع السابق، ص ٨٢.

(٤) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٢٣.

(٥) أندرش: بلدة بالأندلس من كورة إلبيرة. ينسب إليها الكتان الفائق. انظر: ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٦٠.

(٦) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١١٠.

أما في مدينة مالقة فيصنع الفخار المزجج المذهب[١].

ويبدو أن الحالة المادية والاجتماعية لصانعي الفخار لم تكن جيدة، فعندما تحدث ابن حزم[٢] عن حالة عوف بن مرة الذبياني[٣]، وصفه بأنه افتقر حتى صار يشتغل في عمل الفخّار.

وتعتبر صناعة مواد البناء من الصناعات الهامة في ذلك الوقت، فنقرأ في مصادرنا أن من المواد التي استفاد منها الأندلسيون في مبانيهم، الطوب المشمس، ويدخل في بناء الأسوار الخارجية للمدن وربما في بناء المنازل أيضًا. فعندما وصلت أنباء المجزرة العظيمة التي ارتكبها ملك جليقية ضد مدينة يابرة[٤] سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، إلى أهالي بطليوس، أخذوا في إصلاح أسوارهم وتحصينها، وكانت مبنية بالطوب المشمس[٥]. ومن المواد المستعملة في البناء أيضًا؛ الجصّ والجيّار[٦]، وكذلك القراميد، وهو الذي يستخدم في بناء الأسقف وتزيينها[٧].

وقد اكتسب البنّاءون أهمية خاصة من حيث إشرافهم على بناء القناطر والطرق والمباني العامة والمدن، ولم يقتصر أمرهم على المشاركة في الأعمال

---

(١) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١٠٨؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) عوف بن مرة بن ديسم بن زيد بن المختار بن المخشي بن عمرو بن الجراح بن معاوية الذبياني. عقد له الأمير محمد على إشبيلية وعقد أيضًا لامرأته عليهم تعصبًا للمضرية، إذ فخر عليها رجل يماني باليمانية وكثرتها؛ المصدر نفسه، ص ٢٥٤- ٢٥٥.

(٤) يابُرة: مدينة من كور باجة الأندلس، وهي قديمة، وتنتهي أحواز باجة فيما حواليها مائة ميل؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦١٥.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٦.

(٦) الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

المدنية، بل كانت لهم، أحيانًا، مشاركات في الأعمال العسكرية، وخصوصًا في معالجة الثورات التي تحدث في بعض المدن ذات المعاقل الحصينة، وكيفية القضاء عليها، فقد استعان الأمير محمد بن عبدالرحمن بعرفاء البنائين والمهندسين في قطع قنطرة طليطلة والقضاء على الثورة فيها سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م(١).

ومن الصناعات الأخرى المعروفة في هذه الفترة، صناعة عصر الأدهان واستخراجها، فقد روي أن حبيب بن سليمان السلمي(٢)، وهو والد الفقيه عبدالملك بن حبيب، كان يعصر الأدهان ويستخرجها، ولذا فإنه كان يعرف باسم، الحبيب العصَّار. وقد انتقل حبيب وإخوته في فتنة الربض إلى إلبيرة(٣)، مما يعني أنه أدرك عصر الإمارة.

ثالثًا: الحرف:

لعل من الطبيعي أن نقرر بأن الازدهار العمراني يخلق حاجات استهلاكية جديدة ويؤدي إلى بروز صناعات يدوية جديدة وبالنظر إلى اتجاه أمراء بني أمية نحو العمران وأعمال البناء، فإن الأندلس قد شهدت خلال هذه الفترة انتعاشًا صناعيًا نتج عن ظهور عدد من أنواع الحرف المختلفة، منها(٤): -

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٦؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٦.

(٢) حبيب بن سليمان بن هارون بن جَلْهَمة بن عباس بن مرداس السلمي. من أهل قرطبة. كان حبيب هذا في عداد النبهاء بقرطبة، توفي رحمه الله سنة ٢٢١هـ؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٧.

(٣) القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٠، ٣١.

(٤) لقد أشرنا إلى بعض هذه الحرف عند الحديث عن الصناعات المرتبطة بها.

أ- الفرانون :

ولهذه الحرفة أهميتها في حياة المجتمع، إذ يعد الخبز غذاءً أساسيًا، ويظهر أن الناس كانوا يعجنون الدقيق في منازلهم ثم يحملونه بعد ذلك إلى الفرّان ليخبزه لهم، ويروى في ذلك أن القاضي مسرور بن محمد(١) استأذن ذات يوم ممن حضر مجلسه من الخصوم ليقضي حاجة له، فقام عنهم ثم خرج وفي يده خبزة عجين وهو يسير بها إلى الفرن(٢)، وكان القاضي سعيد بن سليمان يأخذ خبزه من الفرن المجاور لداره(٣).

ويبدو أن الأفران كانت منتشرة في كل حي من أحياء مدينة قرطبة، وكذلك في سائر مدن الأندلس، فلم يكن لأصحاب هذه الحرفة موضع خاص بهم في سوق قرطبة كما هي الحال في معظم الحرف الأخرى، وقد يبدو الأمر طبيعيًا، بالنظر إلى حاجة الناس المستمرة للخبز، غير أن ذلك كان مزعجًا لسكان الدور المجاورة للأفران، فكانوا يتأذون من الدخان الخارج منها، ولعل رجال الحسبة قد فطنوا إلى مافي ذلك من ضرر، فرفعوا الأمر إلى الفقهاء، ولهذا فإننا نجد الفقيه ابن حبيب يقرر في فتواه بأن على صاحب الفرن أن يعمل على إخراج الدخان بحيث لايضر بجاره، فإن قدر على ذلك، وإلا منع من بناء فرن داخل الأحياء السكنية(٤).

غير أن المشكلة ظلت قائمة، وتكررت شكاوى المتضررين من دخان الأفران، ولعل السبب في استمرار هذه المشكلة يكمن في عدم إتقان البناء الخاص للفرن، وافتقاره للاحتياطات اللازمة لمنع ماقد ينتج عنه من ضرر. وقد

---

(١) مسرور بن محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري. ولاّه الأمير عبدالرحمن بن الحكم قضاء الجماعة بقرطبة. وكان من الصالحين الفاضلين؛ الخشني، المصدر السابق، ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٥٣.

(٤) ابن سلمون الكناني، المصدر السابق، ج٢، ص ٩١.

لاحظ هذا الخلل في بناء الفرن القاضي سليمان بن أسود، وذلك عندما عرضت عليه قضية في هذا الخصوص، ومفادها أن رجلاً اشتكى من وجود فرنٍ بالقرب من داره، لما يصيبه في ذلك من أضرار الدخان الناتج عن الفرن، فقضى سليمان بن أسود بأن يجعل صاحب الفرن أنبوبًا في أعلى الفرن، فيخرج الدخان من أعلاه فلا يضر ذلك بمن جاوره(١).

ب - الخياطة:

على الرغم من أهمية هذه الحرفة في المجتمع الأندلسي، إلا أننا لانملك إلا اليسير من المعلومات المتعلقة بها. فنقرأ في المصادر المتاحة لنا أنه كان للخياطين موضع خاص بهم يجتمعون فيه، ويعرف هذا الموضع باسم؛ منية الخياطين، وقد ورد ذكره في مصادرنا أكثر من مرة(٢). وكان للخياطين رئيس منهم يرعى مصالحهم ويقوم بأمرهم، ويسمى: عريف الخياطين. ويلاحظ أن عريف الخياطين كان يواظب على الحضور الدائم إلى قصر الإمارة، ولعل ذلك يعود إلى حاجة الأمير الأموي المستمرة إليه، في صناعة الملبوسات له ولأسرته وحاشيته(٣).

جـ - النجارة:

وماقلناه آنفًا عن حرفة الخياطة ينطبق أيضًا على حرفة النجارة، وذلك من حيث ضآلة المعلومات الخاصة بهذه الحرفة، سوى مانعرفه من أنه كان للنجارين عريف خاص بهم، وأن عباس بن فرناس كثيرًا ماكان يستعين به في اختراعاته وصناعاته الخشبية(٤). ويشير ابن عذارى(٥) إلى أن أرباب هذه المهنة

---

(١) الخشني، المصدر السابق، ص٧٩، ٨٠؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ٢، ص٢٥٢.

(٢) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٨؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص١٩٣.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢١.

(٤) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

(٥) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٧.

كانت لهم سـوق خاصـة بهم في قرطبة، تسمى؛ سـوق الخشابين، ويبـدو أنها تعرضت لحريق هائل سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، فتضررت منه حوانيتهم[١].

وتكشف المصـادر التي بين أيـدينـا عـن أسمـاء مختلفـة تطلق على من يشتغل في هـذه الصناعـة. فهم: النجـارون وتارة يطلق عليهم: النشـارون[٢]، وأخرى: الخراطـون. وعلى الأرجح فإن هذه التسميات لاتعني بـالضرورة وجود حرف أخـرى صغيرة منبثقة عن حـرفة النجـارة ينحصر مجال عملهـا في جانب محدد، وإنما هي، كما أشرنا من قبل، لاتعدو كونها أسماء مختلفة تطلق على ممتهني الصناعـات الخشبية ومـايتعلق بها، وآيـة ذلك أن ابن خلدون[٣] فصَّل القول عن حـرفة الخراطين، وأشار إلى أن مجـال عملهم يدخل: «في كل شيء يتخـذ من الخشب»، أي أنهم لم يقتصـروا على جـانب محدد فـي الصناعـات الخشبية.

د - البنَّاءون:

وقد ازدهرت هـذه الحرفة خلال هـذا العصر الذي شهد تـوسعا في أعمال البناء والعمران. فكانـالبنَّاءون يقومون ببناء الدور والجسـور والمساجد والمدن، وكانت الإمارة الأموية تستعين بعرفاء البنَّائين في مهمات قتالية كهدم القناطر في المدن المحاصرة متى دعت الضرورة العسكرية إلى ذلك.

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ج ٥، ص ١٤٢.

(٢) وكـان موضع النشـارين في الربض الشـرقي من قـرطبة؛ المقـري، المصدر السـابق، ج٢، ص١٦.

(٣) ومما قـاله ابن خلدون في هذا الصـدد: «.. ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعـة الخرط يحكم بريها وتشكيلها ثم تؤلّف على نسب مقدرة وتلحم بالدسائر فتبدو لرأي العين ملتحمة وقـد أخذ منهـا اختلاف الأشكـال على تناسـب يصنع هذا في كل شيء يتخـذ من الخشب فيجيء آنف مايكون وكذلك في جميع مايحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نـوع كان وكـذلك قد يحتـاج إلى هـذه الصناعـة في إنشـاء المراكب البحـرية ذات الألـواح والدسر». ابن خلدون، المقدمة، ص ٤١٠، ٤١١.

وتشير مصادرنا بين الحين والآخر إلى مشاركة البنَّائين في بعض الأحداث الهامة في الأندلس خلال هذه الفترة. فقد روى ابن حيان[1] أن الأمير محمد بن عبدالرحمن استعان بعرفاء البنَّائين في هدم قنطرة طليلة أثناء محاصرته إياها. كما يروى أن الأمير عبدالله بن محمد بعث عددا من البنَّائين؛ لإعانة عبدالرحمن بن مروان الجلّيقي في بناء مدينة بطليوس[2].

هـ - العطارون:

وهم الذين يعملون في إنتاج المواد العطرية والاتجار بها كالمسك والزعفران ونحوهما[3].

وقد أطلق على أحد أبواب قرطبة اسم؛ باب العطارين، ويقع في الربض الغربي من قرطبة[4]، وربما دلَّ ذلك على أن سوق العطارين كانت في هذا الموضع، خاصة وأن هذا الموضع، باب العطارين، كان مجتمع الناس[5].

و - الجزارون:

ووردت الإشارة إليهم على لسان الأمير محمد بن عبدالرحمن[6]. كما أشار إليهم الفقيه عبدالملك بن حبيب في توجيهاته لرجال الحسبة، فقد أوصى المحتسبين بمنع الجزارين من شراء الشاة المذبوحة الموقوذة والمتردية والنطيحة، وما أكل السبع[7]. ويعرف الجزارون أحيانًا باسم؛ القصابون. فقد تحدث ابن القوطية[8] عن حادثة قتل في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٦.
(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٩٣.
(٣) ابن عبدالرؤوف، المصدر السابق، ص ٨٧.
(٤) ابن حزم، نقط العروس، ص ٧٤.
(٥) ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د. ت)، ص ٢٢.
(٦) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٤٥.
(٧) ابن عبدالرؤوف، المصدر السابق، ص ٩٦.
(٨) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٩٠- ٩١. ووردت الإشارة أيضًا إلى موضع القصابين عندما أمر الأمير عبدالله بن محمد بصلب أحد الثائرين ضده سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م في ذلك الموضع. انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٢.

وقعت في مكان يدعى؛ القصابون. وعلى الأرجح فإن هذا المكان هو موضع عمل الجزارين أو القصابين.

ويشير ابن حيان [١] إلى أن محال القصابين أقيمت على مجرى الوادي الكبير في قرطبة، وواضح أن الهدف من ذلك هو حاجتهم المستمرة للمياه، حيث تلزمهم في غسل اللحوم وتنظيف الذبائح[٢].

ز - الخرازون :

واشتغل هؤلاء في صناعة الأحذية وخرزها، ومن ذلك استمدوا تسميتهم بهذا الاسم[٣]. ووردت الإشارة إلى حرفة الخرازين على لسان رجل نطق بكلمات لاتليق بمقام الله عز وجل، إذ خرج يومًا فأخذه المطر فقال: «بدأ الخراز يرش جلوده» وقد أفتى بعض فقهاء قرطبة بقتله، وتم ذلك بالفعل في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم[٤]. ويستفاد من هذا الخبر في معرفة طبيعة عمل الخرازين ومدى اعتماد صناعتهم على الجلود.

وكان بعض الخرازين يلجأ إلى الغش في ترويج بضاعته، فمنهم من يعمد إلى تغليظ حواشي النعل قبل خرزه، وقد نهاهم الفقيه ابن حبيب عن ذلك وأوصى بمنعهم عن هذا العمل[٥].

ح - الحصارون :

وينقسم العاملون في هذه الحرفة إلى قسمين؛ الصناع والتجار. ويتضح ذلك من رواية أوردها ابن القوطية[٦] عن حادثة قتل وقعت بقرطبة في عهد الأمير

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص ١٤٥.

(٢) محمد محمد التهامي المليجي، المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) وكان العامة في الأندلس يقولون للخراز؛ الإسكاف. انظر: الزبيدي، المصدر السابق، ص١٩٢.

(٤) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٢؛ ابن فرحون، تبصرة الحكام، ج ٢، ص١٩٤.

(٥) ابن عبدالرؤوف، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٦) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٩٠- ٩١.

عبدالرحمن بن الحكم. ويستفاد من سياق تلك الرواية أن الحصارين كانوا يعرفون منتجات زملائهم في قرطبة، كما أنهم يستطيعون تمييز أعمال نظرائهم من الحصارين في المدن الأندلسية، ونستنتج من ذلك أن لكل مدينة طابعها الخاص في المنتجات الصناعية.

ط - القلاّسون:

وهم الذين يصنعون القلانس ويتاجرون بها. وقد أشار ابن القوطية(١) إلى تاجر قرطبي من القلاسين يعرف بابن الباقر، ويظهر أنه قريب المنزلة من الأمير محمد بن عبدالرحمن.

ي - الحبالون:

ويقتصر عملهم على صناعة الحبال وفتلها وتهيئتها لاستخدامها في أغراض مختلفة. ويروى أن الناصر لدين الله كتب إلى أحد قادته في الثغر الأعلى، بعد أن غضب عليه ذات مرة، منتقصًا له ولأسرته، إذ كان جده يعمل في صناعة الحبال، ومما قاله الناصر لدين الله: «. . . وجدّك بواب حوثرة بن عباس، يفتل الحبال في أسطوانة ويخيط الحلفاء على باب داره»(٢).

ك - الدبّاجون:

ويعمل هؤلاء في صناعة الديباج، وغلب على بعضهم اسم حرفته هذه كمحمد بن عبيد المعروف بالدباج، ت ٣١٧هـ/ ٩٢٩م(٣).

رابعًا: أحوال الصُنّاع والحرفيين:

اهتم الأندلسيون بتنظيم الحرف المختلفة تنظيمًا إداريًا يسهل معه مهمة الإشراف المباشر على حركة الأسواق وعلى حركة النشاط الاقتصادي فيها. فكان

---

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٢) أخبار مجموعة، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٨٤.

لكل حرفة أمين لها يسمى أحيانًا ؛ العريف، ويظهر أنه يتولى تمثيلها أمام صاحب السوق(١)، كما أنه يُعد مسؤولاً عن كل مايقع داخل نطاق طائفته التي ينتمي إليها من إخلال بالقواعد المتفق عليها فيما يتعلق بالأمانة التجارية(٢).

ولقد عثرنا في النصوص التاريخية على مايشير إلى مثل هذه التنظيمات، وإلى وجود زعيم على رأس كل حرفة يسمى الأمين أو العريف. فقد كان لسوق الغزل أمين خاص به، ووردت الإشارة إلى أمين سوق الغزل، في حديث خاطب به الناصر لدين الله وزراءه ذات يوم(٣). كما كان للخياطين عريف خاص بهم، وسبق أن لاحظنا أن عريف الخياطين كان على اتصال مستمر بقصر الإمارة الأموية(٤). وكان للنجارين أيضًا عريف خاص بهم، وهكذا الأمر في سائر الحرف.

ولم يقتصر تنظيم الحرف عند تعيين العرفاء؛ بل شهدت الحرف المختلفة تنظيمات مهنية محددة، فهناك أستاذ الحرفة، ومنزلته أدنى من منزلة العريف، وغالبًا ما يمتلك أستاذ الحرفة حانوتًا أو أكثر يمارس فيه عمله. ثم يأتي بعد أستاذ الحرفة؛ الصبي أو الأجير. ويعمل الصبي لدى الأستاذ في حانوته لقاء أجر معلوم. وقد يستمر الصبي في عمله مدة طويلة ويكتسب من أستاذه الخبرة الكافية ثم يكون أستاذًا للصنعة فيما بعد، أو أنه يكتفي بالعمل لدى الأستاذ بصفة مؤقتة ثم يمضي لشأنه بعد ذلك. ويروى في هذا الصدد أن هاشم

---

(١) ومن المهام التي يقوم بها عريف المهنة، الاضطلاع بدور الخبير الفني في الخلافات التي تقع بين أهل الحرف وعملائهم حول سلعة من السلع، وكان رأي هذا العريف مقبولاً لدى القاضي أو المحتسب، وعلاوة على هذا؛ فإنه هو الذي يبلغ المحتسب رأي طائفته حول تكاليف السلع التي يصنعونها وتحديد ثمن بيعها. انظر: أحمد مختار العبادي، الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، ص ١٣٦.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص ١٣١.

(٣) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٥.

(٤) انظر أعلاه، ص ٢١٦.

الضراب عندما جيء به إلى قرطبة، ضمن الرهائن الذين أتى بهم الحكم بن هشام من طليطلة، اشتغل أجيرًا عند حدادٍ بقرطبة، ثم تقلبت به الأمور بعد ذلك حتى تزعم ثورة في طليطلة سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م ضد الإمارة الأموية(١). وكذلك نستدل على وجود الصبيان مع أستاذ الصنعة في رواية أوردها ابن الخطيب(٢) عن حادثة الربض سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م وجاء فيها: «. . . فقد كان من نوادر ذلك اليوم المأثورة مثلاً في هيج الرعاع أن حدادًا كان بين يديه صبي يسوق الكير وأبصر اجتماع الناس وحضورهم في الأسلحة؛ فقال: من رئيسهم؟ فقيل: ليس لهم رئيس. فقال للصبي: ياصبي حرك الكير وأعمل عملك فإن هؤلاء لايكون منهم شيء!». وورد في بعض النوازل مايشير إلى الصبيان وعدم إتقانهم لأعمالهم بدقة تامة كما يفعل أستاذ الحرفة. فقد سئل الفقيه ابن لبابة عن رجل دبغ جلودًا فأدخل متعلم معه له جلدًا فإذا هو جيفة؟ فأفتى ابن لبابة بأن الجلد إذا دبغ فقد طهر وأما الميتة فلا تباع ولا تشترى(٣).

أما عن الأحوال العامة، المادية منها والاجتماعية، لأهل الحرف، فلم تكن مرضية فيما يبدو، إذ عاش هؤلاء حياة قاسية غلب عليها البؤس والعوز الشديدان، وكانت نظرة المجتمع إليهم، وخصوصًا الفئات العليا منه، نظرة جافية تتسم بالسخرية والتهكم. ولعلّ السبب في ذلك هو أن معظم الصناع والحرفيين كانوا من المولدين وأهل الذمة(٤)، وكان العرب ينظرون إلى هؤلاء نظرة

(١) ابن عذارى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق بروفنسال، ص ١٥- ١٦.

(٣) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٥٣.

(٤) فقد أشار ابن حيان إلى أن الباعة في إشبيلية انضموا إلى جانب المولدين في إحدى ثوراتهم التي قاموا بها ضد الإمارة الأموية سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ويدل هذا على أن اشتراك هؤلاء الباعة في الثورة إنما كان الغرض منه نصرة بني جنسهم من المولدين والوقوف إلى جانبهم. انظر: ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٧٤، وانظر أيضًا: محمد الوزاد، الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبدالله، فاس، العددان ٤ - ٥، ١٩٨٠ - ١٩٨١م، ص ١٥٠.

تعالٍ باعتبارهم من أصول إسبانية . ويظهر أن هذا الشعور المتعالي الذي عومل به أهل الحرف ، بالرغم من أنهم ينفقون مجهودًا أكبر في خدمة المجتمع ، هو مادفعهم ، أو بعضهم ، إلى المشاركة في الثورات والفتن الداخلية التي اندلعت في وجه الإمارة الأموية في أنحاء متفرقة من الأندلس ، عسى أن ينالهم شيء من الرعاية والاهتمام إن نجحوا في ثورتهم .

وقد أشاد ابن حوقل(١) بخيرات الأندلس وبمظاهر الترف والثراء الشديد التي لاحظها على المجتمع الأندلسي ، لكنه استثنى من ذلك الصنّاع والحرفيين ، حيث قال : " ولايعرف فيهم المهنة والمشي إلا أهل الصنائع والأرذال " . ولهذا النص قيمةٌ خاصة ؛ فهو يعزز ماذهبنا إليه من أن الأحوال العامة لهذه الفئة لم تكن جيدة ، وتزداد قيمته أيضًا إذا أدركنا أن ابن حوقل كان حريصًا على إضفاء مظاهر الترف والثراء على الأندلسيين ، ووصف الأندلس بكثرة الخيرات ، وذلك لأسباب سياسية .

ونستطيع أن نقف بصورة أكثر وضوحًا على رأي الفئات العليا في المجتمع في أهل الصنائع والحرف ، من خلال الحديث الذي وجهه الأمير محمد بن عبدالرحمن إلى وزيره ، هاشم بن عبدالعزيز ، معاتبًا له ، ومما جاء في ذلك :

" و إذا كنّا لانخلف آباءكم فيكم ولا نخلفكم في أبنائكم فعند من نضع إحساننا ونرب معروفنا؟ عند أبناء القزازين والجزارين والحجامين وأشباههم من الغاضين للهيئة المخلّين بالأبهة . . . "(٢) . ولهذا فإننا لانعجب إذا قرأنا أخبارًا عن مشاركة الحرفيين في الفتن الداخلية ، فقد وجّه المؤرخ ابن حيان(٣) انتقادًا مريرًا للباعة في مدينة إشبيلية ومن على شاكلتهم ، لاشتراكهم في إحدى

---

(١) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود علي مكي ، ص ١٤٥ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٠٨ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، القسم الثالث ، ص ٧٤ .

الثورات الـداخلية التي قام بها المـولدون ضد الإمارة الأمـوية ، ووصفهم بأنهم : " سفـال المـدينـة " . ويـروى أن محمد بـن لب التجيبي قتل على يـد رجل من الفرانين عند باب سرقسطة [1].

بقي أن نشير إلى أن المجتمع الأنـدلسي قد لايكون وحيدًا في نظـرته تلك إلى أهل الحـرف المختلفة ؛ فلـربمـا كانت المجتمعـات الإسـلامية الأخـرى ، والمعـاصرة خـلال هذه الفتـرة ، تنظر إلى الحـرفيين بنفس العين التي ينظر بهـا الأندلسيون إليهم ، ونخص بالذكر المجتمع العراقي ، والذي كان أهل المرح فيه والعابثون يتخـذون من الاستهزاء بالحرفيين وازدرائهم مادة للمفـاكهة ، فكان من قولهم في هذا المعنى : " . . . يا أذلَّ من ناسج برد ودابغ جلد . . "[2].

---

(١) ابن القـوطية ، المصـدر السابق ، ص ١٣٠ . ويشيـر الدكتـور العبادي إلى أن الحـرفيين في المشـرق ، خاصـة الفقـراء منهم ، كـانت لهم نشـاطات أخـرى ، اتصفت بطـابع العنف أو السرية ، فقـد اعتنقوا دعوة القرامطة السـرية في القرن الثالث الهجري ، نتيجـة لسوء التوزيع الاقتصـادي . كذلك انضـم الحـرفيون في بغداد إلى جماعات الشطار أو الفتيـان الذين كان أول ظهورهم إبـان الفتنة بين الأمين والمأمـون ، ودافعوا عن بغداد ضـد جيوش المأمـون سنة ١٩٧هـ ؛ أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص١٣٨ .

(٢) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

الفصل الرابع
النشاط التجاري

- أولًا: العوامل المؤثرة في التجارة:

- ثانيًا: التجارة الداخلية:

أ - الأسواق التجارية

ب - الطرق الداخلية

جـ - السلع المتبادلة

د - أسلوب التعامل في الأسواق

هـ - الرقابة على الأسواق

و - الأسـعار

- ثالثًا: التجارة الخارجية:

أ - الصادرات والواردات

ب - مناطق التبادل التجاري

جـ - الطرق الخارجية البرية والبحرية

النشاط التجاري

أولاً: العوامل المؤثرة في التجارة:

يعتبر النشاط التجاري في أي بلدٍ من البلدان، المرآة الصادقة التي تعكس مدى ماوصل إليه هذا البلد من رُقيٍّ صناعي وازدهار اقتصادي. فمن خلال تتبع مستوى حركة التبادل التجاري، وملاحظة أنواع البضائع التجارية يستطيع المرء أن يقف على حقيقة الأوضاع الاقتصادية في بلدٍ ما.

ويعتبر النشاط التجاري في الأندلس في هذه الفترة شاهدًا على الحالة الاقتصادية فيها. غير أن التجارة في الأندلس قد خضعت تحت تأثير مجموعة من العوامل التي أثرت فيها تأثيرًا قويًا، إيجابًا أو سلبًا، إلا أن العوامل الإيجابية في هذه الفترة كان دورها أكبر. ومن أهم العوامل الإيجابية المؤثرة في التجارة، مادأب عليه أمراء بني أمية في كثير من المناسبات من التخفيف من الضرائب المفروضة على الناس، وخصوصًا مع بداية كل عهد جديد، ومما لاشك فيه أن هذه الضرائب من العشور وغيرها كانت تشكل موردًا ماليًا هامًا لخزينة الدولة، وعلى الرغم من أهمية هذا المورد المالي للحكومة، إلا أن أمراء بني أمية حرصوا كثيرًا على التودد إلى رعاياهم وكسب تعاطفهم، فكانوا يبادرون إلى إسقاط العشور عنهم لمدة سنة واحدة أو أكثر، وذلك في مناسبات مختلفة، كالذي روي من أن الأمير هشام بن عبدالرحمن قطع العشور عن رعيته وأخذ منهم الزكوات[1]، ولم يفرض عليهم أي مغارم مما قد يؤثر على التجارة. ولما تولى الحكم بن هشام الإمارة سار على نهج والده في التخفيف من الأعباء المالية الملقاة على كاهل الرعية، فلم يرهق الناس بفرض ضرائب جديدة، غير أنه

---

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٦٥.

عدل عن ذلك فيما بعد خصوصًا بعد أن ساءت العلاقة بينه وبين أهل قرطبة، فأمر بفرض ضريبة العشر على البضائع، وكانت هذه الضريبة قد ألغيت في عهد والده هشام بن عبدالرحمن[١]. ولهذا انتقد ابن عذارى[٢] خروج أهل الربض بقرطبة على الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، بقوله: "... لم يكن على الناس وظائف ولا مغارم ولا سخر ولا شيء يكون سببًا لخروجهم على السلطان.. ". وهذا النص يشير بوضوح إلى حرص الإمارة على عدم إرهاق الناس بالضرائب التي تزيد عن طاقتهم. ومما يعزز هذا الكلام أيضًا؛ ماروي من أن أحد موظفي الحكومة العاملين في حقل الجباية، اقترح على الأمير عبدالرحمن بن الحكم أن يفرض رسومًا على الدواب والأحمال التي تعبر القنطرة على نهر قرطبة، لكن الأمير عبدالرحمن عارض هذا الرأي بشدة، قائلاً: "... نحن أحوج إلى أن نحدث من أفعال البر أمثال هذه القنطرة، لا أن نمحو ماخلده آباؤنا باختراع هذا المكس القبيح ... "[٣].

أما الأمير محمد بن عبدالرحمن فمن مآثره التي حفظها له المؤرخون أنه أسقط ضريبة الحشود[٤] عن أهل قرطبة، وربما عن غيرها من الأقاليم[٥]، كما حرص على تعديل نظام جباية الضرائب، ومراعاة أحوال الناس في ذلك، إذ كان من سبقه من الأمراء يأخذون الضرائب من الناس حتى في سنوات الشدة

(١) REINHART DOZY, SPANISH ISLAM AHISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN, P. 250-251.

(٢) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٥- ٧٦.

(٣) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٥١.

(٤) وتفرض هذه الضريبة من أجل تمويل حملات الصوائف العسكرية التي تبعثها الإمارة كل سنة إلى مناطق الثغور، فكان الناس يؤخذون بتجديدها كل سنة؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٣.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٣؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٩.

والمجاعة، وقد فطن الأمير محمد إلى ذلك، فبادر إلى إسقاط قسم من العشور عن الناس بعد أن منيت رعيته بتوالي سنوات القحط عليهم، وامتدحه الشعراء في ذلك، فقال قائلهم:

تلا فى رعاياه بإسقاط ثلث ما عليهم بما استوفى قبله العشر[1]

وعندما بويع الأمير المنذر بن محمد بالإمارة، قام بإسقاط العشور عن أهل قرطبة[2]، ويعلّق ابن عذارى[3] على هذا الإجراء بقوله: "... وتحبَّب إلى أهل قرطبة والرعايا بأن أسقط عنهم عشر العام ومايلزمهم من جميع المغرم".

ونلاحظ في النص السابق أن إسقاط العشور كان جاريًا لمدة عام واحد، ولا يتجاوز ذلك إلى السنوات الأخرى التي يقضيها الأمير في الحكم. وبعد أن تولى الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد مقاليد الحكم، افتتح عهده بتخفيف المغارم عن الرعايا[4].

ومن العوامل الإيجابية المؤثرة في التجارة، استتباب الأمن داخل المدن وخارجها، وقد استغرق هذا العامل الإيجابي زمنًا طويلاً من عصر الإمارة، فلم يتعرض للتصدع والاضطراب إلا في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

وكان نظام العسس معمولاً به داخل المدن، ومهمته المحافظة على أمن المدينة ليلاً، إلا أن مصادرنا لم تشر إلى هذا النظام إلا في فترة متأخرة عن عصر الإمارة[5]، غير أن ذلك لايلغي إمكان وجود مثل هذا التنظيم الأمني في هذه الفترة المعنية بالدراسة.

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٤.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ص ٢٤.

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١١٤.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٢٩٩؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٤.

(٥) ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٤٣.

وقد أشار المقري[1] إلى خطة الطواف بالليل، فذكر أن الأندلسيين يطلقون على أصحابها؛ الدرّابون؛ لأن مدن الأندلس لها دروب بأغلاق، تغلق ليلاً. ويتولى هؤلاء الدرابون مهمة المحافظة على الأمن داخل أحياء المدينة.

ولقد حرص أمراء بني أمية على إنتقاء من يركنون إلى حزمه وصلابته من الرجال فيولونه الشرطة ومراقبة الأسواق، كما هي الحال مع إبراهيم بن حسين ابن عاصم[2]، الذي ولّاه الأمير محمد بن عبدالرحمن ولاية الشرطة والسوق، فاشتدّ في معاقبة المفسدين[3].

ويعتبر نظام صرف رواتب الموظفين بالمشاهرة من العوامل الإيجابية المؤثرة في التجارة، وكان لهذا النظام دور فاعل في تنشيط حركة البيع والشراء، ويفهم من حوارٍ جرى بين الأمير عبدالرحمن بن معاوية وقاضيه معاوية بن صالح، أن هذا القاضي كان يستلم معاشًا شهريًا من الدولة[4]. كما يروى أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم قد خصص لعامله على الثغر الأعلى معاشًا شهريًا يصل إلى نحو مائتي دينار[5].

ومن العوامل الإيجابية الأخرى، إشاعة العدل بين التجار الوافدين والمقيمين في الأندلس وضمان حقوقهم. ومن الأمثلة على ذلك؛ أن رجلاً قام بتزوير وثيقة على أحد التجار، ورفعت هذه القضية إلى القاضي محمد بن بشير فأمر بقطع يده[6]. كما يروى أن سليمان بن أسود، عندما كان قاضيًا في ماردة

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢١٩.

(٢) إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن محمد الثقفي. من أهل قرطبة. سمع من أبيه، وله رحلة سمع فيها. كان مسؤولاً عن الشرطة والسوق أيام الأمير محمد. توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ؛ انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤.

(٣) القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٦.

(٤) الخشني، المصدر السابق، ص ٢١-٢٢.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٦ - ٧.

(٦) النباهي، المصدر السابق، ص٤٨.

في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم قد أنصف تاجرًا يهوديًا ، وذلك حين أعاد إليه جاريته التي اختطفها منه غلمان الأمير محمد بن عبدالرحمن ، الذي كان أميرًا على ماردة وقتئذ[1].

وبلغ من عناية الدولة بالتجار وشؤونهم ؛ أنها كانت تستطلع آراءهم في موظفيها ، ذوي العلاقة المباشرة بالحركة التجارية ، وذلك للتأكد من درجة المعاملة التي يلقاها هؤلاء التجار. فقد روي أن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي ، ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م ، عندما سعى في عزل القاضي يحيى بن معمر عن منصبه ، خاطب الأمير عبدالرحمن بن الحكم في ذلك ، فأرسل الأمير في وجوه التجار يسألهم عن سيرة القاضي يحيى بن معمر ، ويستشيرهم في عزله عن القضاء[2]. بل إن أحد التجار القادمين من المشرق تمكن من إنشاء علاقات متينة مع أمراء بني أمية في الأندلس ، وذلك هو محمد بن موسى الرازي[3] الذي كان يفد من المشرق على أمراء بني أمية تاجرًا[4]. ويبدو أن الأمويين استفادوا منه في مهمات سياسية ، كما استفاد هو بدوره من علاقاته المتميزة بهم في تدبير شؤون تجارته وتنمية رأس ماله ، فأخذ يتاجر في نواحي سجلماسة ، وكان مصاهرًا بها[5].

ويمكننا القول : بأن السياسة الخارجية التي اعتمدها الأمير عبدالرحمن ابن الحكم ٢٠٦- ٢٣٨هـ/ ٨٢١- ٨٥٢م ، كان لها آثار طيبة على الحركة

(١) النباهي ، المصدر السابق ، ص ٥٦- ٥٧ .

(٢) الخشني ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٣) محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرازي ، غلب عليه اسم بلده . كان يفد من المشرق على أمراء بني أمية بالأندلس تاجرًا . وكان مع ذلك متقنًا في العلوم . توفي بعد انصرافه من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد بإلبيرة سنة ٢٧٣هـ ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١١١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١١١ .

(٥) ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود علي مكي ، ص ٢٦٩ .

التجـارية في الأنـدلس؛ ولذا فإننـا نعدهـا من العـوامل الإيجابيـة المؤثـرة في التجارة، حيث ترك الأمير عبدالرحمن سياسة الباب المغلق مع العراق، وفتح أبواب الأندلس للتجـار المشـرقيين، واستكثر من استيـراد البضـائع العراقيـة، ونتيجة لذلك فإن التجار لم يتأخروا عن موافاة الأمير عبدالرحمن بالتحف النادرة والموجودات الثمينة في قصور بغداد، بعد أن عاث الدمار والسلب والنهب فيها من جراء أحداث الفتنة التي حدثت بين الأمين والمأمون.

ويعتبر عقد الشفـاء وكذلك أعلاق السيدة زبيدة زوجة هـارون الرشيد من بين هذه المواد التي باعها التجار إلى أمير الأندلس(١).

لقد كان من آثار هذه السياسة التي سار عليها الأمير عبدالرحمن؛ ازدهار الوضع الاقتصادي في الأندلس، مما دفع الأمير عبدالرحمن إلى إعادة التنظيم الإداري لبعض الوظـائف المتعلقة بالحركـة الاقتصادية، فـاستحدث دارًا لسك العملة، وأوكل مهمة الإشراف على الأسواق ومراقبتها إلى عامل مستقل بعمله، يعـرف بصاحب السـوق، ولايتبع في عمله صـاحب المـدينة، كمـا كان عليـه الوضع فيما مضى(٢)، إذ يبدو أن الأعمال المتعلقة بـولاية السوق قد اتسعت مع اتساع الحـركة التجاريـة، فأصبح من الصعب على صاحب المـدينة أن يجمع مابين مهمة ضبط الأمن داخل المـدينة ومتابعة قضايا السوق ومـراقبة حركة البيع والشراء في آنٍ واحد.

سار الأميـر محمد بن عبدالرحمن علـى سياسة والده الـرامية إلى تشجيع التجارة مـع البلدان الأخرى، بصـرف النظر عن الاختـلاف الديني أو المـذهبي معها. فقد نشأت علاقات ودية بين حكومـة الأمير محمد وبين بلاد الفرنجة في عهد ملكهم شارل المعروف بالأصلع أو (قرلش بن لذويق)(Charles Le Chauve)، فكـان هـذا الـملك يسـالـم الأمير مـحـمـد ويـحـرص علـى مـلاطـفـتـه

(١) ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق ليفي بروفنسال، ص٢٠.

(٢) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٤٦.

ومهاداته[١]. ومن المحتمل أن التبادل التجاري بين البلدين قد نشط في ظل هذه العلاقات الودية. كما تمتعت حكومة الأمير محمد بعلاقات ممتازة مع دولة بني مدرار في سجلماسة، والدولة الرستمية في تاهرت[٢].

ويلاحظ على مسيرة الحركة التجارية في هذه الفترة، أن العلماء قاموا بدور مهم في تنشيط التجارة الأندلسية مع البلدان الأخرى، وخصوصًا مع المشرق الإسلامي. فكان اشتغال العلماء بالتجارة من العوامل الإيجابية المؤثرة في التجارة، وقد دفعهم إلى ذلك، فيما يبدو، حرصهم على الكسب الحلال البعيد عن الشبهات، وتورعهم عن قبول الوظائف الحكومية وماتتطلبه من حضور شبه مستمر إلى مجلس الأمير وحاشيته، ومخالطتهم. ثم إن توجه العلماء نحو الاشتغال بالتجارة يتفق وطبيعة تنقلاتهم وتطوافهم في الأقطار الأخرى، فاستطاعوا أن يزاوجوا في رحلاتهم هذه بين طلب العلم وطلب الرزق الذي وصل إلى حد المتاجرة بمعناها الواسع. والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فمنها ماروي من أن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي ت: ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، كان يختلف بتجارته إلى كورة إلبيرة[٣]. أما ابنه عبيد الله بن يحيى ت: ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، فكان عظيم المال والجاه، ورحل إلى المشرق حاجًا وتاجرًا[٤]. كما يروى أن عبدالله بن مسرة[٥] ت: ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م رحل في آخر عمره إلى المشرق بسبب دَيْن لحقه، فوصل إلى مكة وكان له بها جاه عريض[٦].

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٣٠- ١٣١؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق بروفنسال، ص٢٣.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٢٩- ١٣٠؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق بروفنسال، ص ٢٢- ٢٣.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٦٢؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٤٩.

(٤) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٩.

(٥) عبدالله بن مسرة بن نجيح بن مرزوق. من أهل قرطبة. كان مولى لرجل من البربر، وقيل إنه من موالي بني أمية. وكان عبدالله متهمًا بالقدر. توفي في أيام الأمير عبدالله بن محمد، سنة ٢٨٦هـ؛ المصدر نفسه، ج١، ص ٣٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٧٦- ٣٧٧.

ومن العلماء الذين مارسوا التجارة أيضًا؛ قاسم بن عاصم المرادي[(١)]، ت: ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، حيث كان أحد التجار، ورحل إلى بغداد فسمع من علمائها وأخذ عنهم[(٢)].

ويعد انشاء الفنادق عاملاً إيجابيًا من العوامل المؤثرة في التجارة، كما يدل في الوقت نفسه على اهتمام الإمارة الأموية بالتجارة والمشتغلين فيها. وكانت هذه الفنادق تؤدي وظيفتين في آنٍ واحد؛ فهي مأوى للتجار الغرباء إلى جانب وظيفتها في تخزين البضائع التجارية وبيعها[(٣)].

ولقد انتشرت الفنادق في مختلف مدن وقرى الأندلس، ففي قرطبة بلغ عدد الفنادق أيام الناصر لدين الله ألفًا وستمائة فندق[(٤)]. وهو رقم يدل على ما لقرطبة من مكانة وأهمية بين مدن العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

وتوجد الفنادق في طليطلة[(٥)] ووادي الحجارة[(٦)] وكركوية[(٧)] واستجة[(٨)]، كما توجد الفنادق أيضا في قرية ابنش[(٩)] - بالقرب من طليطلة - وبزليانة[(١٠)] وحصن قيشاطة[(١١)] وجزيرة طريف[(١٢)] وقرية عذرة[(١٣)].

---

(١) قاسم بن عاصم بن خيرون بن سعيد المرادي. من أهل بجانة. كان تاجرًا، ودخل بغداد فسمع بها. توفي سنة ٣٠٠هـ؛ ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٦٠٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٦٠٢.

(٣) مجهول المؤلف، **وصف جديد لقرطبة الإسلامية**، ص ١٧٠؛ وانظر: ليوبولدو توريس بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ترجمة علية إبراهيم العناني، مدريد، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، العدد الأول، ص ١١٨.

(٤) **وصف جديد لقرطبة الإسلامية**، ص١٧٠؛ وقد أشار الإدريسي إلى أن قرطبة عبارة عن مدن يتلو بعضها بعضا وفي كل مدينة مايكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات؛ الإدريسي، **المصدر السابق**، ص ٢٠٨. كما أشاد ابن حوقل بكثرة الفنادق في قرطبة؛ ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١٠٧.

(٥) ابن سهل، **المصدر السابق**، ص٤٨.

(٦) ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١١١- ١١٢.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ١١١.

(٨) الحميري، **المصدر السابق**، ص ٥٣.

(٩) ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١١١.

(١٠) الإدريسي، **المصدر السابق**، ص ٢٠٠.

(١١) **المصدر نفسه**، ص ٢٠٣.

(١٢) **المصدر نفسه**، ص ١٧٦.

(١٣) **المصدر نفسه**، ص ١٩٨.

ويبدو أن الفندق كان يسمى باسم الأشياء التي تباع فيه أو باسم صاحبه أو بحسب أي ظرف آخر[١]. ففي قرطبة فندق تباع فيه الخمر، ولذا فقد كان يعرف باسم «فندق الخمر»، إذ أشار ابن سعيد[٢] إلى أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم استفتح عهده بهدم فندق الخمر في قرطبة.

ولكن هناك فترات ركود في التجارة نتيجة لتأثير عوامل سلبية، ومن هذه العوامل السلبية الفتن والثورات وقطع الطرق والكوارث الطبيعية وسوء المعاملات التجارية.

فقد أنهك اضطراب حبل الأمن الداخلي، واندلاع الثورات الاقتصاد الأندلسي في زمانها وفي مكانها خاصة في أواخر عصر الإمارة، وتحديدًا في عهد الأمير عبدالله بن محمد ففي هذه الفترة المظلمة من عصر الإمارة، تزعزعت مكانة الدولة وتجزأت الأندلس إلى عدد من الكيانات المنفصلة الصغيرة، ونتج عن ذلك تفتيت القوة الاقتصادية، فتعرقلت الحركة التجارية، وأصبحت مهمة النقل التجاري شاقة عسيرة بعد فقدان الأمن على الطرقات وانتشار حركة قطع الطرق، كما نقصت موارد الجباية في خزينة الدولة بعد استيلاء الثوار على المدن وامتناعهم عن دفع حصة الدولة المقررة على مناطقهم.

ونستعرض فيما يلي نماذج معينة لبعض الآثار السلبية على التجارة، والناتجة عن الثورات الداخلية.

فنبدأ بثورة البربر في كورة تاكرنّا سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م، فقد جرّد إليهم الأمير هشام بن عبدالرحمن جيشًا كثيفًا تمكن من القضاء على تمردهم،

---

(١) ليو بولدو توريس بلباس، المرجع السابق، ص ١١٨

(٢) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص ٤٥- ٤٦. ويوجد في القيروان خلال هذه الفترة موضوع البحث فندقاً عرف باسم صاحبه ويسمى: «فندق ابن خيرون» وقد نزل فيه أحد علماء الأندلس ذات مرة وهو محمد بن عبيد بن أيوب المعروف بالدباج، ت: ٣١٧هـ. ويمكن أن نستدل من ذلك على وجود فنادق في الأندلس عرفت بأسماء أصحابها. انظر ابن الفرضي، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٨٤.

وتمزيق جموعهم، فكانت النتيجة أن ظلّت هذه المنطقة قفراء خالية لمدة سبع سنوات[١]. وهذا يعني ابتعاد هذه المنطقة عن عملية التبادل التجاري مع مناطق الأندلس الأخرى طوال هذه المدة.

ويتحدث المؤرخون [٢] عن إفلاس الخزينة العامة للدولة في عهد الأمير عبدالله بن محمد وذلك حين تغلب الثوار واستقلوا بما في أيديهم من المناطق، فامتنعوا عن أداء الجباية إلى قرطبة. وكثيرًا مايلجأ الثوار إلى نهب أموال الناس بالقوة، فعندما توجه ابن حفصون إلى جيّان سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، أغرم أهلها أموالاً كثيرة[٣]. ولم تكن العهود والمواثيق الغليظة التي يأخذها الأمير عبدالله على هذا الثائر كافية لردعه وزجره؛ بل يروى أنه نقض عهدًا للأمير عبدالله، فتطاول على الرعية، ونهب أموال الأغنياء وشن الغارات وقطع السبل، فعمَّ أذاه كورة رية والكور المجاورة لها[٤].

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فحسب؛ بل إن الأسواق التجارية نالها نصيب من الأضرار الناتجة عن هذه الحروب والفتن الداخلية، فتعرضت للنهب والدمار في أكثر من مرة باعتبارها هدفًا استراتيجيًا مهمًا في ترجيح كفة فريق ضد فريق آخر. فيروى في هذا الصدد: أن المطرِّف بن الأمير عبدالله بن محمد قد طبق هذا الأسلوب في القتال وذلك سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م، أثناء تأديته لمهمة عسكرية تتعلق بمحاربة الثوار وانتزاع حصونهم ومعاقلهم؛ فقام بهدم إحدى المدن الثائرة ودمَّر حماماتها وحوانيتها [٥]. بل إن بعض أصحاب الحوانيت قد تضرر كثيرًا من الإجراءات التي اتخذها الثوار في مناطقهم، فهذا

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٢٧٢.

(٢) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص ١٣٣؛ ابن خلدون، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص٢٨٨.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٩٣.

(٤) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص٥٠- ٥١.

(٥) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ١٠٩ - ١١٠.

ابن الأصغر[١] يشكو إلى الناصر لدين اللـه من جور إبراهيم بن حجاج، الذي كان مستقلاً في إشبيلية وماحولها، ويسأله أن يردَّ عليه حانوته الذي اغتصبه منه ابن حجاج، وقد بثَّ شكواه في أبيات من الشعر، يقول فيها:

شتـتٌ دمـعـي شـتًـا أي تشـتـيـت بمـا بلحظـك من بـادي التـمـاويـت

ومنها:

وكنـت صاحـب حـانـوت فصيَّـره جـور ابن حجاج في جمّ الحوانيت[٢]

ولم تكن حركة قطع الطرق، والتي كـان يمارسها السواد الأعظم من الثوار كابن حفصون وأبنائه من بعده[٣]، وابن مروان الجليقي وسعدون السرنباقي[٤]، وغيـرهم؛ لم تكن هذه الحـركة لتقتصـر على العبث بالقـوافل التجاريـة ونهب أموال النـاس وتهديـد الأمن على الطرقات وحسب؛ وإنمـا امتدت آثـارها على المـدى البعيـد لتسـاهم في انحطـاط المـدن، ذلك أن الأخطـار التي تهـدد المسالك والمتمثلة في حـركة قطع الطرق بالدرجـة الأولى، قد أرغمت كثيرًا من السالكين على هذه الطرق غير المأمونة إلى هجرها والبحث عن مسالك جديدة تكون أكثر أمنًا، فترتب على ذلك تدهور المدن الواقعة على المسالك القديمة، وهذا هو الذي يبدو لنا في تعليل الخراب الذي حلَّ بمدينة ماردة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن[٥].

---

(١) أبو عبداللـه محمد بن عبدالله، المكفوف القـرشي، مولى لهم. كان مؤدبًا بـالقرآن والشعر والحديث والنحو؛ الزبيدي، طبقات النحويين، ص ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٣.

(٣) ابن الخطيب، المصدر السابق، تحقيق ليفي بروفنسال، ص٣٣.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٤٥.

(٥) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥١.

ومن العوامل السلبية المؤثرة في التجارة، انتشار الغش في المعاملات التجارية، فقد وجد من الناس من يعمل في تزييف النقود، واجتهدت الدولة في مكافحة هذا الغش عن طريق القساطرة[1].

ولم تقف جهود الدولة في مكافحة الغش عند هذا الحد، بل حرصت على بثّ طائفة من الفقهاء داخل الأسواق للفتوى وتذكير الناس بالله وحثهم على نبذ الغش من معاملاتهم التجارية، كما كان يفعل الفقيه محمد بن فضيل الحداد ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م، في سوق قرطبة[2]. هذا بالإضافة إلى المهمات الأساسية التي يمارسها صاحب السوق في هذا الجانب.

ويبدو أن الغش قد ساد المعاملات التجارية مع تدهور الحالة الأمنية في أواخر عصر الإمارة، وكثرة الفتن الداخلية في أنحاء عديدة متفرقة من البلاد، فاختلط الحلال بالحرام، مما جعل الفقهاء يطالبون بترك الأسواق، كما هي الحال مع الفقيه ابن لبابة ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، عندما سمع بالفتنة الموجودة في الأسواق التجارية وكثرة الحرام واختلاطه بالحلال، فأوصى بمقاطعة هذه الأسواق وعدم الشراء منها إذا كان الغالب فيها الحرام[3]. وقد أدى هذا إلى إضعاف جانب الطلب[4].

---

(١) الزبيدي، لحن العامة، ص٨٢- ٨٣. والقساطرة، مفردها: قِسطار، وهو الذي ينقد الدراهم ويميز الجيد من المزيف منها. المصدر نفسه، ص ٨٢- ٨٣.
ويبدو أن التزييف كان منتشرًا على نطاق واسع منذ اندلاع الثورات الداخلية أواخر عصر الإمارة، فقد جاء في بعض الدراسات الحديثة أن الأمير محمد بن عبدالرحمن اضطر إلى تزييف مائة ألف دينار من النحاس تحت ضغط قلة الموارد المالية العامة للدولة في أيامه نتيجة لخروج ثلاثة أرباع رعاياه عليه وحاجته الماسة إلى المال والإنفاق. انظر: عبدالحميد الشرقاوي، **الحياة الاقتصادية في الأندلس في القرن الرابع الهجري**، ص ١٣٦.

(٢) القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج٤، ص٤١٨- ٤١٩.

(٣) الونشريسي، **المصدر السابق**، ج٦، ص ١٨٧.

(٤) إبراهيم القادري بوتشيش، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، **مجلة المناهل**، العدد الثاني والثلاثون، السنة الثانية عشر، الرباط، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٣٥.

بل إن بعض العلماء كان يمتنع عن تناول بعض الأطعمة التي يشتبه في أمرها، فيروى أن عبدالأعلى الخولاني المري[(١)]، عندما رحل إلى مدينة بجانة، أيام الفتنة، كان يقول عن نفسه أنه: "ماشبع خبزًا منذ دخلها، لاختلاط الأموال بالنهب"[(٢)].

ويظهر أن التعامل بالربا كان سائدًا لدى فئة من التجار، ويتضح لنا هذا من خلال إحدى الأسئلة الموجهة إلى الفقيه ابن لبابة، فقد سئل عن حكم متاجرة أهل الغصب والربا ومن لايتورع، بالدنانير والدراهم[(٣)].

ثانيًا - التجارة الداخلية:

أ - الأسواق التجارية:

كانت التجارة تتركز في الأسواق شأنها شأن الصناعة[(٤)]، وكانت كل طائفة من التجار يجلسون معًا في قسم واحد؛ ولهذا فإن السوق الرئيسية في كل مدينة كانت تتألف من عدد من الأسواق المختلفة حسب الاختلاف المهني فيما بينها.

ولقد امتازت قرطبة بكثرة أسواقها[(٥)]؛ ونقرأ في بعض مصادرنا أسماءً لبعض الأسواق المتنوعة في هذه المدينة، مثل: سوق الحديد[(٦)] وسوق

(١) أبو المعلى عبد الأعلى بن معلى الخولاني المري. أخذ عن ابن حبيب وابن مزين والمغامي وتميم بن أيوب. كان زاهدًا فاضلاً، وكان من أضبط أهل زمانه وهو أعلى الطبقة الثانية من رجال عبدالملك ومن أزهدهم وأورعهم وأرضاهم عند الخاصة والعامة؛ القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج ٥، ص٢٢٥.

(٢) **المصدر نفسه**، ج ٥، ص ٢٢٥.

(٣) الونشريسي، **المصدر السابق**، ج ٦، ص ١٨١.

(٤) فقد وصفت سوق طرطوشة بأنها جامعة لكل صناعة ومتجر. انظر الحميري، **المصدر السابق**، ص٣٩١.

(٥) المقدسي، **المصدر السابق**، ص ٢٣٣؛ وصف جديد لقرطبة الاسلامية، ص ١٦٦؛ المقري، **المصدر السابق**، ج١، ص ٤٥٨.

(٦) القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج٤، ص ٤١٨- ٤١٩.

الخشابين[١]. وتشير المصادر التي بين أيدينا[٢] إلى وجود سوق للدواب في قرطبة، وربما كان الأمر كذلك في سائر المدن. ففي إشبيلية سوق للدواب، ويتضح ذلك من الخطاب الذي كتبه الناصر لدين الله إلى أحد قادته العسكريين ينتقصه ويغض من قدره، إذ قال فيه:

« . . . وأنت يومئذ نخّاس الحمير بإشبيلية»[٣].

ومما جاء في الأمثال الأندلسية: "أخرج لسوق الدواب، تتعلم الجواب"[٤].

وتباع في هذه الأسواق أصناف الماشية المختلفة من أغنام وأبقار وإبل وخيول وحمير وبغال وغيرها. وكانت عملية البيع والشراء لاتتم في الغالب إلا بعد إجراء الفحص اللازم للدابة بواسطة؛ البيطار[٥]، للتأكد من سلامتها. كما كان يتواجد في هذه السوق تجار الدواب بصفة يومية تقريبًا وكان من بين مهامهم النظر في المشكلات التي تنشأ بين الباعة والمشترين. وقد روي أن رجلاً دخل على الناصر لدين الله في مجلسه فذكر أنه اشترى حمارًا فوجد فيه عيبًا فأخبر القاضي بذلك لكن القاضي استطلع آراء تجار الدواب وأهل السوق فقرروا بأن هذا العيب جديدًا ولم يكن موجودًا في الحمار قبل أن يشتريه الرجل، فألزموه به. فغضب الناصر لدين الله وقال: «تجاوزت القاضي وأهل السوق إلى الخليفة في هذه المسألة الوضيعة». ثم أمر به فضرب ونودي عليه بذلك مجرّسًا[٦].

---

(١) ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج ٢، ص ٥٧.

(٢) ابن سلمون الكناني، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٢٢٣؛ المقري، **المصدر السابق**، ج ٢، ص١٦٢.

(٣) **أخبار مجموعة**، ص ١٣٨.

(٤) الزجالي، **المصدر السابق**، رقم المثل ٤٥٨، ص ١٠٣.

(٥) الزجالي، **المصدر السابق**، ص ٤٢٧، انظر تعليق المحقق في حاشية المثل رقم ١٨٥٩، والمثل هو: «سومين للفرس، إذا جرى وإذا وقف». وأورد الزجالي مثلاً آخر يشير إلى هذا الموضوع: «استغن حمار الوحش عن البيطار»، انظر: **المصدر نفسه**، ص ٥٢.

(٦) ابن سعيد، **المصدر السابق**، ج١، ص ١٨٥.

ويظن أحد المؤرخين المحدثين أن سوق الدواب في قرطبة كان يقع خارج الأسوار[١]. وربما كان ذلك صحيحًا، فقد يكون القصد من هذا هو الحرص على نظافة المدينة[٢]، والتخلص من الروائح الكريهة الصادرة عن الماشية، ويؤيد ذلك ما أشرنا إليه سابقًا حول وصايا رجال الحسبة بضرورة إبعاد الدباغين عن المناطق السكنية لأن عملهم في منتجات كريهة الرائحة تؤذي الناس[٣].

أما أسواق النخاسة فقد انتشرت في عدد من مدن الأندلس، إذ كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بتجارة الرقيق التي ازدهرت في الأندلس بشكل واضح خلال هذه الفترة، فقد تبوأت الأندلس مكان الصدارة بين أقطار العالم الإسلامي في الاتِّجار بالرقيق[٤]، واستلزم ذلك وجود عدد من أسواق النخاسة يعرض فيها الرقيق من الغلمان والجواري الذين جلبوا بواسطة الحملات العسكرية الأموية الموجهة ضد الدويلات النصرانية في شمال الأندلس أو بواسطة القوافل التجارية التي كانت تجلبهم من أنحاء متفرقة من أوربا. ويفهم من نازلة أوردها ابن سهل[٥]؛ أنه توجد سوق للنخاسة في مدينة طليطلة. وكان موضوع تلك النازلة أن تاجرًا يهوديًا اشترى غلامًا من تاجر يهودي آخر في طليطلة، غير أن الغلام لم يعترف بذلك وزعم بأنه حرٌّ وأنه يكره على اعتناق اليهودية. وقد عرضت هذه القضية على الفقيه ابن لبابة ومعه عدد من الفقهاء في عصر الإمارة.

(١) السيد عبدالعزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج١، ص ١٨٢.

(٢) ولهذا نجد ابن حوقل يثني على نظافة الأسواق في قرطبة وفسحتها، ويقرر بأنه لم يشاهد لها مثيلاً في معظم الأقطار الإسلامية التي زارها؛ ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١٠٧.

(٣) ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، ج٢، ص ٢٥٥؛ ابن سلمون الكناني، **المصدر السابق**، ج٢، ص٨٧.

(٤) ابن خرذابة، أبوالقاسم عبيد الله بن أحمد، **المسالك والممالك**، (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.)، ص ١٥٣؛ ابن الفقيه الهمداني، **المصدر السابق**، ص ٨٣-٨٤؛ الأصطخري، **المصدر السابق**، ص٣٧؛ ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١٠٥-١٠٦.

(٥) ابن سهل، **المصدر السابق**، ص ٥١.

ويبدو أن مدينة ماردة كانت تحتضن سوقًا للنخاسة. فقد روي أن تاجرًا يهوديًا تخاصم مع الأمير محمد بن عبدالرحمن، الذي كان واليًا على ماردة في عهد والده، بسبب جارية لليهودي رغب الأمير في شرائها، لكن اليهودي غالى في ثمنها(١).

وإذا كانت أسواق النخاسة موجودة في طليطلة وماردة؛ فإن من المرجح أيضًا أن تكون موجودة في المدن الكبرى كقرطبة وإشبيلية وسواهما، وكثيراً ماكان الفقيه ابن لبابة يفتي في قضايا تمتّ إلى تجارة الرقيق بصلة وطيدة(٢)، ومن المحتمل أن هذه القضايا قد صدرت عن سوق النخاسة بقرطبة، إذ كان الفقيه ابن لبابة مقيم بقرطبة وتوفي بها كما مرَّ بنا. بل إن سعيد بن جودي، زعيم العرب في إلبيرة، كان كثيرًا مايرتاد سوق النخاسة في قرطبة للبحث عن الجواري الحسناوات، وكان يغالي في أثمانهن(٣).

لقد كان يشترط خلال عملية بيع وشراء الرقيق، وجود عدد من الأطباء لإجراء الفحص اللازم على الرقيق والتحقق من مدى سلامتهم وقابليتهم للخدمة(٤). كما يشترط أيضًا أن تكتب عهدة أو وثيقة تثبت سلامة البيع والشراء وتؤكد على صحة ملكية المشتري للغلام أو الجارية(٥).

ويبدو أن الأسواق التجارية كانت تحتل موقعًا مجاورًا للمسجد الجامع في المدينة الأندلسية، وربما كان ذلك هو الموقع المثالي الذي ينبغي أن تكون فيه السوق، حيث يجتمع الناس. ونستطيع أن نتبيَّن هذا الأمر من خلال توجيهات الفقيه ابن لبابة ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، فيما يتعلق بنظافة المساجد

---

(١) النباهي، **المصدر السابق**، ص ٥٦- ٥٧.

(٢) ابن سهل، **المصدر السابق**، ص ٤٧- ٥١. ففي قصة التاجر اليهودي مع الغلام الآنفة الذكر؛ مايشير إلى أن المتخاصمين انتقلوا إلى قرطبة وربما اتصلوا بسوق النخاسة فيها. وانظر كذلك: ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، ج٢، ص ٧٢- ٧٣.

(٣) ابن حيان، **المصدر السابق**، القسم الثالث، ص ١٢٤.

(٤) ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، ج٢، ص ٧٢- ٧٣.

(٥) ابن سهل، **المصدر السابق**، ص ٤٨.

وضرورة المحافظة عليها مما يقوم به الناس من جلب الحطب والبقول وما إليها ووضعها في حوانيت ملاصقة للمسجد، فيصيبه الوسخ بسبب ذلك[١]. وفي غرناطة، كانت الحوانيت تحفُّ بالمسجد الجامع[٢].

كما يلاحظ أن معظم الأسواق في المدينة الأندلسية تقع في ربض المدينة. فأسواق قرطبة تقع في الربض[٣]، كما يقع سوق طرطوشة في ربضها القبلي[٤]، ولمالقة أسواق كثيرة بعضها يقع في الربض وبعضها الآخر يقع داخل المدينة[٥]، أما السوق الرئيسي لمدينة لورقة فهو في الربض[٦].

ومما يلفت النظر في نظام الأسواق في الأندلس، هو أن كثيرًا من مدنها قد دأبت على إقامة سوق حافلة لها في يوم محدد من أيام الأسبوع[٧]، يتنقل التجار في المنطقة الواحدة من سوق إلى آخر مروجين لبضائعهم مما أنعش حركة التجارة الداخلية. فقد كان لمدينة قبرة سوق جامعة يوم الخميس[٨]، ولمدينة قرمونة أيضًا سوق جامعة يوم الخميس[٩]، أما شوذر فلها سوق حافلة يوم الثلاثاء[١٠].

ويشير بعض الباحثين[١١]، في هذا الصدد، إلى أن الأسواق في الأندلس تنقسم إلى أربعة أنواع، وهي:

---

(١) الونشريسي، المصدر السابق، ج٧، ص ٤٨٢. وكذلك: ج٨، ص ٤٤٣.
(٢) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١٠٦.
(٣) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٣؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٨.
(٤) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٥١٧-٥١٨.
(٦) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٦.
(٧) والأسواق الأسبوعية ظاهرة عامة في العصور الوسطى، انظر: حسين عمر، موسوعة المصطلحات الاقتصادية، ط٣، (جدة: دار الشروق، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ٢٦٦.
(٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٥٣.
(٩) المصدر نفسه، ص ٤٦١.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٥١.
(١١) محمد محمد التهامي المليجي، المرجع السابق، ص ١٢٥.

الأسواق المحلية؛ وتقام داخل المدن وتتميز باستمرار النشاط التجاري فيها بصفة يومية ودائمة. أما الأسواق الأسبوعية فتقام في يوم محدد من كل أسبوع. وأما الأسواق الموسمية فإنها تعقد في مناسبات ومواسم مختلفة على مدار السنة. ثم تأتي بعد ذلك الأسواق السنوية؛ وتعقد في وقت معين في كل سنة.

وتشكل الرسوم التي تفرضها الدولة على المبيعات في السوق، موردًا ماليًا هامًا من موارد الخزينة العامة للدولة، فقد دخل إلى خزينة الدولة في عهد الناصر لدين الله من السوق، سبعمائة وخمسة وستون ألف دينار[(١)]. وهو مبلغ كبير، يدلُّ على نشاط حركة البيع والشراء في الأسواق.

وكما أشرنا فيما مضى؛ فإن الأسواق التجارية كان لها شأن في المهمات العسكرية، فهي سلاح خطير ذو قيمة إستراتيجية في تحقيق النصر على الخصوم، ويروى في هذا الصدد أن الأمير المنذر بن محمد عندما تقدم بجيوشه لحصار عمر بن حفصون؛ أمر بأن تحمل إليه البضائع من سوق قرطبة، وعلى هذا فإنه أقام سوقًا في مواقعه العسكرية[(٢)]. وانتهج الناصر لدين الله هذه السياسة في عملياته الرامية إلى فتح ببشتر، إذ أمر ببناء حصن، إلى جانب قلعة ببشتر، في موضع يقال له طلجيرة، وعندما فرغ من بنائه، أسكنه الرجال، وجلب إليه الميرة، وبنى فيه الأسواق، وتمكن بعد ذلك من تضييق الخناق على ببشتر حتى افتتحها[(٣)].

وتعد القيساريات من المؤسسات التجارية التي تدل على ازدهار الحركة التجارية ونشاطها. فالقيسارية عبارة عن بناء كبير على شكل مستطيل بداخله

---

(١) الذهبي، **المصدر السابق**، ج ٨، ص ٢٦٦؛ المقري، **المصدر السابق**، ج١، ص٢١١.
(٢) ابن عبد ربه، **المصدر السابق**، المجلد الثالث، ج ٥، ص ٢٢٢.
(٣) ابن حيان، **المصدر السابق**، ج ٥، ص ٢١١.

طـريق تتوزع فيـه الحوانيت على كـلا الصفين[1]. ولقد اهتم الأمويـون بإنشاء القيساريـات خاصة في المدن ذات الأهميـة التجارية. فقد وصفت قـرطبة في العهد الأموي بكثرة القيساريات فيها الممتدة على طول ضفة الوادي الكبير جنبًا إلى جنب مع الأسواق والحمامـات والخانات[2]. كما يـروى أن الناصـر لدين الله عندمـا بنى مدينة المريـة؛ وضع فيها دارًا للصناعة، وتتكـون هذه الدار من قسمين؛ فقسم فيـه المـراكب الحـربيـة والآلات والعـدة، والقسم الآخـر فيـه القيساريـة وتضم عددًا من الحـوانيت المختلفة حسب الاختـلاف المهني فيما بينها[3].

ب - الطرق الداخلية:

تمثل الطرق الداخلية شـريانًا حيويًا هامًـا لايستغنى عنه في جميع شؤون الحياة. وفي الأندلس تكتسب الطرق الداخلية بعدًا آخر من الأهمية نظرًا لقسوة التضاريـس ومافيها مـن وعورة في المسـالك وكثرة في المجـاري المائيـة، مما استلزم إنشاء عدد من القناطر لتسهيل مهمات النقل في أماكن كثيرة. ولهذا فقد حـرصت الإمارة الأمـويـة على إنشـاء الطرق والمحـافظـة عليهـا، فمن المآثـر الحميدة التي قام بها الأمير هشام بن عبدالـرحمن أنه جدَّد بناء قنطرة قرطبة[4]. كمـا أن بناء الطـرق كـان من ضمن المنجـزات الحضاريـة التي تمت في عهـد الأمير عبدالرحمن بن الحكم[5].

وعلى الرغم من ذلك، فإن مشكلات الطرق الداخلية في الأندلس كانت أكبر من أي مجهـود تبذلـه الدولة في هـذا السبيل، ذلك أن الطبيعة الجغـرافية

---

(١) كلمة (قيساريـة) تعريب للكلمة اليونانيـة اللاتينية Kaisareie وتعني السوق القيصـري التابع للـدولة. انظـر: السيد عبـدالعـزيز سـالم، في تـاريخ وحضـارة الإسـلام في الأنـدلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م)، ص ٢١٨.

(٢) وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٦٦.

(٣) العذري، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٤) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٢.

الصعبة التي تميزت بها أرض الأندلس كانت تجعل من مهمة إنشاء طريق بري واضح المعالم، تتوفر فيه وسائل الأمن كالآبار والاستراحات، أمرًا بالغ المشقة.

ولهذا فليس بالغريب أن نرى الحملات العسكرية والقوافل التجارية وهي تستعين بأدلاّء مهرة، خَبَروا الطرق ومسالكها الوعرة. فعندما أرسل الأمير هشام بن عبدالرحمن حملة عسكرية إلى جليقية، كان يصحب الحملة دليل، لكنه لم يكن حاذقًا في أداء عمله، فيما يبدو، فما إن قفل الجيش حتى ضل الدليل بهم، فنالهم مشقة شديدة ومات منهم خلق كثير وهلكت دوابهم(١).

ويروي ابن حيان(٢) في حوادث سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، أن ملك جليقية عندما شرع في المضي لغزو مدينة ماردة؛ أخرج معه الأدلاّء من أبناء ملته، وممن نزع إليه من المسلمين(٣).

ومما زاد من المصاعب التي تواجه المسافرين؛ عدم توفر الماء في الطرق، خاصة في أوقات القحط، إذ يروى أن جيشًا أرسله الأمير عبدالله بن محمد لإخماد بعض المناطق الثائرة قد تعرض لهذه المشكلة التي كادت أن تتحول إلى كارثة، فبعد أن غادر الجيش مدينة مرسية أخذ طريقه إلى منطقة يقال لها، عين شيطان، ومنها انتقل إلى حصن اليط، فعدم الماء أثناء الطريق، ومات من العطش عدد من الجنود وهلكت دواب كثيرة(٤).

ولقد انعكست طبيعة بلاد الأندلس الجبلية على الطرق الداخلية فيها، فهاهم أهالي قرمونة يعانون معاناة مريرة من الطريق الذي يصلهم بقرطبة، إذ

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٩.
(٢) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٠- ١٢٢.
(٣) ولعل مما يشير إلى صعوبة الطرق الداخلية وأهمية الحاجة إلى الدليل فيها، ماذكره ابن حيان عن زعيم المولدين سعدون السرنباقي من أنه: "كان بفلوات أرضه دليلاً ماهرًا داهيًا". ولعله استفاد من ذلك في إعلان الثورة ضد الإمارة الأموية: انظر: المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٢٣.
(٤) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ١١٧.

كـان طريقًـا وعرًا وممتنعًـا، فاجتهـدوا في البحث عن طريق آخـر، بدلاً عنـه، يصلهم بقرطبة، ونجحوا في ذلك[١].

أما الطريق إلى قلعة ببشتر، فكان صعبًا للغاية[٢]. وربما كان ذلك سببًا في إطالة أمد الثورة التي أشعلها ابن حفصون في هذه المنطقة. ويروى أن الأمير عبدالله بن محمد عنـدما قفل بجيشه إلى قرطبة بعد فشلـه في حصار ببشتر في إحدى غزواته لها؛ واجه في طريقه صعوبات جمَّة، إذ كان عليه أن يجتاز عددًا من المضائق الموجودة في الطريق، وهذه المضائق لايمكن أن يسلكها أكثر من ثلاثة. وقد تشجع ابن حفصـون في قطع الطريق على جيش الإمارة مستفيدًا من هذا العامل الجغرافي[٣].

وتساهم الأنهار والمجاري المائية المنتشرة في مختلف أنحاء الأندلس، بنصيب معلوم في إعاقة حركة السير على هذه الطرق[٤]، ويبدو أن التجار على الأخص، قـد عـانـوا كثيرًا مـن فقدان أمتعتهم وبضـائعهم أثنـاء عبـورهم هـذه الأنهار، ونستشف ذلك من خـلال الأسئلة التي عُرضت على الفقيه ابن لبـابة، وهي تشير إلى مثل هذه الأمور[٥]. ومن خلال هذه الأسئلـة أيضًا يتضح لنا أن التجار كانوا يضطرون إلى تخفيف الأمتعة عن دوابهم إذا وجدوا في طريقهم نهرًا وكان لزامًا عليهم أن يعبروه[٦]. غير أن إنشاء القناطر فوق الأنهار قد ساهم كثيرًا في الحدِّ من هذه المشكلات التي تواجه المسافرين على الطرق.

---

(١) الحميري، المصدر السابق، ص ٤٦١.

(٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٩٩.

(٤) ومن ذلك مايذكره ابن حيان من أن زعيم المولدين عبدالرحمن بن مروان الجليقي عندما خرج غازيًا إلى أشكونبـة وباجة سنة ٢٦٣هـ، ظل مقيمًا في هذه الجهـات لمدة أربعين يومًا ولم يستطع أن يـرجع إلى موضعـه في جبل أمايـة، إذ أعاقتـه الأمطار ومدود الأنهـار عن تعجيل القفول إلى بلده؛ المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٨٠.

(٥) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

ويمكن أن نميِّز بين نـوعين من هذه القناطـر. فهناك القناطر الثـابتة على دعائم وعقود، ومن الأمثلة على هذا النوع؛ قنطـرة قرطبة على الوادي الكبير فقد صنعت من الحجارة[١]، وقنطرة طليطلـة التي وصفها الحميري[٢] بقوله: «.. وهي قـوس واحدة والمـاء يـدخل تحتها بعنف وشـدة جـري». وكذلك قنطـرة السيف[٣] وقنطرة سـرقسطة[٤] وقنطـرة مـاردة التي يبلغ طـولهـا ميل واحـد[٥]، وقنطرة لبلة[٦] وقنطرة أستجة[٧].

أمـا النوع الثـاني من القنـاطر فهي تلـك القائمـة على المـراكب، وهي قناطـر متحركة تنتقل من موضع لآخر ومثال ذلك قنطرة مرسية[٨] وقنطرة أوريولة[٩].

ونظرًا لما تمثله هذه القناطر من مكانـة حيوية كبيرة بالنسبة للمدن؛ فإنها كانـت هدفًـا إستراتيجيًـا للعمليات العسكريـة، فقد استعـان الأمير محمـد بن عبـدالرحمن بعـرفـاء البنائين في هـدم قنطـرة طليطلة حتى يقضي على الثـورة فيها[١٠]. وعندمـا خرج الأمير محمد بن عبـدالرحمن لحصار ماردة وكـان فيها ابن مروان الجليقـي وأصحابه، بـدأ بقنطرة المـدينة فسيطـر عليها وأمـر بإفساد أرجلها، فكـان ذلك سببًا لإذعـان أهلها[١١]. وعندمـا افتتح الناصر لـدين الله مدينة أستجة سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م؛ قام بهدم سورها وقنطرة نهرها[١٢].

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٠.
(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩٣- ٣٩٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧٣.
(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٦.
(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ٥١٩.
(٦) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٧٨.
(٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٩٤؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٥٣٩- ٥٤٠.
(٩) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٩٣.
(١٠) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٦.
(١١) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٢٢.
(١٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٣.

ولعل أخطر مايواجه المسافرين من مشكلات على الطرق الداخلية؛ هو انتشار اللصوص وقطاع الطرق، وتهديدهم لحياة الناس وممتلكاتهم. ولقد تضاعف خطرهم مع اضطراب صمام الأمن في الأندلس أواخر عصر الإمارة، واندلاع الثورات في أماكن متفرقة من الأندلس، وغالبًا ماكان الثوار هم من يقوم بمثل هذه الأعمال التخريبية أو يشجعون عليها، ولهذا فإن أمراء بني أمية قد طبقوا سياسة حجز الرهائن من الثوار أو المناطق المشبعة بروح الثورة، وذلك لضمان استتباب الأمن في المدن والطرقات على السواء[١].

ومع هذا، فقد مضى الثوار على طريقتهم في ممارسة الأعمال التخريبية في كل مكان، ففي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن اشتدت خطورة الثائرين؛ ابن مروان الجليقي وسعدون السرنباقي، وقاما بنهب أموال الناس وقطعا السبل[٢]. وكذلك كان يفعل ابن حفصون في عهد الأمير عبدالله بن محمد[٣]، إذ يروى أن عبدالرحمن بن سعيد[٤]، عبر إلى الأندلس بقصد الجهاد، لكن ابن حفصون قطع عليه الطريق، فقتل من كان معه ونجى عبدالرحمن على فرسه[٥].

ولقد وجد السرّاق في ضعف الدولة خلال حكم الأمير عبدالله بن محمد وعدم قدرتها على ضبط الأمن داخل المدن فضلاً عن الطرق؛ وجدوا في ذلك فرصة ثمينة للسلب والنهب، فيذكر ابن حيان[٦] أن رجلاً يقال له،

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٩٧، ١٠٠، ١١١، ١٣٩.
(٢) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٤٤- ٣٤٥.
(٣) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٥٠- ٥١.
(٤) عبدالرحمن بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري. أسس والده سعيد بن إدريس مدينة نكور وبناها وتولى أمرها ومقاليد الحكم فيها. وكان عبدالرحمن فقيهًا بمذهب مالك وحج أربعًا. انظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ٩٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ٩٢.
(٦) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٧٠.

الطماشكة[1]، كان يقطع الطريق مابين إشبيلية وقرطبة. ولابدّ أن هذا الرجل كان يتزعم عصابة من المجرمين لهذا الغرض، وقد تأذى الساكنون في هذه الجهات من أعمال هذا اللصِّ، فكوّنوا فرقة متطوعة لحماية الطريق ومنع الطماشكة من مواصلة السطو على أموال الناس وممتلكاتهم، وذلك حين شعروا بعجز الإمارة الأموية عن توفير وسائل الأمن على هذا الطريق التجاري الهام، والذي لاتتجاوز مسافته الثمانين ميلاً، فاستأذنوا الأمير عبدالله في بناء حصن على هذا الطريق ليكون مقرًا لهم، فأذن لهم في ذلك.

والحق، أن حكومة الأمير عبدالله بن محمد قد بذلت أقصى ماتستطيعه من جهود في سبيل حفظ الأمن ومعاقبة المجرمين وقطاع الطرق، إذ يذكر ابن حيان[2] في حوادث سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م، أن الأمير عبدالله جهّز حملة عسكرية بقيادة ابنه المطرِّف إلى إشبيلية والمناطق المحيطة حولها، واستطاع المطرف أن يقبض على عدد من اللصوص الذين كانوا يقطعون الطريق بجانب الشرف فقتلهم.

ولم تقف جهود الإمارة الأموية عند هذا الحدِّ من إرسال الحملات العسكرية لتأديب العصاة؛ بل عرفت الأندلس خلال هذه الفترة سياسة حجز الرهائن كضمانة تؤخذ من الثوار حتى يستتب الأمن في المدن وفي الطرق على السواء. وكثيرًا ما أشار ابن حيان[3] إلى أن الأمير عبدالله كان يأخذ عددًا من رهائن الأقاليم الخارجة على نفوذه، وفي بعض الأحيان كان يقتل الرهائن عندما ينكث الثوار بوعودهم التي قطعوها على أنفسهم. وبعد أن تولى الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد مقاليد الحكم في بلاده، أحسَّ بخطورة هذه المشكلة؛ مشكلة الأمن في الطرقات، ودورها في خنق الاقتصاد، فكانت

(١) وهو رجل من البربر من أهالي مدينة قرمونة؛ ابن حيان، **المصدر السابق**، القسم الثالث، ص ٧٠.

(٢) **المصدر نفسه**، القسم الثالث، ص ١١٤.

(٣) **المصدر نفسه**، القسم الثالث، انظر مثلاً: ص ٩٧، ١٠٠، ١١١، ١٣٩.

عملياته العسكرية موجهة بالدرجة الأولى نحو محاربة الثوار والقضاء على قطاع الطرق في بلاده، وحقق نجاحًا كبيرًا في هذا المجال، فكان يفخر بذلك ويحرص على تدوينه في الكتاب الذي أرسله إلى عمَّاله في مختلف مدن الأندلس، يخبرهم فيه بهدم قلعة ببشتر سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، ويطلب من كل واحد منهم أن يقرأ هذا الكتاب على الناس في المسجد الجامع. ومما جاء فيه: " . . . وليحمدوا الله تعالى على عظيم نعمته عندهم وإحسانه إليهم من قمع عدوهم ونصر حقهم وشعب عصاهم وتأمين سبلهم وصلاح أحوالهم وانفتاح طرقهم "(١).

وتطالعنا مصادرنا بأسماء بعض الطرق الداخلية التي تصل قرطبة بغيرها من مدن الأندلس، كما تصل هذه المدن بعضها ببعض.

ويستفاد من هذه المعلومات التي تقدمها لنا المصادر في تكوين صورة واضحة عن شبكة الطرق الداخلية واتجاهاتها.

فقد ارتبطت قرطبة مع إشبيلية بثلاث طرق، اثنان منها برّية والثالث طريق نهري، فمن هذه الطرق البرية؛ طريق الزنبجار، ويمتد من إشبيلية إلى قرمونة إلى استجة إلى قرطبة(٢). ومنها طريق لورة، ويبدأ من إشبيلية إلى منزل أبان ثم إلى مرلش ومنها إلى حصن القليعة ومنه إلى الفيران ثم إلى حصن لورة، ومن لورة إلى قرية صدف إلى قلعة ملبال إلى فرنجولش إلى قرية شوشبيل إلى حصن مراد ومنه إلى الخنادق إلى حصن المدوّر ثم إلى السواني ثم إلى قرطبة، وتبلغ مسافة هذا الطريق ثمانين ميلاً(٣).

وترتبط المدينتان، قرطبة وإشبيلية، بطريق ثالث عبر نهر الوادي الكبير، ويبدأ من إشبيلية إلى أرحاء الذرادة إلى منزل أبان إلى قطنيانة إلى القليعة إلى

---

(١) ابن حيان المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣٧؛ انظر وثيقة رقم (٢).
(٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٦- ٢٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٦- ٢٠٧.

لورة إلى حصن الجرف إلى شوشبيل إلى نهر ملبال إلى حصن المدوَّر إلى وادي الرمان إلى أرحاء ناصح ثم إلى قرطبة[١].

ويبيِّن الإدريسي[٢] أن القادم من إشبيلية إلى قرطبة عبر هذا الطريق النهري، يسير صاعدًا في النهر حتى يصل أرحاء الذرادة، فهذا النهر يصبّ نحو إشبيلية، وعليه فإن حركة السفن والقوارب القادمة من قرطبة إلى إشبيلية تكون ميسورة جدًا لإنها تنحدر في مسيرها، أما إن كانت في الاتجاه المعاكس، من إشبيلية إلى قرطبة، فإنها تسير في اتجاه متصاعد، وبالتالي فهي تواجه صعوبة بالغة في قطع الطريق.

ولقد استفادت قرطبة من هذه الميزة في هذا الطريق النهري، فلم يمسَّها أذًى من النورمان الذين غزوا سواحل الأندلس الغربية سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م وأرادوا المسير نحو قرطبة، فلم يتهيأ لهم ذلك، لأن التيار فيما يلي قرطبة عنيف لايصعد فيه بسهولة[٣].

ومن أهم الطرق البرية في الأندلس؛ طريق المحجة[٤] العظمى، ويصل هذا الطريق مابين قرطبة وبلنسية[٥]. ويبدو أنه يمتد من بلنسية إلى أقصى الشمال الشرقي حيث ينتهي في أربونة[٦]. وقد أشار أحد المؤرخين المحدثين[٧] إلى أن طريق المحجة العظمى أو السكة العظمى هو ذلك الطريق

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٧- ٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٧- ٢٠٨.
(٣) حسين مؤنس، غارات النورمانيين على الأندلس، ص ٣٤.
(٤) يسمى كل طريق يكثر الاختلاف عليه محجَّة لأن موضع المباني والمرور من الأشياء محجوج. انظر: الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ص٣٣٥.
(٥) العذري، المصدر السابق، ص ١٠.
(٦) الحميري، المصدر السابق، ص ١٢٤؛ حيث ذكر الحميري أن مدينة بيارة تقع على طريق المحجة العظمى مابين قرطبة وأربونة.
(٧) السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٣٠٢.

الروماني المرصوف الذي يبدأ من قادس ويمر بقرطبة وإشبيلية وسرقسطة وطـرّكونة وينتهي بأربونة .

أما الطريق من قرطبة إلى طليطلة ، فهو يبدأ من قرطبة شمالاً إلى عقبة أرلش ومنها إلى دار البقر ثم إلى بطروش إلى حصن غافق إلى جبل عافور ثم إلى قلعة رباح ومنها إلى طليطلة(١).

وتتصل قرطبة بمدينة بطليوس من خلال طريق بري يبدأ من قرطبة إلى دار البقر إلى حصن بنيدر إلى زواغة إلى نهر إثنة ومنه إلى حصن الحنش ثم إلى ماردة ومنها إلى بطليوس(٢).

ويعرف الطريق الذي يصل مابين إشبيلية ولبلة باسم طريق الرفاق والمحلات ، ويبدأ من إشبيلية ويمر بطلياطة ثم ينتهي في لبلة . ولاتتجاوز مسافته الأربعين ميلاً(٣).

أما الطرق النهرية في الأندلس فكان لها شأن في حركة النقل الداخلي ، وبلغ عدد هذه الأنهار حسبما يقول المقري(٤)، أربعين نهرًا. واستفاد الأندلسيون من الطرق النهرية في نقل بعض المواد التي يصعب حملها على ظهور الدواب في الطرق البرية ، كالأخشاب مثلاً ، إذ يروى أن الناصر لدين الله طلب من عامله على كورة جيان أن يقطع له الخشب ويحمله إليه عن طريق النهر وقت مدّه(٥).

ولم تكن الطرق النهرية مأمونة العواقب ، فقد كان الغرق يتهدد البضائع التجارية المنقولة بواسطة هذه الأنهار، وبلغ من ازدياد حجم هذه المشكلة أنها وردت في إحدى النوازل الفقهية التي أفتى فيها الفقيه ابن لبابة(٦).

(١) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ .
(٣) العذري ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٤) المقري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢٦ .
(٥) ابن حيان ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٧٦ .
(٦) الونشريسي ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٨ .

ويصل مابين الجزيرة الخضراء وإشبيلية طريقان؛ أحدهما طريق نهري والآخر بري. فأما الطريق النهري فهو يبدأ من الجزيرة الخضراء إلى الرمال ثم إلى نهر برباط ومنه إلى نهر بكة ثم إلى شنت بيطر إلى القناطر ومنها إلى رابطة روطة ثم إلى المساجد إلى مرسى طربشانة إلى العطوف إلى قبتور إلى قبطال ثم إلى جزيرة ينشتالة ثم إلى حصن الزاهر ومنه إلى إشبيلية، ومسافة هذا الطريق ستون ميلاً تقريبًا[1].

وتتصل مدينة بطليوس بمدينة ماردة عن طريق نهر واديانه، وتبلغ المسافة بينهما ثلاثين ميلاً [2]. كما تتصل مدينة لشبونة بمدينة شنترين بواسطة طريق نهري تبلغ مسافته ثمانين ميلاً [3].

لقد كانت الطرق الداخلية تشكل عاملاً مهماً في حركة النقل التجاري وتحديد حجم السلع المتبادلة بين المدن الأندلسية، مما يجعلنا نقول، دون تردد، بأن العلاقة وثيقة بين حجم السلع المتبادلة وبين الحالة العامة للطرق الداخلية، سواء أكان ذلك من الناحية الأمنية أو الجغرافية.

جـ - السلع المتبادلة:

كان لتباين الخصائص الجغرافية بين مختلف مناطق الأندلس أثرٌ في تنوع الإنتاج الزراعي والصناعي بين كل من هذه المناطق. وكان من المنتظر، نتيجة لذلك، أن يكون حجم السلع المتبادلة فيما بين هذه المناطق كبيرًا، لكننا لم نتبين فيما بين أيدينا من المصادر إلى مايدل على ذلك. وربما كان السبب في هذا؛ ما أشرنا إليه فيما سلف من وعورة المسالك الداخلية، حيث يكون النقل التجاري مضنيًا، وعلى الأخص عندما تندلع ثورة في مكانٍ ما، وما

---

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٧٧، ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨١.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٥، ١٨٦.

ينتج عنها من زعزعة للأمن والاستقرار، فيتكاثر اللصوص وقطاع الطرق لاصطياد القوافل المسافرة، ومن المعلوم أن الأندلس قد شهدت خلال عصر الإمارة العديد من الثورات الداخلية.

ثم إننا نلاحظ أن مصادرنا التي عالجت تاريخ هذه الفترة المعنيَّة بالبحث، اقتصرت على إيراد الحوادث السياسية والعسكرية ثم الفكرية، ولم نقرأ فيها مايشير إلى موضوع التبادل الإنتاجي بين مدن الأندلس المختلفة، فكانت معظم المعلومات التي أوردناها مستقاة من مصادر متأخرة عن هذه الفترة، غير أنها كانت مصادر جغرافية تهتم عادة ببحث مثل هذه المواضيع، وربما استقت معلوماتها من مصادر متقدمة. وتشير هذه المصادر إلى غلبة الإنتاج الزراعي والمعدني على قائمة المبادلات التي تتم بين المدن. فكانت إشبيلية تصدِّر القطن(١) والزيت(٢) إلى معظم مدن الأندلس(٣)، بالإضافة إلى العصفر والقرمز(٤). واختصت مدينة لاردة بكثرة الكتان وطيبه، ويجلب منها إلى نواحي الثغر(٥). ويأتي من وادي الحجارة الزعفران(٦)، كما يأتي الزعفران أيضًا من بيَّاسة(٧). وتصدر بلنسية الأرز إلى معظم مدن الأندلس(٨)، كما تصدر مالقة التين(٩). ويأتي العنبر من شنترين(١٠).

---

(١) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦؛ ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٥.

(٢) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٧٨. وانظر كذلك:
JOAQUIN VALLVE, LA AGRICULTURA EN AL-ANDALUS, P.285-286

(٣) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦؛ ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٥.

(٤) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٠٧.

(٦) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٧) ابن سعيد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧١.

(٨) العذري، المصدر السابق، ص ١٧.

(٩) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٠؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢٣؛ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع، ص ١٠٨.

(١٠) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٤٢.

ومن حصن الحمَّـة يؤخذ الجـص، وينقل إلى الجهات المجـاورة لها، حيث يستفاد منه فـي أغراض البناء[1]. أما الرخـام فهو يوجد بكثـرة في مدينة ماردة، وقد كان الوزير هاشم بن عبدالعزيز معجبًا برخام هذه المدينة[2].

كمـا يوجـد الـرخام فـي حصن فِرّيش ويحمل منـه إلى مختلف جهـات الأندلس[3]. ومن جبال فحص البلوط يؤخذ الزئبق[4].

وتصدر إلبيرة معـادن الصفر والتوتيا والحديد والنحـاس والذهـب والفضة والـرصـاص إلى سائر مـدن الأنـدلس[5]. كمـا تصـدر طرطـوشـة الكحل[6] والأخشاب[7].

أما الثـروة الحيوانية فكـان لها حضور في قـائمة المبادلات التجـارية؛ إذ كانت البغال تجلب من جزيرة ميورقة إلى قرطبة[8]. كما تجلب الأبقار والأغنام من جبل الشارات، الواقع شمال طليطلة، إلى جميع مناطق الأندلس[9].

وتصدر الجزيرة الخضراء جلد النسر إلى مختلف مدن الأندلس[10].

د - أسلوب التعامل في الأسواق:

إن نشاط الحـركة الاقتصاديـة وتطورها يقتضـي ابتكار أساليب جـديدة، وعمليَّة، في مسألة التعـامل التجاري؛ تـواكب هذا الازدهـار الاقتصادي. ولم

---

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٠-٢٠١.
(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٥١٩.
(٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
(٥) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٠٢.
(٦) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٩- ١٣٠.
(٧) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٩١.
(٨) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩- ١١٠.
(٩) الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٨٨.
(١٠) العذري، المصدر السابق، ص ١٢٠.

تختلف الأندلس، في هذا المضمار، عن غيرها من البلدان في ذلك الوقت، فكانت معظم الوسائل المعروفة في أسواق المشرق الإسلامي معمولاً بها في الأندلس.

وما من شك في أن وجود عملة معدنية يتم التعامل التجاري على أساسها؛ يعد من ضروريات الازدهار الاقتصادي. والواقع أن المصادر التي بين أيدينا لاتشير إلى استحداث دار لسك النقود في عصر الإمارة، إلا في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم ٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م، أي في منتصف عصر الإمارة تقريبًا. فالأمير عبدالرحمن هو الذي: "أحدث بقرطبة دار السكة وضرب الدراهم باسمه ولم يكن فيها منذ فتحها العرب"[(١)]. ويبدو أن الأمير عبدالرحمن عمد إلى إنشاء دار للسكة استجابة لمتطلبات الوضع الاقتصادي الجيد الذي كانت عليه الأندلس في أيامه.

ويفهم من ذلك أن الأندلس لم تكن لها عملة خاصة بها منذ افتتحها المسلمون وحتى بعد انفصالها عن الخلافة العباسية على يد عبدالرحمن بن معاوية، كما يفهم منه أيضًا أن العملة التي ضربها عبدالرحمن بن الحكم هي دراهم فضية، مما يدل على أن الدنانير لم تضرب فيها مع أنها كانت متداولة ولكن المصادر تشير إلى الدنانير وتسميها دراهم فضية[(٢)] وأحيانًا تسميها دنانير دراهم[(٣)]. وهذا لايعني أن الدنانير الذهبية لم تعرف، فهناك إشارات إلى

---

(١) ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص٩١؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) ويؤيد ذلك مانقرؤه عن بعض الأحداث التاريخية الواقعة في عصر الإمارة، وهي تدل على أن التعامل النقدي كان بالدراهم الفضية بشكل أساسي. فعلى سبيل المثال يذكر ابن حيان أن قفيز القمح في الأندلس وصل في سنة ٣٠٣هـ إلى اثني عشر دينار دراهم فضة؛ ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٤.

(٣) يذكر ابن حيان في حوادث سنة ٢٣٧هـ أنه وجد لمسرة الخصي، بعد القبض عليه، ثمانية آلاف دينار دراهم؛ المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٧.

الدنانير دون إضافة[1]. وعندما يكون الدينار ذهبياً يبدو أنه كان يساوي عشرين درهماً فضيا[2].

ويحدثنا ابن الفقيه الهمداني[3] عن دار السكة في الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن ٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م، فيقول: " وبقرطبة دار الضرب في موضع يقال له باب العطارين وليس في دراهمهم مقطعة ولهم فلوس يتعاملون بها ستين فلسًا بدرهم ودراهم تسمى طبليًّا " .

وفي هذا النص تأكيد لما أشرنا إليه من قبل؛ من أن الدراهم الفضية كانت أساسًا للتعامل النقدي في الأندلس خلال هذه الفترة؛ كما نلاحظ أن التعامل بالفلوس النحاسية كان جاريًا إلى جانب الدراهم الفضية. واستمر ضرب الدراهم الفضية في الأندلس في عهد الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م، إذ يروى أن ديسم بن إسحاق: ت٢٩٣هـ/ ٩٠٥م، ضرب الدراهم الفضية في تدمير على اسم الأمير عبدالله بن محمد[4].

وبعد أن تولى الناصر لدين الله ٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦٢م، مقاليد الحكم في الأندلس؛ تطلع إلى إصدار عملة ذهبية تليق بدولته الجديدة وتتمشى مع سياسته الدولية التي بدأ يسعى إلى تنفيذها في المغرب الإسلامي. فقد أمر الناصر باتخاذ دار للسكة في قرطبة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، وفي ذلك يقول ابن حيان[5]: " وفيها أمر الناصر لدين الله باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم فاتخذت هناك على رسمه وولى

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٨٩- ٩٠؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٣٦؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٧.
(٢) دوزي، المرجع السابق، ص ١٩١.
(٣) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٨.
(٤) العذري، المصدر السابق، ص١١- ١٢.
(٥) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤٣.

خطتها أحمد بن محمد بن حدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان منها، فقام الضرب فيها من لدن هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة وصحّح في ذلك ابن حدير وأجاد الاحتراس من أهل الدلسة، فأضحت دنانيره ودراهمه عيارًا محضًا".

ويتضح من هذا النص أن الناصر لدين الله كان حريصًا على ضرب الذهب الخالص والفضة الخالصة، وأن الدراهم الفضية قبل ذلك لم تكن خالصة فيما يبدو(١). ولعل السبب في ذلك، هو قلة الأموال بأيدي الناس؛ نتيجة للاضطرابات الداخلية التي عمت أنحاء الأندلس مما أدى إلى اضطرار بعض من الناس إلى تزييف النقود. ولهذا فقد كان عبث "أهل الدلسة" يتطلب رقابة شديدةً وحذرًا بالغًا(٢).

وتعد المقايضة من أساليب التعامل الموجودة في أسواق الأندلس، وخاصةً قبل عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم حيث لاتوجد عملة أندلسية ثابتة. فقد كان النقد نادر الاستعمال، وكان الأندلسيون يستخدمون بعض القطع القليلة أمثال الدينار والدرهم والمجلوبة إليهم بواسطة بعض الرحالة المسلمين. وكانت معظم المعاملات التجارية على وجه التقريب تؤدى بطريق المقايضة(٣).

أما الصكوك(٤) فهي من الوسائل الهامة للتعامل التجاري، إذ يتم صرف المبالغ المالية من شخص لآخر بواسطة هذه الصكوك. كما يستخدم الصك في أغراض أخرى من التعامل المالي، كأن يقوم الرجل بوقف مبلغ من المال،

---

(١) إحسان عباس، **دراسات في الأدب الأندلسي**، (ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ص ٢٤٥.

(٢) **المرجع نفسه**، ص ٢٤٥.

(٣) عبدالحميد الشرقاوي، **المرجع السابق**، ص ١٣٦؛ أحمد إبراهيم الشعراوي، **الأمويون أمراء الأندلس الأول**، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٩م)، ص ٢٨٧.

(٤) الصّكّ: الكتاب، فارسي معرب. وهو الذي يكتب للعهدة؛ ابن منظور، **المصدر السابق**، المجلد العاشر، ص ٤٥٧.

فيعمد إلى كتابة ذلك في صك لدى القاضي، ويروى في ذلك أن أحد قضاة الأمير عبدالرحمن بن معاوية قد أودع مبلغًا من المال في صك وأوقفه لأختي الأمير عبدالرحمن(١). وكان أمراء بني أمية يستخدمون الصكوك أحيانًا، في توزيع الجوائز المالية، وقد فعل ذلك الأمير عبدالرحمن بن الحكم، عندما أمر موظفي خزانته بصرف ثلاثين ألف دينار لمغنيه زرياب، وكان الأمر مكتوبًا في صك(٢).

وتستخدم الصكوك في تقدير مصروفات الدولة، إذ يروى أن الأمير محمد ابن عبدالرحمن استدرك على بعض موظفي الخزانة لديه، في صك يشتمل على مائة ألف دينار، مبلغًا ضئيلاً وقدره، خمسة دراهم، فأعاد إليهم الصك وأمر بتصحيحه(٣). ومن الطبيعي أن الأسواق التجارية لم تكن بمنأى عن استعمال الصكوك في المعاملات المالية التي تتم فيها، فلقد جرى استخدام الصكوك في أسواق النخاسة، إذ يبدو أن لكل غلام أو جارية من الرقيق عهدة أو صك بحوزة المشتري لإثبات ملكيته على هؤلاء الرقيق الذين اشتراهم، وورد في مصادرنا مايشير إلى ذلك في قضية وقعت بين غلام ويهودي، وزعم الغلام بأنه حرٌّ غير مملوك وأنه يكره على اعتناق اليهودية، في حين كان اليهودي يُصرُّ على أن الغلام مملوك له، واستشهد في ذلك بعهدة الغلام، وكانت مكتوبة بالعبرانية. وقد نظر في هذه القضية ابن لبابة وعدد من فقهاء عصره(٤).

وكانت السفاتج أو الحوالات من الوسائل الأخرى الشائعة الاستعمال في أسواق الأندلس خلال هذه الفترة، فقد روي أن أحد الأثرياء في الأندلس قد كتب سفتجة من الأندلس إلى بغداد(٥).

---

(١) الخشني، المصدر السابق، ص٢٣.

(٢) ابن القوطية، المصدر السابق، ص٨٩- ٩٠.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٣٦؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٧.

(٤) ابن سهل، المصدر السابق، ص ٤٧ ومابعدها.

(٥) ابن الحسين السرَّاج، أبو محمد جعفر بن أحمد، **مصارع العشاق**، (بيروت: دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، المجلد الأول، ص ٢٤.

كمـا وردت الإشارة إلى استعمـال الحوالـة في المعامـلات التجاريـة في أحد الأسئلة التي أجاب عنها الفقيه ابن لبابة(١).

وتعـد السمسرة من أسـاليب التعامل في الأسـواق، فكانت أصنـاف من السلع تباع عن طـريق الوسيط التجاري، وهو الـدلاّل أو السمسار، ومهمته في المقام الأول؛ تقريب المسافة بين البائع والمشتري.

ووردت الإشارة إلى عمل الدلاّل في حديثٍ خاطب بـه الناصر لدين الله وزراءه ورجال دولته، يصف لهم سياسـة جده الأمير عبدالله بـن محمد، فقال منتقدًا سياسة سلفـه: "... أعلمتم أن الأمير عبدالله، جدي، بنـزوله للعامة في الحكم للمـرأة في غـزلهـا والحمـال فـي ثمن مـايحملـه والـدلاّل في ثمن ماينادي عليه، أضاع كبار الأمور ومهماتها.."(٢).

ويبدو أن اليهـود قد تعاطـوا هذه المهنة، كغيـرها من الأعمال التجـارية الأخرى، فتشير كتب النوازل إلى قضية حـدثت لسمسارٍ يهودي، تنازع فيها مع ورثة رجل متوفي، وقد نظر في هذه النازلة ابن لبابة وعدد من الفقهاء(٣).

ومن الوسائل المتبعـة في التعامل التجاري، الاقتراض، وكـان شائعًا في هـذه الفترة، فعنـدمـا وقع زعيم المولـدين، سعـدون بن السـرنباقي، في أسـر النورمـان خلال غـزوهم لسواحل الأندلس الغـربية سنـة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، في عهد الأميـر محمد بن عبدالـرحمن، افتداه منهم رجل يهودي على أن يقـارضه سعدون ويدفع له ضعف الأموال التي دفعها التاجر في افتكاكه من الأسر، لكنه هرب عن اليهودي وأخسره ماله(٤).

وكان الـرجل إذا اقترض مبلغًا من المال من رجل آخـر، يكتب وثيقة على نفسه بهذا المبلغ ويحدد فيها موعد السداد، وينتقي رجالاً مشهوداً لهم بالعدل

---

(١) الونشريسي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤٧.
(٢) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٥.
(٣) ابن سهل، المصدر السابق، ص ٧٣؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٧.
(٤) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٢٣.

والورع للشهادة على ذلك. ومن الواضح أن هذا الإجراء الاحتياطي كان الغرض منه ضمان الحقوق المالية للدائن، وحتى لاتقع المنازعات بين الطرفين.

وقد يستخدم الرهن في صيانة الحقوق المالية للدائن، فيعمد المدين إلى ارتهان شئ ثمين عند دائنه إلى حين موعد السداد، فقد روي أن القاضي أحمد بن محمد بن زياد، ت ٣١٢هـ كان كثير السلف لمن سأله ذلك، ولايسلف أحدًا إلا برهن[١].

وتعتبر وحدات الكيل والأوزان في الأسواق من أهم وسائل التعامل التجاري المتبعة في الأندلس، ويبدو أن هذه المكاييل والأوزان كانت تختلف في مقاديرها عن سائر الأقطار الأخرى، فقد أشار ابن حوقل[٢]، إلى اختلاف الأوزان في الأندلس عن غيرها من البلدان.

وربما كانت هذه المقادير في المكاييل والأوزان تتفاوت فيما بين أسواق مدن الأندلس المختلفة، إذ يبدو أن سوق قرطبة له كيل خاص يختلف عن الأسواق في المدن الأندلسية الأخرى. فعندما تحدث ابن حيان[٣] عن أخبار المجاعة التي وقعت في الأندلس سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، أشار في حديثه إلى ارتفاع الأسعار بسبب هذه المجاعة، وذكر أن قفيز[٤] القمح قد بلغ بكيل سوق قرطبة ثلاثة دنانير.

ويذكر العذري[٥] جانبًا من هذه المكاييل والأوزان المعمول بها في الأندلس، وذلك في معرض حديثه عن الجباية في أقاليم قرطبة، ومن هذه المكاييل، المدي[٦]، والقفيز، وورد ذكرهما كثيرًا في رواية العذري. فعلى سبيل المثال، أشار إلى أنه كان يجبى من إقليم المدوّر خمسة وثمانون مديًا وأربعة أقفزة من القمح، ومائة وإحدى وخمسون وثمانية أقفزة من الشعير. ثم سار العذري على هذا النسق في تقدير الجباية للأقاليم الأخرى التابعة لقرطبة.

(١) القاضي عياض، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٠.
(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٢٦٢.
(٣) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٩.
(٤) كان القفيز في قرطبة يتسع ل٤٢ مدًا من أمداد النبي صلى الله عليه وسلم، أي أنه كان يكيل ١٦ر٤٤ لترًا؛ فالترهنتس، المرجع السابق، ص ٦٨.
(٥) العذري، المصدر السابق، ص ١٢٤، ١٢٥.
(٦) المدي القرطبي يزن ثمانية قناطير، والستة أقفزة هي نصف مدي، وتزن أربعة قناطير؛ ابن غالب الغرناطي، المصدر السابق، ص ٣٢.

هـ- الرقابة على الأسواق:

كانت الأسواق التجارية تخضع لإشراف موظف حكومي يدعى؛ صاحب السوق، وكان هذا الموظف يتفقد الأسواق بنفسه ومعه أعوانه، وكثيرًا ماكان يمتحن الباعة بأساليب مختلفة ليتحقق من مدى التزامهم بالطرق المشروعة في البيع والشراء[1].

والواقع أن ولاية السوق كإدارة مستقلة، لم تكن معروفة في الأندلس قبل عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم إذ كانت مراقبة الأسواق جزءًا من مهام صاحب المدينة. وكانت هذه المهام التي يمارسها صاحب المدينة هي نفس المهام التي يمارسها المحتسب في المشرق الإسلامي[2]، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة الضرر من الطرقات، والحكم في المباني المتداعية للسقوط بهدمها، بالإضافة إلى النظر في أحكام السوق فيما يتعلق بمكافحة الغش وما إلى ذلك[3].

وعلى هذا فإن ولاية المدينة مشتقة من أعمال القضاء، وكان الغرض منها عدم إجهاد القضاة بالنظر في المنازعات المستمرة التي تحدث بشكل يومي في السوق أو في أي مكان آخر من المدينة، وإسناد مهمة البتّ في هذه القضايا، والتي تتطلب فتاوى مستعجلة، إلى صاحب المدينة، وهو عادة ينتقى من أوساط الفقهاء وأهل العلم، وبتوصيات من القضاة. ولهذا فإن ابن خلدون[4] يؤكد على أن الحسبة كانت في دولة الأمويين بالأندلس داخلة في عموم ولاية القاضي، يولي فيها باختياره.

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢١٨- ٢١٩.

(٢) ينص ابن حيان على أن الحسبة هي المعروفة في الأندلس بولاية السوق؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٨٦.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٥- ٢٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

وكما أشرنا من قبل ؛ فإن مراقبة الأسواق والإشراف عليها كانت ضمن مهام صاحب المدينة حتى عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم الذي أجرى تغييرًا إداريًا في هذا المجال ؛ إذ جعل ولاية السوق منفصلة عن ولاية المدينة، وخصص معاشًا شهريًا لصاحب السوق يبلغ الثلاثين دينارًا، أما صاحب المدينة فله مائة دينار في الشهر[١]. وربما كان الباعث الأساسي وراء هذا التنظيم الإداري الجديد، هو حالة الازدهار الاقتصادي التي عاشتها الأندلس في عهد الأمير عبدالرحمن، وماصاحبها من نشاطٍ للحركة الاقتصادية في الأسواق، وازدحامها بالبضائع وبالناس الواردة إليها والصادرة عنها، مما استدعى إنشاء إدارة مستقلة تعنى بشؤون السوق.

وظلت ولاية السوق التي استحدثها الأمير عبدالرحمن بن الحكم على استقلالها، وتمارس مهامها المناطة بها بعد وفاة الأمير عبدالرحمن فقد أشار ابن حيان[٢] في حوادث سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، إلى وظيفة صاحب السوق.

وجرت العادة أن يتخذ صاحب السوق مجلسه وسط السوق، كما كان يفعل سعيد بن السليم[٣] متولي هذه الوظيفة في عهد الأمير عبدالله بن محمد[٤]، وذلك حتى يكون قريبًا من موقع الأحداث، ولإحكام رقابته على مايجري داخل الأسواق.

---

(١) ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٤٥- ٤٦.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٣.

(٣) سعيد بن محمد بن السليم. كان صنيعة للأمير عبدالله قبل توليه الإمارة، وله منزلة خاصة عنده، فلما تولى الإمارة ولّاه خطة السوق فضبط أمر العامة وظهرت منه صرامة أكسبته مهابة، وبعد ذلك نقله الأمير إلى الوزارة ثم الحجابة ؛ انظر: ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٥.

(٤) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٥.

أما قبل مجيء الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى كرسي الإمارة، حيث كانت ولاية السوق تحت إشراف صاحب المدينة؛ فإن صاحب المدينة كان يجلس على باب السُّدة، لمباشرة مهامه، فقد روي أن الأمير الحكم بن هشام في أواخر حياته، قد تخلى عن النظر في أمور الدولة لابنه الأمير عبدالرحمن، وأراد أن يخلي له قصر الإمارة، فأبى ابنه عبدالرحمن، وقال: " بل اكتفي بالقعود على باب السدة مقعد صاحب المدينة "[(١)].

وكما أن صاحب المدينة يتم اختياره من أوساط الفقهاء وأهل العلم؛ فإن صاحب السوق أيضًا كان ينتقى من نفس الفئة، فولاة السوق كان لهم علم بالفقه، كما قام بعضهم برحلات علمية إلى المشرق أتاحت لهم الاتصال بالعلماء ومجالستهم والأخذ عنهم، فهذا محمد بن خالد بن مرتنيل[(٢)] ت: ٢٢٠هـ/ ٧٣٥م، صاحب السوق بقرطبة، رحل إلى المشرق فسمع من علماء المدينة ومصر، وكان الغالب عليه الفقه[(٣)]. ووصف إبراهيم بن حسين ابن خالد بن مرتنيل[(٤)]، صاحب السوق في قرطبة؛ بأنه على درجة من العلم والفقه، وكان يخالف في بعض آرائه كبار فقهاء عصره كيحيى بن يحيى الليثي وعبدالملك بن حبيب وغيرهم[(٥)].

---

(١) ابن فضل الله العمري، **المصدر السابق**، السفر الرابع والعشرون، ص ٣١٥.

(٢) محمد بن خالد بن مرتنيل. يعرف بالأشج، قرطبي. رحل فسمع من ابن وهب وأشهب وابن نافع ونظرائهم من المدنيين والمصريين، وكان الغالب عليه الفقه؛ القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٢٦- ٢٧.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٦، ٢٧؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص ٢٣١.

(٤) إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل. من أهل قرطبة، كان حافظًا للفقه، وولي أحكام الشرطة للأمير محمد بن عبدالرحمن، وله رحلة إلى المشرق؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص٣٣.

(٥) الخشني، **المصدر السابق**، ص ٥٦- ٥٧؛ القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج٣، ص ١٣٦- ١٣٧.

أمـا حسين بن عـاصـم بن كعب الثقفي[1]، ت: ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، صاحب السوق في عهـد الأمير محمد بن عبدالـرحمن، فقد رحل إلى المشرق وسمع من العلماء هناك[2]. ويروى أن الأميـر عبداللـه بن محمد اختـار فقيهًا لولايـة الـسوق، وهو أيـوب بن سليمان[3]، ت: ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وقلَّـده إياها[4].

وكان صـاحب السوق حريصًـا في أداء مهمته على الوجـه الأكمل، وقد أبيح له أن يستخدم مايراه مناسبًا من العقـوبات اللازمة لردع من يحاول الإخلال بـالنظام، ومن هـذه العقوبـات الضرب والتشهيـر لمن تثبت إدانته بـالغش من البـاعة، ثم بعـد ذلك النفي من البلـد[5]. أمـا أولئك الذيـن يتجاوزون حـدود اللياقـة والآداب العامة، داخل الأسواق، فلم يكـونوا بمعزل عن رقابـة صاحب السوق، الذي كان يشتد في عقابهم، فقد روي أن إبراهيم بن حسين بن خالد، أيام ولايته على السوق، ضرب شاهد زور عند باب الجامع أربعين سوطًا[6].

وبلغ من شدة ولاة السوق أنهم كانوا يقـررون إزالة بعض المباني التجارية بسبب ملاحظات معينة أخذوها على هـذه المباني أو ضد أصحابها، كما فعل

---

(١) حسين بن عـاصم بن كعب الثقفي من أهل قـرطبة، رحل فسمع من ابن القـاسم وأشهب بن عبدالعزيـز وابن وهب ومطرف ونظرائهم، توفي سنة ٢٦٣هـ، انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٦؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٧٧.

(٣) أيوب بن سليمان بن هاشم بن صالح بن هاشم المعافري. من أهل قرطبة، كان إمامًا في رأي مالك وأصحـابه، كما كـانت الفتيا دائرة عليه في وقتـه، توفي سنة ٣٠٢هـ؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٢؛ ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٥٣.

(٥) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢١٩.

(٦) القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٦ - ١٣٧.

إبراهيم بن حسين بن خالد الذي اتخذ حكمًا بهدم حوانيت مملوكة لبني قتيبة، غير أن الفقهاء اعترضوا على قراره هذا، وحالوا بينه وبين إمضاء الحكم[١]. أما حسين بن عاصم الثقفي، صاحب السوق في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، فكان شديدًا على أهل السوق في مراقبة الأسعار ويضرب الباعة على ذلك ضربًا مبرحًا[٢]. وأما ابنه إبراهيم بن حسين بن عاصم، ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، فقد تولى السوق في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وبلغ في الشدة مبلغًا حاد فيه عن سنن القضاء[٣]. وأما أخوه عبدالله بن حسين بن عاصم[٤]، فقد تولى هو أيضًا ولاية السوق في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وكان شديدًا على أهل الغش والتدليس من التجار والصناع[٥].

و - الأسعار:

شهدت الأندلس خلال هذه الفترة تذبذبًا في مستوى الأسعار، وخصوصًا في أسعار السلع التموينية، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى تتابع سنوات القحط والجفاف التي حلَّت بالأندلس، مما أدى إلى قلة المعروض في الأسواق. كما أن الثورات الداخلية المستمرة التي عانت منها الأندلس في هذه الفترة وما نتج عنها من عنت ومشقة في جلب الرزق وضنك في المعيشة، أدى إلى عدم استقرار الأسعار. ذلك أن الإنتاج الزراعي، الذي هو بمثابة القاعدة

(١) الخشني، المصدر السابق، ص٥٦.

(٢) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٦؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٧٧؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص٢٨- ٢٩.

(٣) القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٠.

(٤) عبدالله بن حسين بن عاصم بن كعب الثقفي. رحل إلى المشرق ولقي ببغداد مخارقًا المغني واستظرفه أحد رؤساء العراق إذ رأى فيه أدبًا تامًا وظرفًا بارعًا عجيبًا، فقال له في بعض كلامه: ياغليظ، ما أرقك!؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٨٥.

(٥) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٨٦.

الأساسية التي يستمد منها الغذاء، قد تضرر كثيرًا من أزمات القحط وانقطاع نزول المطر، كما تضرر أيضًا من الحروب الداخلية التي سادت البلاد في هذه الفترة، واستهدفت في معظم أحداثها قطع الأشجار وتخريب المزارع.

والواقع أن المؤرخين لم يعتنوا كثيرًا بتدوين أسعار السلع الغذائية وغيرها من المواد الأخرى إلا في حدود ضيقة جدًا تأتي في معرض الحديث عن قضية عامة تهم المجتمع كالغلاء أو القحط، ولهذا فإننا سنواجه صعوبة بالغة في ضبط أسعار المواد الغذائية والتجارية.

يخبرنا ابن الأثير[١] أن غلاءً شديدًا وقع بالأندلس سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م، لكنه لم يبيّن لنا الأسباب المؤدية إلى ذلك. وفي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، وقعت بالأندلس مجاعة شديدة، ومات منها خلق كثير، وبلغ المدّ[٢] في بعض المناطق ثلاثين دينارا[٣].

كما وقعت مجاعة شديدة سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م، وغلت الأسعار بسببها[٤]. وفي سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، توالى القحط على الأندلس وعمّ جميع مناطقها، فغلت الأسعار وقلّ ظهور الحنطة في الأسواق[٥]، وربما كان ذلك بسبب الاحتكار.

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٠.

(٢) المدّ الشرعي في فجر الإسلام وخاصة في المدينة كان يساوي ١/٤ صاع. ويساوي المد الشرعي ٠٫٥١ لتر، والمد المصري في صدر الاسلام يساوي ٢٫٥ لتر. أما في فاس فكان مد القمح يساوي ٨٠ أوقية وكل أوقية ٤١٫٦غم = ٣٫٣٢٨ كغم، وهذا يقابل حوالي ٤٫٣٢ لتر؛ فالترهنتس، المرجع السابق، ص ٧٤- ٧٥.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٥.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ١٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٠٣، ١٠٤؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٦، ١٦٧.

ولم تكد تنجلي هذه الأزمة حتى عاد القحط للظهور مرة أخرى، ففي سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، اشتد القحط وارتفعت الأسعار، وبلغ قفيز القمح اثني عشر دينارًا، وقد ساد القحط معظم مدن الأندلس ودام نحو سنة فأهلك خلقًا من أهلها [١]. وفي سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م وقع محل وقحط شديد، عانى منه أهل الأندلس، إذ نتج عنه غلاء في أسعارهم [٢].

وهكذا كانت الحال في السنوات التي تحدث فيها أزمات القحط، لا تخلو في كل مرة من ارتفاع في الأسعار.

وتقدم لنا مصادرنا صورًا جميلة من صور التراحم الذي كان يسود المجتمع الأندلسي المسلم في مثل هذه الأوقات الصعبة، فقد تصدى بعض كرام القوم إلى وضع حدٍّ لمعاناة المتضررين من هذه الأزمات، وسعى إلى مساعدة المحتاجين من الفقراء وغيرهم، فهذا الفقيه محمد بن عيسى [٣] يبادر إلى إنفاق الطعام من مخازنه ويتصدق به في إحدى السنوات الممحلة، والتي صاحبها ارتفاع في الأسعار [٤].

ويروى أن الشاعر يحيى الغزال [٥]، وكان الأمير عبدالرحمن بن الحكم قد عيَّنه موظفًا لقبض الأعشار ببلاط مروان واختزان الأطعمة في المستودعات،

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٨.

(٣) محمد بن عيسى بن عبدالواحد بن نجيح المعافري، أبو عبدالله المعروف بالأعشى. قرطبي، رحل سنة ١٧٧هـ فسمع من سفيان بن عيينة ووكيع ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم من العراقيين والمدنيين. وكان الغالب عليه الحديث والأثر. توفي سنة ٢١٨هـ وقيل ٢٢١هـ؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣ - ٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤- ٢٥.

(٥) يحيى بن حكم، المعروف بالغزال. كثير القول مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل، وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء الأندلس. ولد سنة ١٥٦هـ في إمارة عبدالرحمن بن معاوية، وتوفي في إمارة الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٥٠هـ وهو ابن أربع وتسعين سنة. انظر: الحميدي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ٥٩٧- ٥٩٨.

قد أقدم على عملٍ نبيلٍ مماثل لما قام به الفقيه محمد بن عيسى ؛ إذ قام ببيع الأطعمة الموضوعة تحت يده للناس بأسعار زهيدة، وذلك في إحدى سنوات القحط التي صاحبها غلاء شديد في الأسعار، وعرّض نفسه للسجن بسبب ذلك(١).

ويرى أحد الباحثين أن ارتفاع الأسعار في أسواق الأندلس أواخر عصر الإمارة ينهض دليلاً على ماشهدته الأسواق التجارية من كساد تجاري وتدهور خطير في أصناف السلع الأخرى، ويؤكد بأن ضعف السلطة المركزية، خاصة في أواخر عصر الإمارة، وعدم مراقبتها للأسواق، ثم عدم الضرب على أيدي المحتكرين، قد ساهم في تأزم الموقف(٢).

ويظهر أن الزيادة المطردة في الأسعار كان مردّها إلى عاملين بالدرجة الأولى ؛ هما : المؤثرات السياسية كالفتن والثورات وما إليها، والمؤثرات الطبيعية كالجفاف والسيول والجراد والحرائق والعواصف وغيرها.

وعلى الرغم من ذلك ؛ فإن الأندلس لم تكن من البلاد المعروفة بالغلاء في أسعارها، بل على العكس من هذا، فإنها قد تميزت بالرخص والسعة في جميع الأحوال(٣)، وفي هذا يقول ابن حوقل(٤): " . . وأما أسعارهم فتضاهي النواحي الموصوفة بالرخص وكثرة الخير والسعة. " ولاغرابة في الأمر، فقد كانت الأندلس تمتلك من مقومات الخصب والنماء مايكفل لها ذلك. غير أن الأزمات المتلاحقة التي وقعت في عصر الإمارة كانت موجعة وشديدة الوطأة على الناس.

---

(١) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٢) إبراهيم القادري، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٣) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

وتعتبر جيان من أكثر مناطق الأندلس خصبًا ورخصًا في الأسعار خاصة في اللحوم والحبوب[1]، مما يدل على وفرة المناطق الرعوية حيث تربى الماشية بكثرة، وكذلك اتساع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة.

وقد جاء في الأمثال الأندلسية مايشير إلى هذه الميزة في جيان، كقولهم: "امدح البلدان واسكن جيان"[2]. وامتازت مدينة شريش برخص أسعارها، لاسيما وأنها كانت من المناطق الخصبة[3]. ويصف الجغرافيون[4] مدينة قلعة أيوب بأنها كثيرة الخصب رخيصة الأسعار. كما وصفت مدينة بلنسية بأنها راخية الأسعار في أكثر الأمور[5]، وساعدها على ذلك فيما يبدو كونها مركزًا هامًا من مراكز التبادل التجاري، إذ يصفها الحميري[6] بأنها كثيرة التجارات.

وقد رصدت بعض مصادرنا أسعار الخدم والجواري المجلوبين إلى الأندلس عن طريق الحملات العسكرية الموجهة إلى مناطق الثغور في الشمال، أو عن طريق القوافل التجارية. فكان هؤلاء الرقيق يباعون في أسواق الأندلس، ثم يعاد تصديرهم مرة أخرى إلى مختلف بلدان العالم الإسلامي.

وامتدح الأصطخري[7] الخدم البيض والجواري المستوردة من الأندلس، وذكر بأن قيمة الجارية أو الخادم تصل إلى أكثر من ألف دينار.

---

(١) ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص ٥١؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٢) الزجالي، المصدر السابق، رقم المثل ٤٦٥، ص ١٠٥.

(٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٩؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٤٦٩.

(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٧) الاصطخري، المصدر السابق، ص ٣٧.

وكان أمراء بني أمية يغالون في أسعار الجواري، فيروى أن هشام بن الأمير عبدالرحمن بن الحكم قد دفع عشرة آلاف دينار في ثمن جارية(١). كما يروى أن تاجرًا أهدى المنذر بن الأمير عبدالرحمن بن الحكم جارية بارعة الحسن، مُجيدة للغناء، فكافأه على هديته هذه بألف دينار(٢).

أما سعيد بن جودي(٣)، زعيم العرب في كورة إلبيرة، فكان مولعًا بالجواري ويغالي في أثمانهن(٤).

وبلغ من ارتفاع أسعار الخدم من الفتيان؛ أن أميرًا أمويًا من أفراد الأسرة الحاكمة، وهو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله، والذي تولى مقاليد الحكم في بلاده فيما بعد وتسمّى باسم الناصر لدين الله، لم يتمكن هذا الأمير من شراء خادم له، ونتبيَّن ذلك من خلال المحاورة التي دارت بينه وبين جدّه الأمير عبدالله بن محمد حين عاتبه بعد أن ضلت دابته، وهما في طريقهما إلى منتزه الرصافة، قائلاً له: "ياعبدالرحمن، مالي أراك بغير خصي وصيف يحفك ويحفظ عليك مثل هذه العورة من زوال دابتك؟"، فأجابه عبدالرحمن: "ياسيدي، لم يأن لي بعد أن أتخذه ولا فضل من راتبي مابه أناله"(٥).

---

(١) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢١٨.

(٢) المقري، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٥٧٧.

(٣) سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي، يكنى أبا عثمان. من هوازن من جند دمشق. أمّرته العرب في غرناطة من كورة إلبيرة أيام الفتنة عند مقتل أميرهم الأول سوار ابن حمدون، ودانت له العرب وحارب أعداءهم من المولدين، وأظهر موالاة الأمير عبدالله. وكان فارسًا شجاعًا رابط الجأش وشاعرًا مفلقًا فصيح اللسان. قتل سنة ٢٨٤هـ. انظر: ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٢٩- ٣٠، ١٢٣- ١٢٤.

(٤) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، القسم الثالث، ص ٣٩، ٤٠.

ثالثًا – التجارة الخارجية: (الصادرات والواردات)

أ – الصادرات والواردات :

١ – الصادرات :

اشتملت لائحة الصادرات على العديد من المواد المتنوعة، كالمحاصيل الزراعية والمواد الخام والمصنوعات، إلى غير ذلك مما جادت به أرض الأندلس الخصبة، وفاض عن حاجتها.

وامتازت الأندلس بوفرة الإنتاج الزراعي وجودته، فكان التين يحتل موقعًا متقدمًا في قائمة الصادرات الأندلسية، فهو يحمل من مدينة مالقة إلى كل من مصر والشام والعراق(١)، بل وإلى الهند والصين(٢). ولاغرابة في أن يصل التين المالقي إلى الهند والصين، على بُعد هذه المناطق، وتواضع وسائل المواصلات في ذلك الوقت، فقد كان بعض تجار الأندلس، خلال هذه الفترة، يرتادون هذه المناطق على سبيل التجارة، فيروى أن محمد بن معاوية الأموي(٣)، ت: ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، رحل إلى المشرق سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، ودخل الهند تاجرًا(٤).

ويعد القطن من صادرات الأندلس الأساسية، وخصوصًا إلى مناطق الشمال الإفريقي، فكان يؤخذ من إشبيلية ويحمل منها إلى القيروان والمغرب

---

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٠٠؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٥١٧.

(٢) المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٥٠– ١٥١.

(٣) محمد بن معاوية بن عبدالرحمن بن معاوية بن إسحاق بن عبدالله بن معاوية بن هشام ابن عبدالملك بن مروان، يكنى أبابكر ويعرف بابن الأحمر. كان شيخًا حليمًا، ثقة فيما روى، صدوقًا. سمع منه جماعة من أهل العلم في الأندلس، وطال عمره فكثر أخذ الناس عنه؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٣٣ – ٧٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٣٤.

وسجلماسة [١]. وقد استفادت سجلماسة من القطن الإشبيلي في تطوير صناعة النسيج[٢].

كما تُصدِّر الأندلس الزيت إلى بلاد المشرق، ويؤخذ هذا الزيت من منطقة الشرف بإشبيلية ويحمل إلى الإسكندرية وإلى غيرها من البلدان[٣]. كما يحمل الزيت إلى شمال إفريقيا وإلى الدويلات النصرانية في شمال الأندلس[٤].

ويشير الأصطخري[٥] إلى وجود مادة الحرير ضمن قائمة الصادرات الأندلسية إلى بلاد المشرق. كما يصدَّر الحرير أيضًا إلى بلاد الفرنجة[٦].

ومن صادرات الأندلس الأخرى؛ البز[٧]، وكان لهذه المادة قيمة عظيمة في ذلك الوقت، مما يدل على الأهمية التجارية للأندلس، إذ إن الإتّجار بالبز غاية يطمح إليها المشتغلون بالتجارة في العالم الإسلامي، وفي ذلك يقول ابن مجاهد المقري[٨] ت: ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، : "من قرأ لأبي عمرو وتمذهب للشافعي واتجر في البز وروى شعر ابن المعتز فقد كمل ظرفه"[٩].

---

(١) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص٢٣- ٢٤؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٩٥.

(٢) الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد الخامس، بغداد، د.ت.، ص ١٤٨.

(٣) العذري، المصدر السابق، ص ٩٥- ٩٦؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٧٨؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٢، ٢١٣.

(٤) JOAQUIN VALLVE, LA AGRICULTURA EN AL- ANDALUS, P. 285-286.

(٥) الأصطخري، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٦) الحميري، المصدر السابق، ص٥٥٦.

(٧) المقدسي، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٨) أحمد بن موسى بن العباس، أبوبكر بن مجاهد المقري. شيخ القراء في وقته. كان ثقة مأمونًا. قرأ عليه القرآن خلائق، وقال ثعلب: مابقي في عصرنا أعلم بكتاب الله من ابن مجاهد، السبكي؛ تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، الطبعة الثانية، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج٢، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٣.

وبـالإضـافـة إلى ذلك؛ فإن الأنـدلس تُصـدّر الحلفـاء[1] والديبـاج[2] والوبر[3]، وكذلك الخز والفراء والسمور والسيوف إلى المشرق[4]. كما يُصدَّر الخز إلى بلاد الفرنجة[5].

وتشكل مواد الصباغة قسمًا هامًـا من صادرات الأندلس، فكان الزعفران يـؤخذ من طليطلـة[6] وبياسة[7] ويحمل إلى البلـدان الأخـرى ومنهـا بـلاد الفرنجة[8]. كما يؤخذ العصفـر من إشبيلية إلى خارج الأندلس[9]، واشتهرت الأندلس بوفرة القرمز فوق أراضيها وجودته، ويصدر منها إلى الخارج[10].

كما تصدر الأندلس الصبغ السماوي الذي يؤخذ من طليطلة[11].

وتعد المـلابس بالإضافـة إلى أنواع معينـة من المنسوجات ضمن قـائمة الصادرات الأندلسيـة، إذ يشير ابن حوقل[12] إلى أن الأندلس تصـدر العديد من أنواع الطرز إلى مصر وخراسان. كمـا تصدر الأكسية المصنوعة من الكتان

---

(١) الحميري، المصدر السابق، ص٥١١.

(٢) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ١٥٣؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٣) ابن خـرداذبـة، المصدر السابق، ص ٩٢؛ ابن الفقيـه الهمـداني، المصدر السابق، ص٨٣-٨٤.

(٤) ابن خـرداذبة، المصدر السابق، ص ١٥٣؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص ٨٣- ٨٤؛ الأصطخري، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٥) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٥٦.

(٦) البكري، المصدر السابق، ص٨٨.

(٧) ابن سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص٧١.

(٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٥٦.

(٩) العذري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(١٠) البكـري، المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧؛ ابن غـالب الغرنـاطي، المصدر السـابق، ص٣٩.

(١١) البكري، المصدر السابق، ص ٨٨.

(١٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٥.

إلى مصر وغيرها من المناطق الأخرى[1]. وتصدر الأندلس الأردية المعمولة، في بجانة، إلى كل من مصر ومكة واليمن وغيرها[2]. كما تصدر الأندلس اللبود إلى مناطق الشمال الإفريقي[3]، وربما إلى ماوراءها من بلدان المشرق الإسلامي.

ومن الصادرات الأخرى، النسيج، ويحمل من بلنسية إلى بلاد المغرب[4]. وكذلك البُسط التي تصنع في مرسية وتحمل منها إلى المشرق[5]. ويبدو أن نوعًا من البسط يعرف باسم؛ النخاخ، كان يصدر من الأندلس إلى المشرق، وبلغ من جودته أن أشاد به الكتَّاب المشرقيون في بعض مؤلفاتهم[6].

وتصدر الأندلس المرجان[7] والعنبر[8]، ومن أصناف الطيب الميعة والمصطكى[9].

واشتهرت الأندلس بثرواتها المعدنية الوفيرة، وتصدر الفائض منها إلى الخارج، كالزئبق الذي يؤخذ من حصن أبال، شمال قرطبة، ويحمل إلى

---

(١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٣) المالكي، أبوبكر عبدالله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٢، ص ٤٤٥.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢١.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢١.

(٦) الأزدي، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٧) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ٩٢؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص ٨٣- ٨٤؛ الأصطخري، المصدر السابق، ص٣٧.

(٨) الأصطخري، المصدر السابق، ص ٣٧؛ البكري، المصدر السابق، ص ١٢٤ - ١٢٦.

(٩) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ٩٢؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص ٨٣- ٨٤.

البلدان الإسلامية[١]، فكانت مدن المغرب، التي اشتهرت بثرواتها الذهبية، تستورد الزئبق من الأندلس لاستعماله في صناعة الذهب[٢]. ويحمل الزئبق أيضًا إلى بلاد الفرنجة[٣]. كما تصدر الأندلس أيضا الأحجار الكريمة[٤].

ويعتبر الرقيق من أهم صادرات الأندلس إلى العالم الإسلامي، ويشتمل هذا الرقيق على الغلمان من الصقالبة والجواري من الجنس الأبيض[٥]. وقد نبّه ابن حوقل[٦] إلى أن جميع الصقالبة من الخصيان المنتشرين في العالم الإسلامي إنما هم من جلب الأندلس، ويدل هذا على نشاط الحركة التجارية من وإلى الأندلس.

وبالإضافة إلى ماسبق، فإن الأندلس كانت تُصدِّر البغال إلى بلدان العالم الإسلامي[٧].

---

(١) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢) الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية، 3-9/4 -10، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والدار التونسية للنشر، د. ت)، ص ٢٥.

(٣) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٥٦.

(٤) البكري، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٥) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص٩٢؛ ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٣، ٨٤؛ الأصطخري، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٦) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٥، ١٠٦؛ وغالبًا ماكان تجار الأندلس يقومون بمهمة تصدير الرقيق إلى البلدان الأخرى، فيروى أن تاجرًا أندلسيًا فقد جارية له في القيروان، فاستعان بالفقيه رباح بن يزيد ت ١٧٢هـ، فأعانه على استردادها؛ المالكي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٤. وجاء من خبر الفقيه محمد بن سحنون أنه اشترى جارية بمصر من تاجر أندلسي، فتسرّاها وأولدها أولادًا. المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥٤.

(٧) الأصطخري، المصدر السابق، ص ٣٧.

٢ - الـواردات:

على الرغم من هذا الحجم الكبير في الصادرات الأندلسية، إلا أن ذلك لايعني أن الأندلس استغنت بنفسها عن الأقطار الأخـرى في كل ماتحتاج إليه، إذ كـان من الطبيعي جدًا في عمليـة التبادل التجـاري بين البلدان المختلفة أن تكـون عمليـة الاستيـراد بنفس الـدرجـة من النشـاط التي تكـون عليهـا حـركـة الصادرات أو تختلف عنها شيئًا قليلاً.

لقد كانت حركة التبادل التجاري بين الأندلس وغيرها من البلدان الأخرى مدينة إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم بـالشيء الكثير من نشاطها. فقد وجد التجار كل رعاية وتقدير في ظل الأمير عبـدالرحمن، فكانوا يقصدونه بالبضائع الثمينة، ففي أيـامه دخل الأندلس نفيـس الوطاء ونـوادر التحف من بغداد[١]. وكان انتشار الملابس العراقية في الأندلس من ثمار سياسة الانفتاح التي اتبعها الأمير عبـدالرحمن بن الحكم تجـاه العراق وبـلاد المشرق الأخـرى، فيروى أن عبدالـرحمن بن الشِّمر، وهو أحد جلسـاء الأمير عبدالـرحمن بن الحكـم، كان يلبس ثوبًا عراقيًا[٢].

وقد سار حكام الأندلس على سياسة الأمير عبدالرحمن الرامية إلى توسيع أفق التبـادل التجاري مع المشـرق وغيرهـا من البلدان، بل وحتى أولئك الثـوار الذين انفصلوا بأقاليمهم عن حكومـة قرطبـة تأثروا بسياسـة الأميـر عبدالرحمن هذه، فكان إبراهيـم بن حجاج اللخمي أمير إشبيليـة وقرمونة مقصودًا بالغرائب والطرائف من الأمتعة والآلة[٣].

ويلاحظ أن واردات الأندلس في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكـم، قد تركزت في معظمهـا على الأشياء الثمينة والغرائب والتحف النـادرة، وقلَّما نجد

---

(١) ابن سعيد، **المصدر السابق**، ج١، ص٤٦؛ ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج٢، ص٩١.

(٢) ابن القوطية، **المصدر السابق**، ص ٨٣.

(٣) ابن حيان، **المصدر السابق**، القسم الثالث، ص ١٢.

ذكرًا للمواد الضرورية للحياة كالمنسوجات ومايتعلق بها، والمواد الغذائية وما إليها. وإن استوردت الأندلس شيئًا من ذلك كالملابس العراقية؛ فإنما هو على سبيل الاطلاع على ما لدى هذه البلدان من صناعة، ومعرفة درجة إتقانها، ثم لتنشيط حركة التبادل التجاري فيما بينها. وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على ازدهار الاقتصاد الأندلسي وعلى المركز التجاري الهام الذي تبوأته الأندلس بين بلدان العالم الإسلامي، بل العالم المعروف وقتئذ. وعندما نفحص قائمة الصادرات الأندلسية إلى الخارج، ندرك حقيقة هذا الوضع الاقتصادي المزدهر الذي نعمت به الأندلس في فترات الرخاء والسكون. لكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد تبدلت الأمور في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وفي عهد ولديه المنذر وعبدالله، إذ تأثر الاقتصاد الأندلسي تأثرًا بالغًا من جرَّاء الفتن والثورات التي اندلعت في أماكن عديدة من الأندلس. ولهذا فإننا نجد الأمير محمد بن عبدالرحمن يسارع إلى توثيق علاقاته مع دول المغرب وشمال إفريقيا، فقد ارتبطت الأندلس بعلاقات طيبة مع دولة بني مدرار في سجلماسة، والدولة الرستمية في تاهرت، وذلك على الرغم من الاختلاف المذهبي بين الأندلس وبين كل من سجلماسة وتاهرت[(١)]، وإن كان للعامل السياسي دورا هامًا لايمكن تجاوزه في خصوصية العلاقات بين الأمويين في الأندلس والرستميين في تاهرت، إذ كان بنو أمية يعتبرون الإمارة الرستمية شاغلة للأغالبة عنهم[(٢)].

ولم تمض مدة وجيزة على قيام الدولة الأغلبية (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م) في إفريقية، حتى نجح كل من الأغالبة والأمويين في تطوير علاقاتهما وإزالة أسباب الجفاء التي ميَّزت هذه العلاقات فيما مضى،

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) محمد بن تاويت الطنجي، دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، العدد ١-٢، المجلد الخامس، مدريد، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص ١١٧.

فقد روى ابن حيان[1] أن الأمير إبراهيم بن الأغلب ٢٦١ - ٢٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٠١م، أهدى الأمير محمد بن عبدالرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م، بعضًا من أصناف العطور الجيدة، وقد سُر الأمير محمد كثيرًا بهذه الهدية وأجزل المكافأة عليها، وكان ذلك إثر مكاتبة جرت بينهما.

ومما يشير إلى حرص الأمير محمد بن عبدالرحمن على استمرار تدفق البضائع التجارية إلى بلاده؛ أنه كان يوصي رجال دولته بضرورة معاملة التجار الوافدين إلى الأندلس على أحسن وجه، فكان يقول: "... استدعوا مؤالفتهم بلطيف المخاطبة وامتروا غريب هداياهم بفضل المكافأة"[2].

وفي كل ما أوردناه آنفًا، إشارات إلى انهيار قوى الإنتاج في الأندلس، وبالتالي فإن حاجات البلاد لم تكن لتقتصر على الضروريات من المواد، بل شملت أيضًا الكماليات فيروى في هذا المجال أن الأمير محمد استكثر من جلب المتاع الفاخر، كما استكثر من جلب الحيوانات غير المألوفة في بلاده، ومن ذلك مثلاً الزرافة التي أهداها إياه بنو مدرار حكام سجلماسة[3]. ويروى أيضًا أن الأمير محمد كان معجبًا بالجواميس من دواب أهل المشرق، مستدعيًا لها من التجار مستكثرًا منها[4].

ويعلِّق أحد الباحثين على اتجاه الأمير محمد في استيراد الحيوانات، فيقرر بأن ذلك يدل في النهاية على كثرة الواردات وقلة الصادرات مما يفسر اختلال الميزان التجاري[5].

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٦.

(٤) المصدر نفسه، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٥) إبراهيم القادري، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، ص ٢٤١، ٢٤٢.

ومما يعزز ماذكرناه من أن قوى الإنتاج في الأندلس قد أصابها الوهن في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، هو أن دار الطراز التي أسسها الأمير عبدالرحمن بن الحكم لصناعة الثياب الخاصة بأهل الخدمة ورجال البلاط؛ لم تعد مزدهرة مثلما كانت عليه في عهد والده عبدالرحمن، أو على الأقل لم يكن في مقدورها مسايرة مثيلاتها في العراق، وشاهد ذلك أن الأديب الأندلسي فرج بن سلام[١]، بعد أن عاد إلى الأندلس قافلاً من رحلته إلى المشرق، أتى معه بعدة أثواب جميلة صنعت له سرًّا في دار الطراز ببغداد، وقد أهداها للأمير محمد بن عبدالرحمن فأعجب بها كثيرًا وعظم موقعها لديه[٢].

ولقد كان بعضٌ من تجار المشرق يفدون إلى الأندلس بأصناف الأقمشة والمنسوجات، فكان وثيمة بن موسى بن الفرات[٣]، ت: ٢٣٧هـ/ ٨٥١م، يخرج من فارس ومنها إلى البصرة ثم إلى مصر ثم إلى الأندلس تاجرًا، وكان يتجر في الوشي[٤].

وتستورد الأندلس الثياب المروية من مرو[٥]. وربما كان ذلك منذ فترة مبكرة من عصر الإمارة، فقد كان الأمير هشام بن عبدالرحمن يلبس نوعًا من

(١) فرج بن سلام، من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر. كان معتنيًا بالأخبار والأشعار والآداب، ورحل إلى العراق ولقي الجاحظ وأخذ منه كتاب البيان والتبيين وغير ذلك من مكتوباته، وأدخلها الأندلس رواية عنه، توفي ببِلّش من عمل رية؛ ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج٢، ص٥٨٨، ٥٨٩.

(٢) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٦٤.

(٣) وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي. من أهل فارس، يكنى أبا زيد. توفي بمصر سنة ٢٣٧هـ؛ ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٨٨٣.

(٤) الحميدي، **المصدر السابق**، القسم الثاني، ج٨، ص ٥٧٩؛ الضبي، **المصدر السابق**، ص٤٦٨، ٤٦٩.

(٥) الزبيدي، لحن العامة، ص ١١٦. ومرو هي: مرو الشاهجان وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها. وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخًا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخًا؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الخامس، ص ١١٢، ١١٣.

الثياب يدعى؛ المحشو المروي[١]. كما تستورد ثياب الصوف والأكسية من إقليم برقة[٢]، والثياب المقصورة من جزيرة صقلية[٣].

وتستورد الأندلس من أودغست[٤] الصمغ الذي يصمغ به الديباج[٥]. ويشير الزبيدي[٦] إلى نوعٍ من هذه الأصماغ المستوردة يقال له، اللُّبان، ومما تستورده أيضًا؛ ماء الورد، ويجلب إليها من بلاد فارس[٧].

أما المواد الغذائية، وخصوصًا القمح، فقد ازدادت حاجة الأندلس إليه باعتباره الغذاء الرئيسي للناس، وذلك بتوالي سنوات القحط على الأندلس، واندلاع الثورات الداخلية فيها منذ عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن وتعاظم خطرها في العهود اللاحقة. وكان لذلك أثر لايخفى في نقص كمية الغذاء، وفي الحدِّ من مستوى الإنتاج الزراعي.

ولهذا فقد توجه الأندلسيون نحو مدن الشمال الإفريقي لجلب ماتحتاجه بلادهم من القمح، فكانت مدينة وهران هي المصدّر الأكبر للقمح إلى الأندلس[٨].

وجدير بالذكر أن مدينة وهران قد أسسها جماعة من البحريين سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، واستوطنوها[٩]. ويظهر من ذلك أن الأندلس لم تكن في

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٦٤.
(٢) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.
(٤) أودغست: مدينة بين صحراء لمتونة والسودان، وهي مدينة آهلة لكنها صغيرة، وفي صحرائها ماء قليل، وهي بين جبلين شبه مكة في الصفة. ولها بساتين كثيرة ونخل كثير؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦٣.
(٥) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١٥٨.
(٦) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٩٧.
(٧) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٢٦٠.
(٨) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٥٢؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦١٢-٦١٣.
(٩) البكري، المصدر السابق، ص ٧٠.

حاجـة إلى استيراد مـادة أساسيـة للغذاء كـالقمح من الخارج، لـولا معانـاتها المريرة الناتجـة عن تدهور حالتها الأمنية وتعاقب الثورات الـداخلية فيها خلال الفتـــرة الممتـــدة من أواسط عهـــد الأميـــر محمـــد بن عبـــدالـــرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م وحتى نهـاية عهـد الأميـر عبدالله بن محمـد ٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م، وكما نـلاحظ في تاريخ إنشاء مـدينة وهران، فإنه يقع في هذه المدة المضطربة من عهـد الإمارة. وعلى هذا فإن مدينة وهران كانت تصدر القمح إلـى الأندلس في هذا الوقت العصيب الـذي كانت تجتازه الإمارة الأموية.

وينطبق مثل هـذا القـول أيضًا على مـدينـة تنس[١]، والتي كـان القمح يحمل منها فـي المراكب إلى سواحـل الأندلس[٢]. فقد أنشئت هـذه المدينة على أيدي جماعة مـن البحريين سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م[٣]، وهذا التاريخ أيضًا ينتمي إلى الفتـرة المضطـربة من عصـر الإمـارة، والتي أشرنـا إليهـا قبل قليل. وتعتمد مدينة بجانة على القمح الوارد إليها من العدوة المغربية[٤]. ولقد حرص ابن حفصـون على تـوثيق عـلاقاتـه بـالفـاطميين في شمـال إفريقيـا، فكـانت المـراكب البحريـة تـرد إليه من العـدوة المغـربية محمَّلـة بـالميرة وشتى أنـواع البضائع التي يحتاجها[٥].

(١) تنس (Tenes) مدينة بقرب مليانة بينهـا وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط بـه السور، وبعضها في سهل الأرض. وبها فواكـه وخصب، وسائر الحبوب بها موجودة وتخرج عنها إلى كل الآفاق؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ١٣٨.

(٢) ابن سعيد، **الجغرافيا**، ص ١٤٢.

(٣) البكري، **المصدر السابق**، ص ٦١، ٦٢.

(٤) الحميري، **المصدر السابق**، ص٧٩.

(٥) ابن حيـــان، **المصدر الســابق**، ج٥، ص ٨٧؛ ابن عـــذارى، **المصدر الســابق**، ج٢، ص١٦٤- ١٦٥. وانظـر أيضًا: السيـد عبدالعـزيز سـالم وأحمد مختـار العبادي، **تـاريخ البحـريـة الإسلاميـة في المغـرب والأنـدلس**، ص ١٧٤؛ عبـدالعزيـز فيـلالي، **العلاقات السياسية بيـن الدولة الأموية في الأنـدلس ودول المغرب**، ط٢، (الجزائر: المؤسسـة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣م)، ص ١١٨.

وتستورد الأندلس التمور من فاس[١]. ومن الواردات الأخرى؛ الفستق، ويأتي إلى الأندلس من قفصة[٢]. وكذلك الذهب ويأتيها من بلاد السودان[٣] وغانة[٤].

ب - مناطق التبادل التجاري:

على الرغم من مثالية الموقع الجغرافي للأندلس من الناحية التجارية، حيث يشكل حلقه وصل هامة بين إفريقيا وأوربا، إلا أن الأندلسيين لم يستفيدوا من ذلك استفادة كاملة. فقد اقتصرت تجارة الأندلس، خلال عصر الإمارة، على التبادل التجاري مع دول المغرب الإسلامي في المقام الأول ثم مع سائر أنحاء الشرق الإسلامي[٥]. ولايعني هذا أن الحركة التجارية في الأندلس لم تصل إلى مرحلة الازدهار، خلال هذه الفترة، بل لقد كان من المنتظر أن تتبوأ الأندلس مركزًا متقدمًا في التجارة العالمية، قياسًا إلى موقعها المميز ووفرة خيراتها.

وعلى أية حال، فقد وجد الأندلسيون في تدهور الحركة الاقتصادية في شمال إفريقيا نتيجة للصراعات الداخلية، فرصة ثمينة في تنشيط تجارتهم، فكانت المبادلات التجارية تتم بصورة مربحة لصالح الأندلسيين[٦].

---

(١) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٢) البكري، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) المراكشي، المصدر السابق، ص ٤٤٩.

(٤) JOAQUIN VALLVE, **LA INDUSTRIA EN AL-ANDALUS**, P.2.

(٥) حسين مؤنس، المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية، **المجلة التاريخية المصرية**، العدد الأول، المجلد الرابع، القاهرة، ١٩٥١م، ، ص ١٢٠.

(٦) محمد الوزاد، **الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري**، ص ١٥١.
وجاء في بعض الدراسات الحديثة أن تجار الأندلس استفادوا من الفروق الهامة في سعر الذهب والفضة بين كل من إفريقيا وأوروبا، فالذهب الإفريقي كان رخيصًا في بلاد المغرب، أما سعر الفضة فكان مرتفعًا، والعكس تمامًا في شمال أوربا. انظر: رولان موسينيه، **تاريخ الحضارات العام**، ترجمة يوسف داغر وفريد داغر، (بيروت: منشورات عويدات، ١٩٦٦م)، ط١، المجلد الرابع، ص ٥٦٣.

وتعـد مدينـة بجـانة من أهم المـوانئ الأنـدلسية التي اضطلعت بمهمـة التبادل التجاري مع الخارج، فهي المـرفأ الرئيسي للبلاد[١]، واستطاعت هذه المدينة أن تحتفظ بخصوصيتها التجارية بعد تدهور الحالة الأمنية في الأندلس أواخر عصر الإمارة، فقصدها الناس من كل أوب واستوطنوها[٢]. وتعتبر مالقة من مراكز التبادل التجاري مع الخـارج؛ فكانت بعض منتجاتها تصل إلى عدد من البلدان كمصر والشـام والعراق والهند والصين[٣]. أما مدينة طرطوشة فهي محطة تجارية لتصدير البضائع واستقبالها[٤]. ولمدينة لقنت ميناء يغادر الناس منه إلى إفـريقية[٥]. وتعـد الجزيـرة الخضراء مـركـزًا هامًـا للتبادل التجـاري، وخـاصـةً مع بلاد المغـرب، بحكم مـوقعهـا القـريب من هذه المنطقـة، فقـد لاحظنـا من قبل أن المراكب البحـرية كـانت تنقل السلع التجـارية من العـدوة المغـربية إلى سـاحل الجـزيرة الخضـراء حيث يستفيد منهـا مبـاشرة عمـر بن حفصون ورفاقه[٦]. وارتبطت إشبيلية بصلات تجارية مع الخارج، فكان زيتها يصل الإسكندرية[٧]، كما يحمل القطن منها إلى سجلماسة[٨].

وكان لـدول المغرب الإسـلامي شأن كبير في حـركة التبـادل التجاري مع الأندلس، إذ كانت هذه المناطق تشكل مجالاً حيويًا للتجارة الأندلسية.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٣.
(٢) ابن حيان، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ٨٨.
(٣) الحميري، المصدر السابق، ص ٥١٧؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص١٥١.
(٤) ابن غـالب، المصدر السابق، ص١٦- ١٧؛ ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص٣٠.
(٥) ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص ٢٧٤.
(٦) ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٨٧.
(٧) المقري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٣.
(٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٩.

والواقع أن سكان المغرب والأندلس، كانوا يتعاملون تجاريا بحرية تامة، دون النظر إلى التوترات السياسية أو الاختلافات المذهبية بين الجانبين[1].

وتعد القيروان محطة تجارية هامة للقوافل القادمة من الأندلس أو الذاهبة إليها، وكثيرًا ماكان تجار الأندلس يقصدونها بتجاراتهم المختلفة، فقد جاء في بعض الروايات أن الأمير عبدالرحمن بن معاوية بعد أن أخمد نيران الثورة التي أشعلها ضده العلاء بن مغيث[2] سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م، وقتل زعيم هذه الثورة؛ أمر بعض التجار بحمل رأسه ورؤوس جماعة من أصحابه إلى القيروان، وإلقائها بالسوق سرًا، ففعلوا ذلك[3].

ونقرأ في مصادرنا أخبارًا تشير إلى ارتياد تجار الأندلس لأسواق القيروان؛ وإلى أسلوبهم في حماية بضائعهم إذا ماوقع عليها اعتداء من علية القوم أو أصحاب النفوذ في المجتمع، فقد روي أن تاجرًا أندلسيًا اشتكى إلى الفقيه رباح بن يزيد[4]، ت: ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، وطلب أن يعينه على أحد وجهاء القيروان الذي سلبه جاريته، وقد استطاع رباح أن ينصف التاجر الأندلسي، وأعاد إليه جاريته المفقودة[5]. وبعد قيام دولة الأغالبة في إفريقية في القرن

---

(١) عبدالعزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢) العلاء بن مغيث اليحصبي، قدم من إفريقية إلى الأندلس ولبس السواد شعار العباسيين، وخطب للمنصور واجتمع إليه خلق كثير، فخرج إليه الأمير عبدالرحمن بن معاوية فالتقيا خارج باب إشبيلية بمدينة قرمونة، فانهزم العلاء وأصحابه وقتل منهم في المعركة سبعة آلاف وقتل العلاء معهم. وكان ذلك سنة ١٤٦هـ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢؛ وانظر أيضًا:
REINHART DOZY, **SPANISH ISLAM**. P.199.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢١.

(٤) أبو يزيد، رباح بن يزيد اللخمي، كان رجلاً صالحًا مشتهرًا بالفضل والزهد، وكان أهل عصره يتبركون بدعائه ويتعظون برؤيته وكان يضرب به المثل في عبادته. توفي رحمه الله سنة ١٧٢هـ. انظر: المالكي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨-١١٩.

الثاني الهجري؛ استمرت حركة التبادل التجـاري قائمة بين إفريقية والأندلس، وذلك على الـرغم من الوحشـة السياسيـة بين الطرفين، إذ أن الـرعايـا قليلاً مـا انشغلوا في العهـد الوسيط بـالخصومـات والنزاعات، فلم تسجل لـذلك أدنى قطيعـة على صعيد العـلاقـات الاقتصـادية والبشـريـةو الثقافيـة بين القيـروان وقرطبة. ثم إن القيـروان كانت هي المرحلة التي لامفـر عنها على طريقالشرق، فكان يمر عن طريق القيروان، وفي الاتجـاهين، منتجات الصناعة والفكر[(١)].

بل إن هـذه العلاقـات التجـارية بين الأغـالبـة والأمويين لم تلبث أن تجـاوزت المستوى الشعبـي إلى المستوى الرسمـي، فقد تحدث ابـن حيان[(٢)] عن وقوع مكاتبة ومـداخلة أوجبت الأنس والملاطفة بين إبـراهيم بن أحمد بن محـمد بن الأغلب ٢٦١- ٢٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٠١م والأميـر محمـد بن عبـدالـرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م، وعلى إثرها بعث الأمير الأغلبي بهدية إلى أمير الأندلس اشتملت على أنواع من العطور.

ولقد كان لإقليم برقة صلات تجارية مع الأندلس[(٣)]، كما ارتبطت جزيرة صقلية بصـلات تجاريـة مع الأندلس[(٤)]. أمـا تاهـرت، فهي إحدى المنـاطق الهـامة في عمليـة التبـادل التجاري مع الأنـدلس[(٥)]، حيث حـرص كل من الـرستميين والأمـويين على تـدعيم أواصر العـلاقـة بينهمـا لأغراض سيـاسيـة واقتصادية معًا.

---

(١) محمد الطالبي، الدولة الأغلبية ١٨٤- ٢٩٦هـ/ ٨٠٠- ٩٠٩م، التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م)، ص ٤١٤.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٦٦- ٢٦٧.

(٣) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٥.

وأما بلاد المغرب فكانت الأندلس تقدر أهميتها في عملية التبادل التجاري، إذ حرص تجار الأندلس على ارتياد بعض الأماكن التي لها شأن في عملية التبادل التجاري، فيخبرنا البكري[1] أن موضع مدينة أصيلة[2] قد اتخذه الناس رباطًا، فقصدوه من جميع الأمصار، وكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة، في رمضان وعشر ذي الحجة وعاشوراء. وقد تسامع الناس بأمرها من الأندلس وغيرها من البلدان، فقصدوها في الأوقات المذكورة بمختلف البضائع وأقاموا فيها ثم بنوا شيئًا بعد شيء فعمرت، فقدمها القاسم ابن إدريس بن إدريس[3].

وكان لمدينة فاس صلات تجارية مع الأندلس[4]. كما حرص الأمويون على تدعيم علاقاتهم بدولة بني مدرار في سجلماسة[5]، خاصة وأن هذه المنطقة تمثل نقطة العبور إلى مناجم الذهب في غانة، وإليها يرد الذهب من هذه الجهات[6]. حتى إن بعض التجار المستوطنين في الأندلس قد أدرك أهمية سجلماسة في الحركة التجارية، فمن ذلك ماروي من أن محمد بن

---

(١) البكري، **المصدر السابق**، ص ١١٢.

(٢) أصيلاً (Arzila) مدينة كبيرة قديمة عامرة آهلة كثيرة الخير والخصب. تقع بالقرب من طنجة. وأصيلة أول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهل من الأرض؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ٤٢.

(٣) القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي. ولي البصرة؛ بصرة المغرب، وطنجة ومايليهما لأخيه محمد بن إدريس وقد تولى القاسم أمر مدينة فاس بعد هلاك أخيه محمد وملكها وتجمع الناس إليه من كل ناحية ولحق المنفيون عن ربض قرطبة بها وتمدنت وكثر أهلها؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) المقدسي، **المصدر السابق**، ص ٢٣٩.

(٥) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٧٦.

(٦) الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي - **الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، ص ١٧٨.

موسى الرازي كان يتاجر في جهات سجلماسة، وكان مصاهرًا بها[١]. ويشير العذري[٢] إلى أن تجار الأندلس كانوا يرتادون بلاد المغرب وغانة وبلاد السودان.

لقد حرص الأندلسيون على تدعيم وجودهم التجاري على طول الساحل الشمالي لإفريقية. فقد هاجرت مجموعات كبيرة منهم واستقرت على امتداد شواطئ إفريقيا الشمالية، وأنشأوا مدنًا على هذا الساحل، فكوّنوا بذلك جاليات أندلسية متاجرة في هذه الجهات.

ولعل السبب في ذلك يكمن في اندلاع الثورات الداخلية في الأندلس، وما نتج عنها من خراب للطرق التجارية وانعدام الأمن وتفشي حركة قطع الطرق، فسادت الفوضى، وأصبح من العسير جدًا استمرار الحركة التجارية المنتظمة فيما بين مدن الأندلس بعضها ببعض، وفيما بين الأندلس والعالم الخارجي.

ولذا فقد اضطر مجموعة من التجار إلى مغادرة الأندلس، ووجدوا في ساحل شمال إفريقيا مكانًا ملائمًا لتحريك أموالهم وتنمية تجارتهم، ولم يكتفوا بذلك؛ بل نراهم يرتادون العديد من مدن الشمال الإفريقي، ويستوطنون بعضها أحيانًا. فعلى سبيل المثال، كان التجار في مدينة بونة[٣] معظمهم من أهل الأندلس[٤]. كما استقرت جاليات أندلسية في مدينة مرسى الدجّاج[٥].

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢٦٩.

(٢) العذري، المصدر السابق، ص١٨ - ١٩.

(٣) بونة مدينة قديمة من بلاد إفريقية. بها آثار كثيرة، وهي على ساحل البحر، وتعد من أنزه البلاد وأكثرها لبنًا ولحمًا وعسلاً وحوتًا؛ الحميري، المصدر السابق، ص ١١٥.

(٤) البكري، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٥، ٦٩. أما مرسى الدجّاج، فهي مدينة يحيط بها البحر من ثلاث جهات. بها عيون طيبة. يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة. وسائر الفواكه واللحوم بها كثير رخيص، وتينها يحمل منها إلى سائر الأقطار؛ الحميري، المصدر السابق، ص٥٣٩.

ويذكر البكري[1] أن مرسى مدينة جزائر بني مزغنيّ [2] كثيرًا ماكانت تقصده السفن الأندلسية. أما قرية طبرقه[3] فقد اشتهرت بسبب كثرة ورود التجار الأندلسيين عليها[4].

ولقد استمرت هذه العلاقات التجارية قائمة بين الأندلس وشمالي إفريقية، حتى وإن تباعد النظام السياسي أو المذهبي بينهما. فبعد أن قامت الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، لم ينل هذه العلاقات التجارية كبير أذى نتيجة لهذا التغيير السياسي بل والمذهبي أيضًا الذي جرى في هذه المنطقة، فكثيرًا ماكانت السفن الأندلسية تأتي إلى مدينة المهدية[5].

ومع ذلك فإن تجار الأندلس تعرضوا لبعض المضايقات من كبار الموظفين في الحكومة الفاطمية، فقد روي أن تاجرين من أهل الأندلس نزلا في مدينة المهدية، فاعتدى أحد الموظفين في المنطقة عليهما وأخذ بضاعتهما، وطلبا منه أن يعيد إليهما شيئًا مما أخذه منهما فأبى وتمنّع، ولم يفعل ذلك إلا بعد عناء طويل لقيه التاجران[6].

---

(١) البكري، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) جزائر بني مزغنيّ: مدينة على سيف البحر، مسورة. وفيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر وشربهم منها ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثرة؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٨.

(٣) طبرقة: تقع بين درنة وباجة، بينها وبين بنزرت سبعون ميلاً، وهي قديمة وتقع على نهر كبير بقرب البحر تدخله السفن وبالقرب منها مدينة مرسى الخزر؛ انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(٤) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٥) المهدية: مدينة استحدثها عبيدالله المهدي وسماها بهذا الاسم. وهي في نحر البحر، وتحول إليها من رقادة سنة ٣٠٨هـ. وهي من القيروان في مرحلتين. فرضة لما والاها من البلاد، كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٧٣.

(٦) المالكي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٣.

ويبدو أن السلطات الفاطمية قد فرضت حظرًا عامًا، أو مايشبه ذلك، على استيراد أو تصدير بعض المواد التجارية، ومنها اللبود[1]، والتي كان الخروج بها محظورًا، وبسبب ذلك فقد سجن في المهدية تاجر كان يأتي باللبود من الأندلس إلى شمال إفريقيا[2].

أما عن المشرق الإسلامي فقد كانت العلاقات التجارية بينه وبين الأندلس وثيقة، وخصوصًا منذ عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم الذي بذل جهودًا كبيرة في سبيل تدعيم التبادل التجاري مع المشرق الإسلامي. وقد سبقت الإشارة إلى أن الأندلس كانت تصدر إلى مصر أصنافًا من المنسوجات المطرزة[3] بالإضافة إلى التين المالقي[4] والزيت الإشبيلي[5]. وكذلك الرقيق والجواري[6].

ولقد أبدى الأمير عبدالرحمن بن الحكم اهتمامًا واضحًا بالبضائع العراقية، فكان التجار يقصدونه بنفيس الوطاء وغرائب الأشياء، إلى غير ذلك من المواد الأخرى المحمولة من بغداد[7].

ويشير أحد الدارسين في هذا المجال إلى أن التبادل التجاري بين الشرق والغرب ظلَّ نشيطًا ومنتظمًا، إذ كان لبعض المدن العراقية كالموصل، شهرة

---

(١) اللبود: نوع من المفارش يتخذ من الصوف، وقد تفوقت الأندلس في صناعتها، وكانت تعرف باسم اللبود المغربية، وذكر ابن حوقل نوعًا منها يسمى اللبود الثلاثينية يبلغ عرض الواحد منها ستة أشبار، وأشار إلى أنها من محاسن الفرش؛ ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص١٠٩.

(٢) المالكي، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٤٤٥.

(٣) ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١٠٥.

(٤) الحميري، **المصدر السابق**، ص ٥١٧.

(٥) المقري، **المصدر السابق**، ج ٣، ص ٢١٣.

(٦) المالكي، **المصدر السابق**، ج٢، ص ١٥٤.

(٧) ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٩١.

واسعة عند أهل الأندلس، وعرفوها بأنها مدينة صناعية وتجارية وملتقى للقوافل التجارية العابرة إلى الشرق أو الغرب[١].

وكانت الأندلس تصدر التين المالقي أيضًا إلى كل من العراق والشام[٢]. وكان للحجاز مساهمة في حركة التبادل التجاري مع الأندلس، فقد لاحظنا فيما سلف أن عبدالله بن مسرة، أحد علماء الأندلس وتجارها، كان له جاه عريض في مكة[٣]. ولا غرابة في ذلك فإن موسم الحج كفيل بتنشيط التجارة بين البلدين.

وشملت مناطق التبادل التجاري مع الأندلس أيضًا، بلاد خراسان التي كانت تصلها المنسوجات المطرزة من الأندلس[٤]، كما كانت الأندلس تستورد من مرو، قاعدة خراسان، الثياب المروية[٥]. وارتبطت الأندلس أيضًا بصلات تجارية مع فارس[٦]. وكانت منتجات الأندلس تصل إلى الهند والصين[٧]. ويروى أن تاجرًا أندلسيًا رحل إلى المشرق سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، ودخل أرض الهند تاجرًا[٨].

أما الدويلات النصرانية في شمال الأندلس ومن وراءها بلاد الفرنجة، فلم تكن هناك علاقات تجارية منتظمة بينها وبين الأندلس إلا في حدود ضيقة

---

(١) حسين المسري، **تجارة العراق في العصر العباسي**، (جامعة الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص٣٧٣.

(٢) الحميري، **المصدر السابق**، ص ٥١٧.

(٣) ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج١، ص ٣٧٦- ٣٧٧.

(٤) ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص ١٠٥- ١٠٦.

(٥) الزبيدي، لحن العامة، ص ١١٦؛ ابن القوطية، **المصدر السابق**، ص ٦٤.

(٦) الحميدي، **المصدر السابق**، القسم الثاني، ج ٨، ص ٥٧٩.

(٧) المقري، **المصدر السابق**، ج١، ص ١٥١.

(٨) ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج ٢، ص ٧٣٣ - ٧٣٥.

جدًا. وربما يكون السبب في ذلك أن سنوات الصراع بين الجانبين كانت أطول من سنوات السلام، مما كان له أثر في العلاقات الاقتصادية[١].

ويشير بعض الباحثين[٢] إلى توقف كل لـون من ألوان التبـادل التجاري عن طريق الموانئ البحرية بين الأندلس وبلاد الفرنجة وكان ذلك نتيجة لأعمال القراصنة المسلمين والنصارى على السواء، في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، من منتصف القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، إلى منتصف القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري.

وعلى هذا فإن الطرق البـرية قد احتضنت حركـة النقل التجاري المحدود والذي كان ينتعش بين الطرفين في حالة السلم، ولا نستبعد أن تكون التجارة قد نشطت بين الجـانبين منـذ عهد الأميـر عبـدالرحمن بـن الحكم الذي شهـدت سنوات حكمه ازدهارًا اقتصاديًا واسعًا.

ويتحدث ابن حيان[٣] عن قيام علاقات طيبة جمعت مابين دولة الفرنجة ومعها الدويلات النصرانية في شمـال الأندلس وبين الإمارة الأموية، وذلك في عهد الأميـر محمد بن عبدالرحمن، فكـانوا في معظم أحوالهم يلتمسون السلم مع الأنـدلس ويبعثون بهدايـاهم إلى الأميـر محمد. ومن المحتمل أن الحـركة التجارية قد نشطت في ظل هذه العلاقات الودية بين الطرفين.

---

(١) منى حسـن محمـــــود، **المسلمـون في الأنـدلس وعـلاقتهم بـالفـرنجة ٩٢- ٢٠٦هـ/ ٧١٤-٨١٥م**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦م)، ص ٢٠٦. ولعل من العوامل التي ساهمت في تدني مستـوى التبادل التجاري بين المسلمين والفرنجة؛ هـو أن الكنيسة كانت تنظر إلى التجارة على أنها عمل لايليق بالمسيحي المخلص، فكـان التاجر متهمًا في دينه. انظر: حسين مؤنس، **المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط**، ص ١٥٠.

(٢) حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص ١٤١.

(٣) ابن حيان، **المصدر السابق**، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٣٠- ١٣١.

جـ - الطرق الخارجية البرية والبحرية :

إن المتأمل في طبيعة الموقع الجغرافي للأندلس والذي تحيط به البحار من جهات ثلاث، يدرك بوضوح مدى الأهمية البالغة التي تمثله الطرق الخارجية في الحياة العامة في الأندلس بما فيها الحياة الإقتصادية .

وسوف نتعرض فيما يلي لدراسة كل من هذه الطرق البرية والبحرية التي تصل الأندلس بالعالم الخارجي .

١ - الطرق البرية :

لقد كان للطرق البرية دور هام في ربط الأندلس بالعالم الخارجي والاتصال به اقتصاديًا وفكريًا. وبالنظر إلى تعدد البلدان التي دخلت في دائرة التبادل التجاري مع الأندلس ؛ فإن الطرق البرية التي سلكتها القوافل التجارية من و إلى الأندلس كانت أيضًا متعددة، غير أن مصادرنا قد شحت علينا بالحديث عن هذه الطرق وعن مراكز العبور المتواجدة فيها، واقتصرت على الحديث عن الطريق البري الرئيسي الذي يصل الأندلس بالمشرق الإسلامي. ويبدأ هذا الطريق من الأندلس إلى بلاد السوس الأقصى، حيث تعد طنجة من أهم مراكز السوس الأقصى، ومنها إلى إفريقية ثم إلى مصر ثم إلى الرملة في فلسطين ومنها إلى دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم إلى كرمان ثم إلى السند ومنها إلى الهند ثم إلى الصين[١] .

ولقد انتشرت على طول هذا الطريق مراكز متعددة للعبور من ساحل شمال إفريقية إلى الأندلس، مثل مدينة تنس[٢] ووهران[٣] وتاهرت[٤] وجزائر بني مزغنّى[٥] .

---

(١) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ١٥٤- ١٥٥ .
(٢) اليعقوبي، المصدر السابق، ص ٣٥٣- ٣٥٤ .
(٣) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٢٩ .
(٤) اليعقوبي، المصدر السابق، ص ٣٥٣- ٣٥٤ .
(٥) المقدسي، المصدر السابق، ص ٢٢٨ .

ولهذا الطريق أهمية كبيرة في تكوين شخصية الأندلس المسلمة تفوق، بالتأكيد، أهميته التجارية، فهو طريق الحج الذي يصلهم بمكة كما يصلهم بجذورهم الأولى التي خرجوا منها.

ويظهر أن حكام المغرب الإسلامي قد عملوا على إقرار الأمن في مناطقهم ومنحوا الطرق جانبًا من عنايتهم، وخصوصًا الأغالبة حيث كانت أكثر طرق المغرب في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، تتجه نحو القيروان. إذ يذكر البكري[١] أنه أقيمت في الطريق مابين نفزاوة[٢] وقسطيلية[٣]، خشب يهتدي المسافرون بها لكيلا يضلوا في الأرض الواقعة بين هاتين المنطقتين.

وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن طريق الأندلس إلى المشرق يخلو من متاعب عديدة تواجه السالكين عليه، إذ كان لتقلبات السياسة في شمالي إفريقية تأثيرًا سلبيًا على التجارة، وكان ذلك يؤدي في الغالب إلى اضطرابات أمنية تحد من نشاط الحركة التجارية في هذه المناطق. ويبدو أن من المتاعب التي كانت تواجه التجار لدى عبورهم هذا الطريق المتميز بتعدد الكيانات السياسية فيه؛ هو إجبارهم على دفع ضرائب زائدة لكل دولة يمرون بها[٤].

---

(١) البكري، **المصد السابق**، ص ٤٨.

(٢) نفزاوة: بينها وبين القيروان ستة أيام، ولها سور صخر وطوب، ولها ستة أبواب وبها جامع وحمام وأسواق حافلة، وهي على نهر كثير النخل والثمار وحولها عيون كثيرة؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ٥٧٨.

(٣) قسطيلية: اسم لعمل البلاد الجريدية، وهي بلاد واسعة ومدن عديدة بها النخل والزيتون. من مدنها: توزر والحمّة وتقيوس، ومدينتها العظمى توزر. وفي قسطيلية تمر كثير يجلب إلى إفريقية. انظر: ياقوت، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص٣٤٨؛ الحميري؛ **المصدر السابق**، ص ٤٨٠.

(٤) منيرة الراشد، **الحياة الإقتصادية في إفريقية في عهد الأغالبة**، رسالة ماجستير، (الرياض: كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ص ١٦٤.

وتأتي عمليات السرقة التي تعرض لها هـؤلاء التجار كإضافة جديدة لهذه الصعـوبـات الـموجـودة في هـذا الطـريـق، فقـد روي أن ابن الـوركـاني[1]، ت: ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، عندمـا رحل إلى المشرق، وكان قريبًـا من القيروان؛ لم يتمكن من مواصلة رحلته لأداء فريضة الحج، لأن بضاعته سرقت منه[2].

ويصف قدامـة بن جعفر[3] بالتفصيل الطـريق الذي يصل بيـن المشرق والمغـرب، فهـذا الطـريق يبـدأ من بغـداد إلى الأنبـار ثم إلى هيت ومنهـا إلى الفرضة ثم الرصافة ثم الرقة ثم دمشق ومنها إلى طبرية فالرملة فغزة فإلى رفح إلى العريش إلى الفرما إلى الفسطاط إلى الإسكندرية إلى ذات الحمام إلى برقة إلى مليتية إلى أجـدابية ثم إلى سرت ثم المنصف ثم إلى وادي الـرمل إلى طرابلس إلى قصر الدرق إلى الفوارة إلى قابس إلى القيروان.

٢ - الطرق البحرية:

على الـرغم من أن البحـريـة الأنـدلسيـة لم يكتمل تكـوينهـا بـالمعنى الصحيح إلا في منتصف عصر الإمارة تقريبًا[4]؛ إلا أن ذلك لايعني أن حكـام

(١) صالـح بن محمد المرادي، المعـروف بابن الـوركاني. من أهـل وشقة. سمع بالقيـروان من يحيى بن معمر وأحمد بن يزيد وغيرهما؛ ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج١، ص. ٣٥.

(٢) **المصدر نفسه**، ج١، ص. ٣٥.

(٣) قـدامة بن جعفـر، **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق محمـد حسين الزبيـدي، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨١م)، ص ١١٥ - ١٢٤.

(٤) ويعـزى السبب في ذلك إلى أن أمـراء بني أميـة منـذ قيـام دولتهم في الأنـدلس قـد شغلتهم الثورات الداخلية والحروب مع الدويلات النصرانيـة في شمال الأندلس عن العناية بالبحرية وإنشاء الأساطيل. كمـا أن سياسة التقارب التي سلكهـا هؤلاء الأمراء مع الدولة البيـزنطية قد جعلتهم يشعـرون بشيء من الاطمئنـان تجـاه الجانب البيـزنطي ولم يحسـوا بحـاجتهم إلى أسطول أو قوة بحرية للدفاع عن سواحلهم، إلى أن فوجئوا بالغزوة النورماندية سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م، وتنبهـوا وقتئـذ إلى نقطـة الضعف في نظـامهم الـدفـاعي البحـري، انظـر: السيـد عبدالعزيز سـالم وأحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسـلامية في المغرب والأندلس**، ص ١٤٨.

الأندلس قد أهملوا العناية بالطرق البحرية وقصَّروا عن حمايتها منذ بدء عصر الإمارة، إذ لم تكن الحاجة تدعو إلى ذلك حتى عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم والذي شهدت الأندلس فيه أحداثًا استوجبت بذل المزيد من الجهد للعناية بالأسطول الأندلسي وتأمين سلامة الطرق البحرية. فقد تعرضت الأندلس لهجمات بحرية على سواحلها الغربية والجنوبية سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م، من قبل النورمانديين، وعانت المناطق المنكوبة ضررًا كبيرًا من جرّاء ذلك، فكان في هذا الغزو البحري، رغم فظاظته، خيرًا كثيرًا فيما بعد، إذ فطن الأندلسيون إلى أهمية العناية بالأسطول وحفظ السواحل، فحشدوا طاقاتهم نحو تنظيم البحرية الإسلامية في بلادهم(١)، فلم تكد تمضي سنوات قلائل على هذا الحادث، حتى نجد الأسطول الأندلسي يضطلع بمهام حماية الطرق الخارجية البحرية وتأمين سلامتها، خاصة وأن الحركة الاقتصادية كانت تعيش حالة من الازدهار والتألق في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، مما يجعل العمل على تأمين سلامة الطرق الخارجية أمرًا حتميًا لضمان ازدهار الحركة الاقتصادية. ففي سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، جهز الأمير عبدالرحمن أسطولاً مكونًا من ثلاثمائة مركب إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة لإضرار أهلهما بمن يمرّ بهما من مراكب المسلمين(٢).

---

(١) يخطئ بعض المؤرخين المحدثين عندما يزعم أن ميلاد البحرية الإسلامية في الأندلس قد تمّ بعد الغارة النورماندية على سواحل الأندلس سنة ٢٢٩هـ وماتلا ذلك من إجراءات وقائية اتخذتها الإمارة الأموية بقصد حماية سواحلها وتعزيز قدرتها الدفاعية في البحر. إن مثل هذه الإجراءات الوقائية التي قام بها أمراء بني أمية بعد تلك الغارة المذكورة إنما كانت تهدف إلى تنظيم البحرية الإسلامية في الأندلس لأنها قد ولدت بالفعل قبل ذلك منذ أيام الأمير الحكم ابن هشام. فقد كانت الأندلس في عهد الأمير الحكم تضم قواعد بحرية ينتجعها جماعة من البحريين الذين كانت لديهم خبرات لا حد لها في شؤون البحر، وكانوا يشتغلون بالتجارة بين المغرب والأندلس أو بالغزو البحري؛ السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ١٦٠، وكذلك ص ١٥٢.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ٢؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٤٩.

ويبـدو أن الأمير عبـدالـرحمن بن الحكم استحـدث منصبًـا إداريًا كـان الغرض منـه مراقبـة السواحل والأخـذ بأسباب الحيطـة والحذر، حتى لاتفـاجأ الأندلس بعمل عسكري آخر شبيه بما قام به النورمانيون سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م، فيروى أن عبدالمجيد بن عبدالصمد[١] كان عينًا على البحر للأمير عبدالرحمن ابن الحكم[٢] وقد اقتفى الأميـر محمد بن عبدالـرحمن خطى والده في حمـاية الطرق البحـرية، فكانت لاتجري فـي البحر جارية إلا عن معـرفته[٣]. ويروي الحميري[٤] أن أمراء الأندلس اهتموا بضبط السواحل بعد قيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى وتعاظم خطرها، فأمـروا بألا تجري في البحر جارية إلا تحت نظر وإشـراف، ولايخرج أحد من الأنـدلس إلا بسراح[٥]، ولايدخل أحـد حتى يعـرف خبره ومن حيث أتى ومـا الذي أتـى به، ولاتظهر فـي البحر جـارية إلا استخبر أمرها وعرف شأنها، إلى غير ذلك من الإجراءات الوقائية الأخرى، فلما اضطـرب الأمن وانـدلعت الفتن بـالأنـدلس تضـاءل الاهتمـام بأمـر السـواحل وحراستها.

---

(١) عبـدالمجيـد بن عبدالصمـد، من أهل ريـة، كـان شيخًـا فاضـلاً؛ ابن الفـرضي، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٩٨.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص ١٣٣؛ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، السفر الرابع والعشرون، ص ٣١٨.

(٤) الحميري، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٥) لعل الأنـدلس قد عـرفت خـلال هذه الفتـرة جوازات المـرور للمسـافرين، غيـر أنها كـانت تستعمل في حالات معينة يتـوقع معها حدوث مايعكر صفو الأمن والهـدوء في البلاد، تمامًا كما فعل حكام الأندلس بعد قيام دولة الأدارسـة، ويلاحظ أن جواز السفر كان معمولاً به في مصر خـلال تلك الفتـرة. انظر: البلوي، أبـو محمد عبـدالله بـن محمد، سيرة أحمـد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، (مكتبة الثقافة الدينية، د. ت)، ص ٢١٨.

ونستطيع أن نتعرف على قسم من معالم الطريق البحري الرئيسي الذي يصل الأندلس بالمشرق الإسلامي، وذلك من خلال وصف ابن خرداذبة[1] لمسلك التجار اليهود الراذانيَّة[2]، فقد أشار إلى أن هؤلاء يركبون من فنجة في البحر الغربي إلى الفرما[3]، ثم يحملون تجاراتهم على ظهورهم إلى القُلْزُم[4]، ثم يركبون من القلزم إلى الجار[5] و جُدَّة[6]، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، وبعد ذلك يعودون إلى القلزم ومنها إلى الفرما ومن الفرما ينطلقون ببضائعهم إما إلى القسطنطينية أو إلى بلاد الفرنجة.

وفي أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وتحديدًا منذ قيام الدولة الفاطمية، تدهورت الحالة الأمنية على الطرق البحرية، وتعرض المسافرون لصنوف من الأذى والمضايقة في الموانئ التي كانوا يحلّون بها أثناء الطريق، فيروى في هذا الصدد أن تاجرين من أهل الأندلس نزلا في مدينة المهدية، "فغصب متولي الموضع رحلهم فطلبوا إليه أن يردَّ شيئًا منه،

---

(١) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ١٥٣- ١٥٤.

(٢) الراذانية: هم الرادانيون Radanites، نسبة إلى نهر الرون، لأن مراكزهم كانت في بلاد حوض هذا النهر. انظر: حسين مؤنس، **المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط**، ص ١٤٨.

(٣) الفرما: مدينة على الساحل من ناحية مصر. وهي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط، شرقي تنيس على ساحل البحر. بينها وبين بحر القلزم أربعة أيام؛ ياقوت، **المصدر السابق**، المجلد الرابع، ص ٢٥٥- ٢٥٦.

(٤) القلزم: بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة والطور، وينسب إليها بحر القلزم، وموضعها أقرب موضع إلى البحر الغربي لأن بينها وبين الفرما أربعة أيام؛ **المصدر نفسه**، المجلد الرابع، ص٣٨٧.

(٥) الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم. بينها وبين المدينة يوم وليلة، وهي فرضة ترفأ إليها السفن من الحبشة ومصر والصين؛ **المصدر نفسه**، المجلد الثاني، ص ٩٢.

(٦) جدة: بلد على ساحل بحر اليمن وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال؛ **المصدر نفسه**، المجلد الثاني، ص١١٤.

فأبى . . . "[١]. كما يروى أن تاجرًا قد سُجِن في مدينة المهدية بسبب لبود أتى بها من الأندلس[٢].

بل إن الناس ضجوا بالشكوى نتيجة لفقدان الأمن على الطرق البحرية، فذهبوا إلى الفقهاء ينشدون حلاً لهذه القضية، فقد اشتكى قوم إلى الفقيه ابن أبي المهزول[٣]، ت: ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م، من أن الذين يرصدون المراكب الجائزة من الأندلس إلى مصر قد آذوا الناس[٤].

وفضلاً عن ذلك فإن الطرق البحرية لم تكن لتخلو من المتاعب التي تعكر من صفو الرحلة، ولعل من أبرز هذه المتاعب، طول المدة الزمنية التي تستغرقها الرحلة في البحر، وقد ذكر ابن الأبار[٥] ما يمكن أن نتخذه شاهدًا على ذلك إذ روى أن محمد بن حزم[٦]، قد خرج حاجًا في سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م، فأدركته الوفاة في مسيره وقد ركب البحر، فكفَّنه رفاقه وصلوا عليه ثم ألقوه في البحر. ومن الواضح أن رفاق ابن حزم قدَّروا طول المسافة، فلم يكن في استطاعتهم أن ينتظروا الوصول إلى أقرب برٍ أو جزيرة ليدفنوا صاحبهم فيها، فقرروا عندئذ أن يلقوه في البحر.

وتعتبر العواصف البحرية من الأخطار التي تهدد حياة المسافرين في البحر، فقد روي أن الفقيه عبد الملك بن حبيب ت: ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، قد

---

(١) المالكي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٤٥.

(٣) أبومحمد عبدالله بن أبي المهزول المتعبد. كان رحمه الله من كبار الشيوخ. سكن مرسى الياقوتة بناحية بنزرت؛ وانتفع بصحبته الشيخ أبو إسحاق السبائي؛ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٦.

(٥) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٣٥٨.

(٦) محمد بن حزم. من أهل قرطبة، روى عن بقي بن مخلد روايته وأخذها عنه وعن محمد بن وضاح. وكان رواية للأدب والطرف. وكان خيرًا فاضلاً متقدمًا؛ المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٨.

صادف مثل هذه المواقف العصيبة، إذ كان راكبًا في البحر متوجهًا نحو الأندلس، فهبّت عليهم عاصفة شديدة كادت أن تغرق السفينة ومن فيها، ولكن الله نجاهم منها[١].

وربما تؤدي العواصف البحرية، في بعض الأحيان، إلى غرق المسافرين وهلاكهم، مثلما حدث لبداح بن يحيى بن بداح[٢]، ت: ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م، الذي مات في البحر غرقًا في طريق رحلته إلى المشرق[٣].

وفي أحيان كثيرة تتسبب العواصف البحرية في خسائر مادية جسيمة تتمثل في ضياع الأمتعة والأموال، فقد روي أن عبدالرحمن بن موسى الهواري، قد رحل إلى المشرق في أول عهد الأمير عبدالرحمن بن معاوية، وفي طريق عودته إلى الأندلس عطبت مركبه بالقرب من تدمير، فذهبت كتبه[٤]. أما محمد بن معاوية، فقد رحل إلى المشرق سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، ودخل الهند تاجرًا، ثم انصرف خارجًا منها ومعه ثلاثين ألف دينار، فلما دنا من بلاد المسلمين غرق فلم ينجو إلا سِباحةً لاشيء معه[٥].

ويروى كذلك أن ابن خيرون الأندلسي[٦]، ت: ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، المقيم في إفريقية، قد تعرضت تجارته للدمار في البحر، ففقد نحو ألفي دينار[٧].

---

(١) القاضي عياض، المصدر السابق، ج٣، ص٣٤.

(٢) بداح بن يحيى بن بداح، سمع من محمد بن فطيس بإلبيرة وسمع من غيره، ثم توجه إلى المشرق فمات في الطريق سنة ٣٢٣هـ؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٣٣ – ٧٣٥.

(٦) أبو عبدالله محمد بن عمرو بن خيرون المقرئ الأندلسي. كان صالحًا ثقة كريم الأخلاق سمح النفس إمامًا في القراءة؛ المالكي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٥.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٥.

الخاتمة

هذه الدراسة محاولة لدراسة النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة. ولقد تبين من خلالها أن الأندلس شهدت نشاطًا اقتصاديًا مزدهرًا في معظم فترات عصر الإمارة. فلم يصب هذا النشاط الاقتصادي بالفتور إلا أواخر تلك الفترة بفعل الثورات الداخلية التي عمت معظم أرجاء الأندلس في ذلك الوقت العصيب.

لقد كان عصر الإمارة الأموية يحتوي على كثير من العوامل الإيجابية التي ساعدت على ازدهار النشاط الاقتصادي، وذلك بما وفّر من وحدة سياسية وأمن وإصلاح للطرق، وكذلك ما اعتاده أمراء بني أمية من تخفيف الأعباء المالية عن رعاياهم، إذ كانوا يبادرون إلى إسقاط العشور المقررة على الإنتاج الزراعي، وذلك في سنوات القحط، حيث يتضاءل مستوى الإنتاج الزراعي.

ولعل من أبرز مظاهر هذا الازدهار الاقتصادي هو تلك الزيادة التي طرأت على أعداد السكان في الأندلس خلال هذه الفترة. فقد كانت الأندلس منطقة جاذبة للسكان بفضل الرخاء الاقتصادي الذي نعمت به فتعددت العناصر البشرية فيها، وظهر الصقالبة لأول مرة في المجتمع الأندلسي خلال هذه الفترة. كما ازداد عدد الداخلين في الإسلام من النصارى فتضخمت بهم جموع المسالمة والمولدين، وغدوا يُكوِّنون فئة اجتماعية هامة، شاركت بجد وإخلاص في خدمة الحضارة الإسلامية في الأندلس. وما من شك في أن هذه الزيادة السكانية قد وفّرت الأيدي العاملة اللازمة لازدهار النشاط الاقتصادي. كما اقتضت هذه الزيادة السكانية التوسع في الأعمال العمرانية، فتم بناء عدد من المدن في عصر الإمارة مثل: مرسية ومجريط وبطليوس وغيرها لاستيعاب النمو البشري في الأندلس.

لقد وضح أن أمراء بني أمية بذلوا جهودًا كبيرة في سبيل النهوض بالحركة الاقتصادية في شتى ميادينها، إذ كانوا يعرفون، بحكم خبراتهم السابقة في

مجـال الإدارة وشـؤون الحكم، مـدى أهمية النشـاط الاقتصـادي في الاستقـرار السياسي، فاهتموا كثيرًا بتطوير الزراعة، فأنشأوا الحدائق واعتنوا بها وتوسعوا في زيادة مساحة الأرض المزروعة، كما جلبوا أنواعًا مختلفة من الغروس والبذور من مختلف البلدان إلى الأندلس.

أما قضيـة الأرض فقد منحتهـا الإمارة الأمـوية حيـزًا كبيرًا مـن اهتمامـاتها باعتبـارها القـاعدة الأسـاسية للزراعـة، فكان الأمـراء الأمويـون يكافئـون الناس بإقطـاعهم الأراضي، وذلك فيما يبـدو تشجيعًا لاستصلاح الأراضـي وزراعتها. وكان لهذه الإقطاعات المختلفة أثر إيجابي في مستوى الإنتاج الزراعي.

ويعتبـر تنوع المحـاصيل الزراعيـة من الشواهـد الدالـة على تطور الحيـاة الزراعية، بل إن إنتاج الأندلس كان وفيرًا في بعض المحاصيل الزراعية إلى درجة أن الفقيـه يحيى بن يحيى الليثـي، ت: ٢٣٤هــ/ ٨٤٨م قـام بتجهيـز سفينـة مملوءة تينًا وأرسلها إلى الإمام مالك بن أنس في المدينة المنورة.

ومن الشواهد الدالة على وفرةالإنتاج الزراعي؛ ارتفاع رقم الجباية في عهد الأمير عبـدالرحمن بن الحكم حيث وصـل إلى ألف ألف دينار في السنـة، وهو أعلى رقم تصل إليه منذ بدء عصر الإمارة.

وواكب هـذا الازدهار الـزراعي ازدهارالإنتـاج الحيواني، فقـد خصصت الإمارة الأموية، مـراكز رعوية ملائمة لتربيـة الخيل في كل من تدمير وإشبيلية، كما اهتم بنـو أمية بـالإنتاج الحيـواني، فكان للمنـذر بن الأمير عبدالـرحمن بن الحكم جزيرة فيها مائتا بقرة ومائة من الخيل.

وهذا الإنتاج الزراعـي والحيواني الوفير بالإضافة إلـى وجود المعادن ووفرة الأيدي العاملة في ظل تشجيع الدولة ومساندتها أدى إلى تقدم الصناعة وتطورها خاصة تلك التي ارتبطت بالدولة ارتباطًـا مباشرًا كصناعة الأسلحة التي كانت لها إدارة مستقلة عرفت باسم؛ خزانة السلاح.

كما تطـورت صناعة المنسـوجات والصناعـات الجلدية وصنـاعة السفن حيث أقيمت دور الصناعة في العديد من المدن الساحلية.

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن تحقق التجارة الـداخلية والخارجية ازدهارًا وضحت معـالمـه فـي تعـدد الطـرق التجـاريـة ، وذلك على الـرغم من قسـوة التضاريس في الأندلس وتعقيـدها . كما وضحت معالـم هـذا الازدهار التجاري في كثـرة العـاملين في مجـال التجـارة وتنـوع السلع المتبـادلـة فيمـا بين مـدن الأندلس . وبلغت التجـارة شأوًا عظيمًا في عهـد الأمير عبدالـرحمن بن الحكم الذي استجـاب لمقتضيات التطـورالاقتصادي ، فـاستحدث إدارة جـديدة تعني بشؤون السوق ، ويشرف عليها موظف يدعى صاحب السوق .

لقد عانت الأندلس معاناة مريـرة من جراء الثورات الداخلية التي اندلعت في أواخـر عصر الإمـارة ، فـامتدت يـد التخريـب إلى مختلف ميادين النشـاط الاقتصادي . إلا أن الأندلس سرعان ما استعادت حيويتها ومكانتها المرموقة بين أقطار العالم المعـروف وقتئذ ، وذلك في عهد الناصر لدين اللـه عبدالرحمن بن محمـد ٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١ م وهـذا يـدل في نهـايـة الأمـر على قـوة الإمكانات الاقتصادية في الأندلس .

الملاحق

الأمراء الأمويون في الأندلس

١- عبـــدالـــرحمن بن معـــاويـــة بــن هشـــام بن عبـــدالملك بن مـــروان ١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م

٢- هشام بن عبدالرحمن بن معاوية ١٧٢- ١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م

٣- الحكم بن هشام بن عبدالرحمن ١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢١م

٤- عبدالرحمن بن الحكم بن هشام ٢٠٦- ٢٣٨هـ/ ٨٢١- ٨٥٢م

٥- محمد بن عبدالرحمن بن الحكم ٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م

٦- المنذر بن محمد بن عبدالرحمن ٢٧٣- ٢٧٥هـ/ ٨٨٦- ٨٨٨م

٧- عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م

٨- عبدالرحمن بن محمـد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن (النـاصر لدين الله) ٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م

وثيقة رقم (١)

كتاب الأمان الذي كتبه عبدالرحمن الداخل للنصارى

« بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب أمن ورحمة ، وحقن دماء وعصمة ، عقده الأمير الأكرم الملك المعظم عبدالرحمن بن معاوية ، ذو الشرف الصميم ، والخير العميم ، للبطارقة والرهبان ، ومن تبعهم من سائر البلدان ، أهل قشتالة وأعمالها ، ماداموا على الطاعة في أداء ماتحملوه فأشهد على نفسه أن عهده لا يُنسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب ، وعشرة آلاف رطل من الفضة ، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل ، ومثلها من البغال ، مع ذلك ألف درع وألف بيضة ، ومن الرماح الدّر دار مثلها في كل عام . متى ثبت عليهم النكث بأسير يأسرونه أو مسلم يغدرونه انتكث ماعوهدوا عليه وكتب لهم هذا الأمان بأيديهم إلى خمس سنين أولها صفر عام اثنين وأربعين ومئة » .

انظر: الذهبي ، محمد أحمد ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ج٨ ، ص٢٥٠ .

وثيقة رقم (٢)

كِتاب الناصر لدين الله بهدم ببشتر

« بسم الله الرحمن الرحيم،

أما بعد، فالحمد لله الذي قضى بالعزّ لمن أطاعه، وختم بالذلّ على من عصاه، وتـولى أمر من تـولاه ونصره وكفـاه، ، وتبرأ ممن عـاداه وخذلـه وأخزاه، الذي لايـزال يؤيـد الإسلام ويسـدد من قام بـه، ويوفق من دعا إليـه ويعين من أعانـه، ويغلبه على مـن غالبه، اختيـارا له وإظهـارا لفضله، وصلى اللـه على محمد الحـافي به، والـداعي إليه، والمعز بإعـلائه، والمؤلف لنظـامه، وسلم تسليما.

وإنا لما أعظم صنع الله تعالى عندنـا، وحسن بلاؤه لدينا، وعرفنا النصر والظفـر في كل ما تـولينا، وأعـز ولينا، وأذل عـدونا، ومكن سلطـاننا، وشـرف أيامنـا، وأوطأنا ديار المشـركين، وملكنا معـاقلهم، وأحلنا منازلهـم، نتبـوأ منها حيث نشاء، حتى استتم لنـا ذلك بالقاعـدة العظمى، والمنزلة العليا، والغـاية القصوى، ببشتر، مـدينة المجرمين التي أعجزت المـاضيين، وأتعبت الباقين، وجعلت عبرة للعـالمين، وأعجوبـة للناظـرين، قصدنا إليهـا لنسر بهـا، وننظر فيها، ونعظم قدر نعمة اللـه تعالى فيها، ولنحكم تدبير أمرهـا وتعريف حالها، بضبط مايجب ضبطه منهـا، واستقصاء ماكان أمـرنا به من تخريبها وتـدميرها، فصرنـا إليها واحتللنـا بها وعـاينا من شرف خلقتهـا، وحصانـة قعدتهـا، وبديع نصبتها، وامتناع وعلو مرتقاها، وانقطاع مهواها، ما لم نظن أن يكون في الأرض شبهها، ولا أن عـامرا عمـر مثلها، ولا عـاقلا عقل نظيـرها، فأكثـرنا حمـد الله تعالى، على مايسر منها وسهل من خطبهـا، وعلمنا أن لا حول بنا ولا قوة إلا به اللطيف بمـا يشـاء «وهو علـى كل شيء قديـر»، إذ أراد أمـرا قضى بـه، وسهل مرامه، وذلل صعبه، وقرب بعيده، وألان شديده، فذلك الله الذي لا إله إلا هو

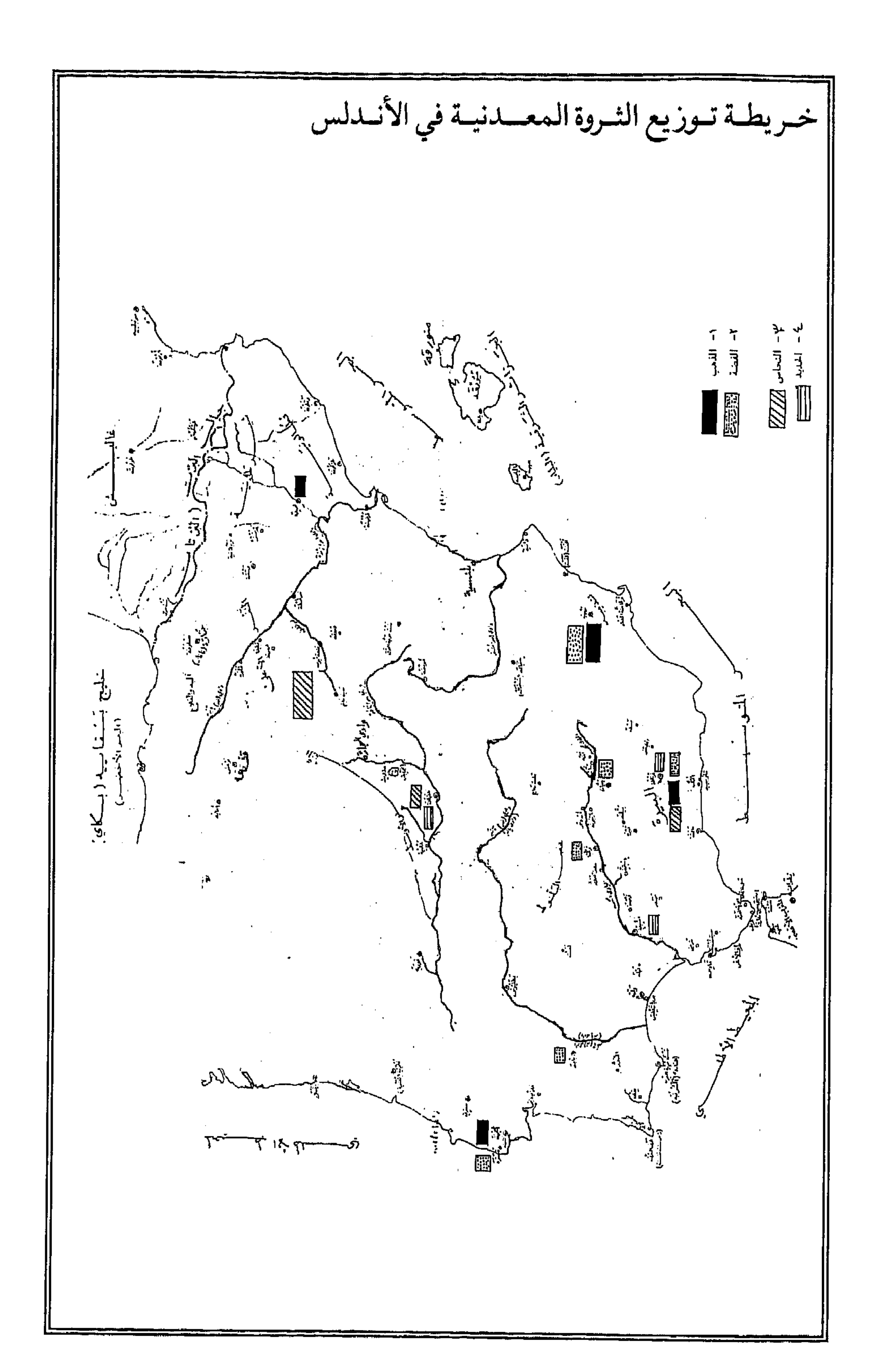
العلي العظيم، فتم ما أردنا وانتهى إلى ما حددنا، وأحكمنا من ضبط قصبتها وبنيانها على أحسن وأكمل التفكير ما حببنا . . .

وكانت سفرتنا هذه أيمن سفرة وأجمعها لكل خير، وأحسمها لكل ضر، وأجلبها لكل سرور، وأرفعها لكل محذور، وأشدها تمكينا من الصلاح، وإبعادا للجناح وتقريبا للنجاح. ثم قفلنا بعد إكمالنا لجميع ذلك، حامدين الله تعالى، على ما أعان عليه ووفق له وألهم إليه، حمدا يتقبله ويرضاه ويؤدي حق نعمته وجزاء صنعه ويستدام معه ما من به وأحسن فيه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

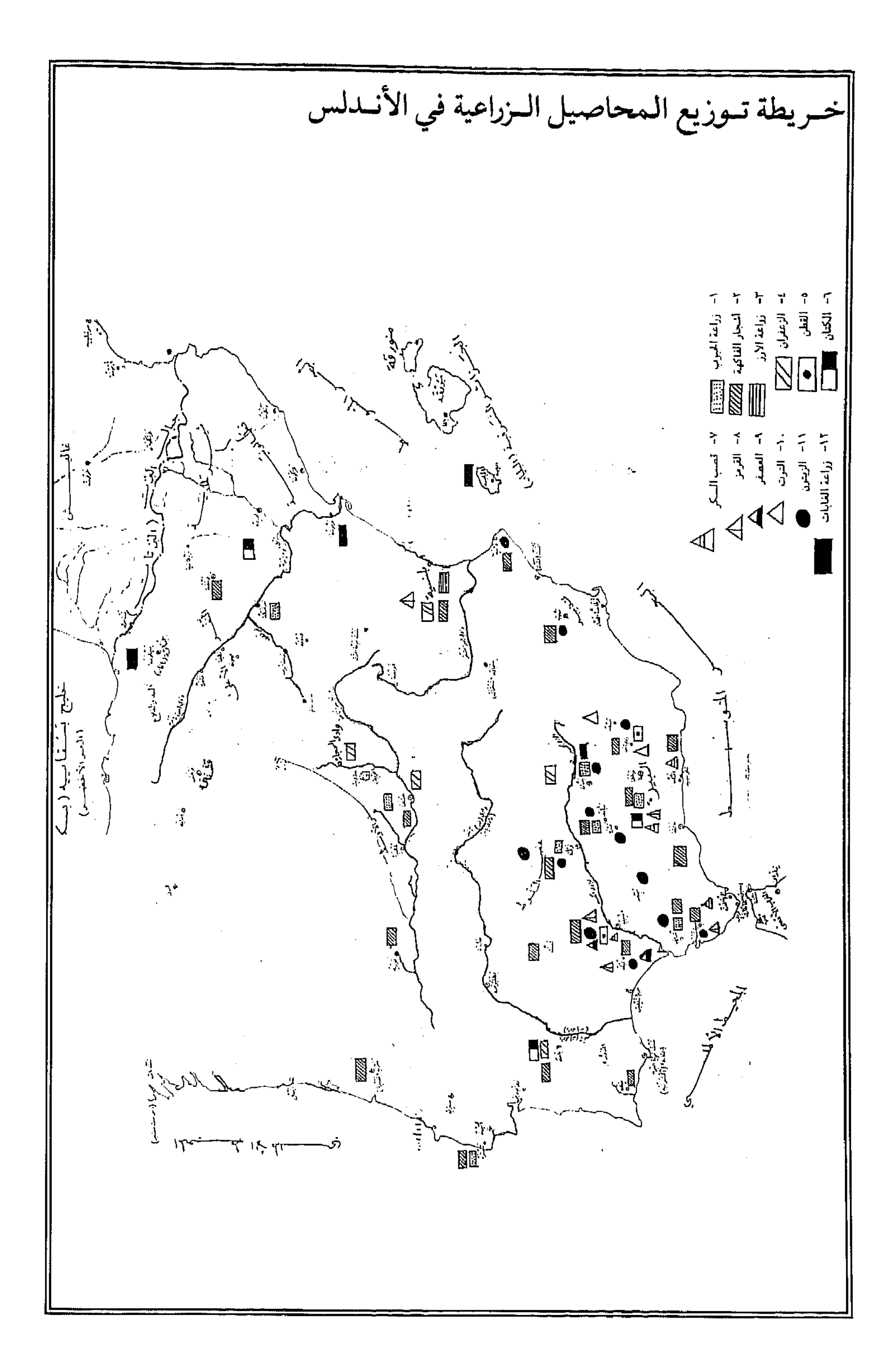
فأمر بقراءة كتابنا هذا في المسجد الجامع في موضعك على أوليائنا ورعيتنا قبلك، يبشروا به وليحمدوا الله تعالى، على عظيم نعمته عندهم وإحسانه إليهم، من قمع عدوهم، ونصر حقهم، وشعب عصاهم، وتأمين سبلهم، وصلاح أحوالهم، وانفتاح طرقهم، وليشكروه، تبارك وتعالى، على ما أصبغه من فضله بذلك، فإنه شاكر يحب الشاكرين، ويكافئ بفضله الحامدين و«لايضيع أجر المحسنين»، إن شاء الله وهو المستعان».

انظر: ابن حيان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣٢- ٢٣٧.

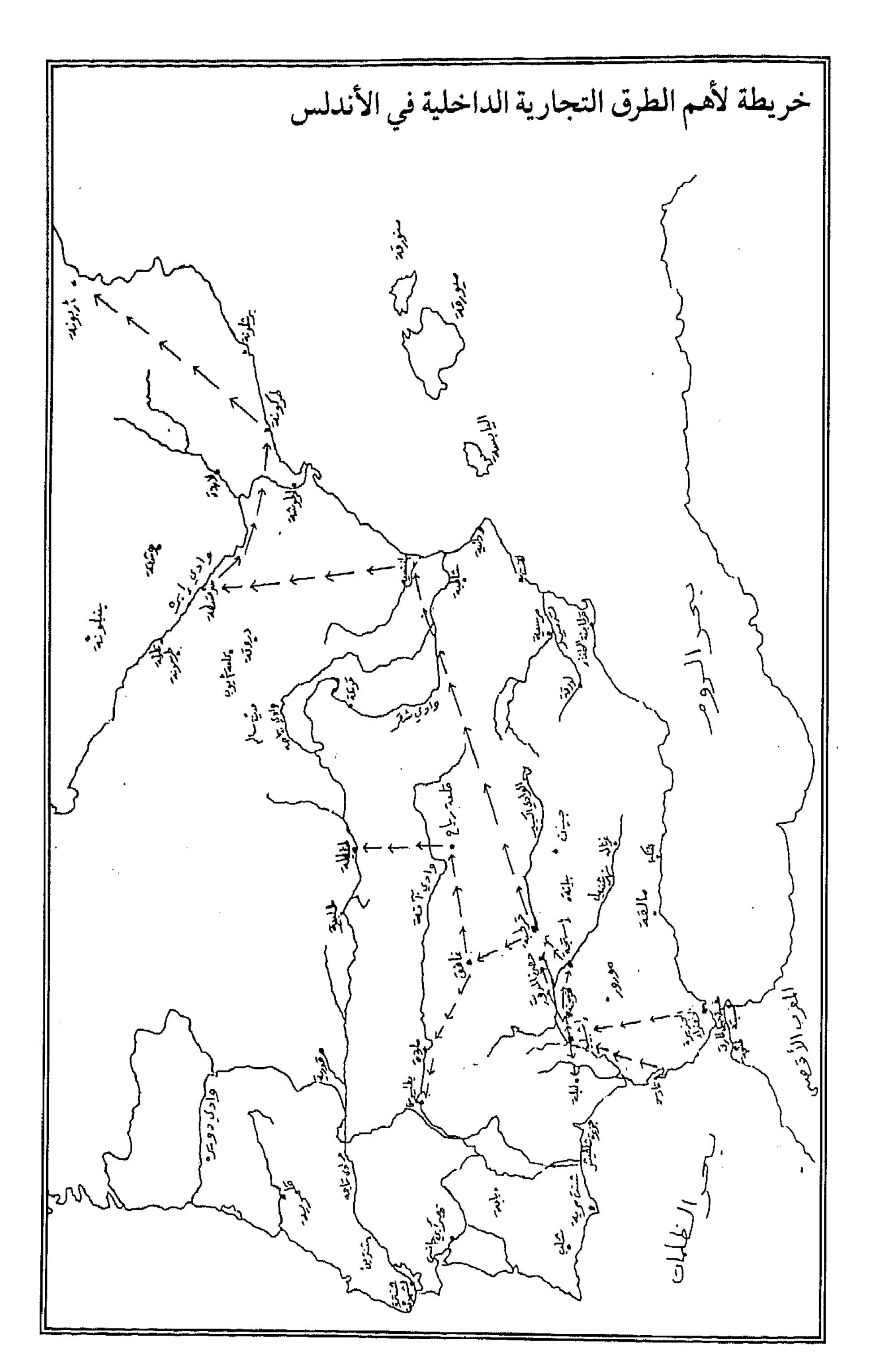
خريطة توزيع الثروة المعدنية في الأندلس

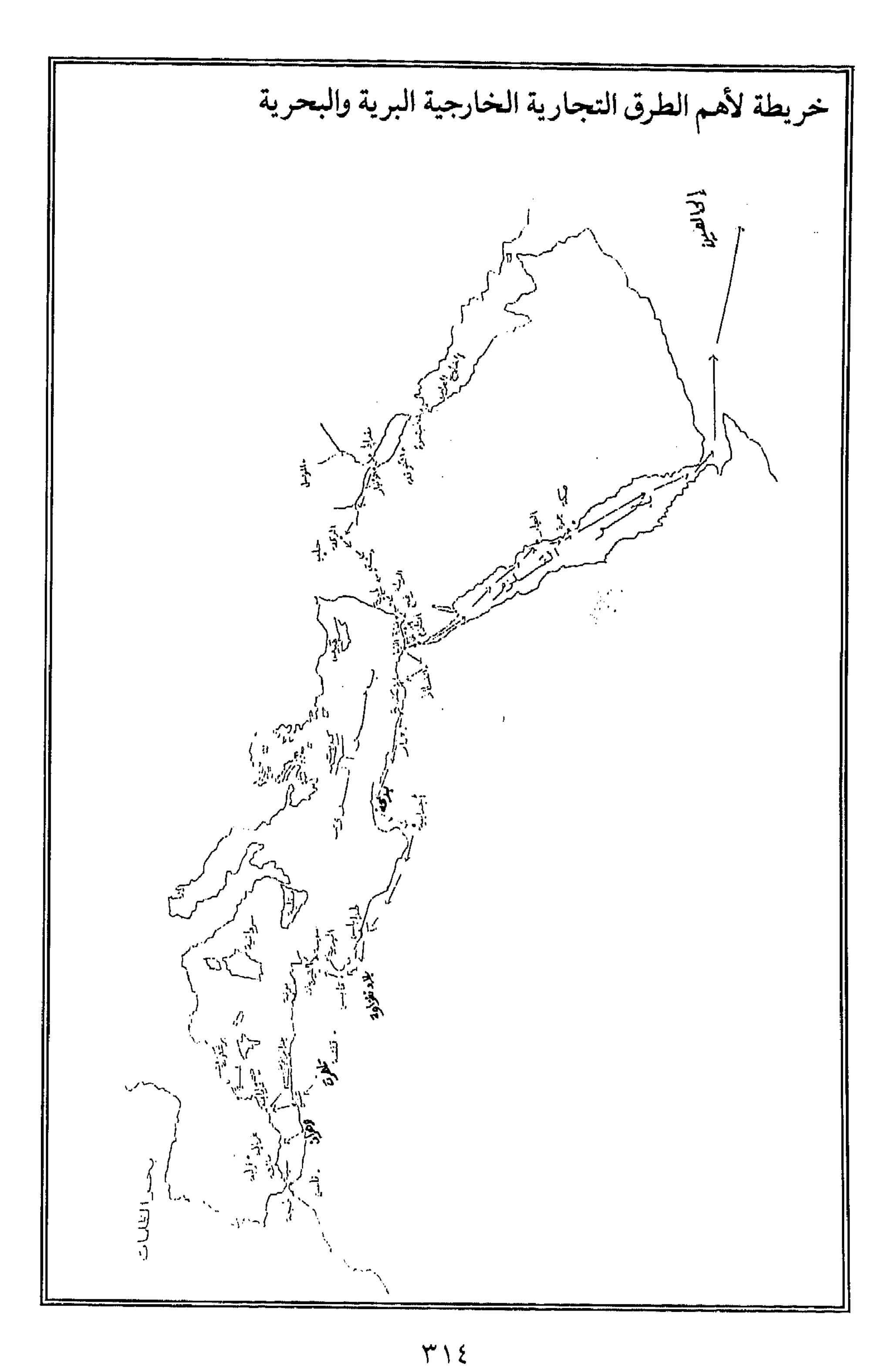


خريطة توزيع المحاصيل الزراعية في الأندلس



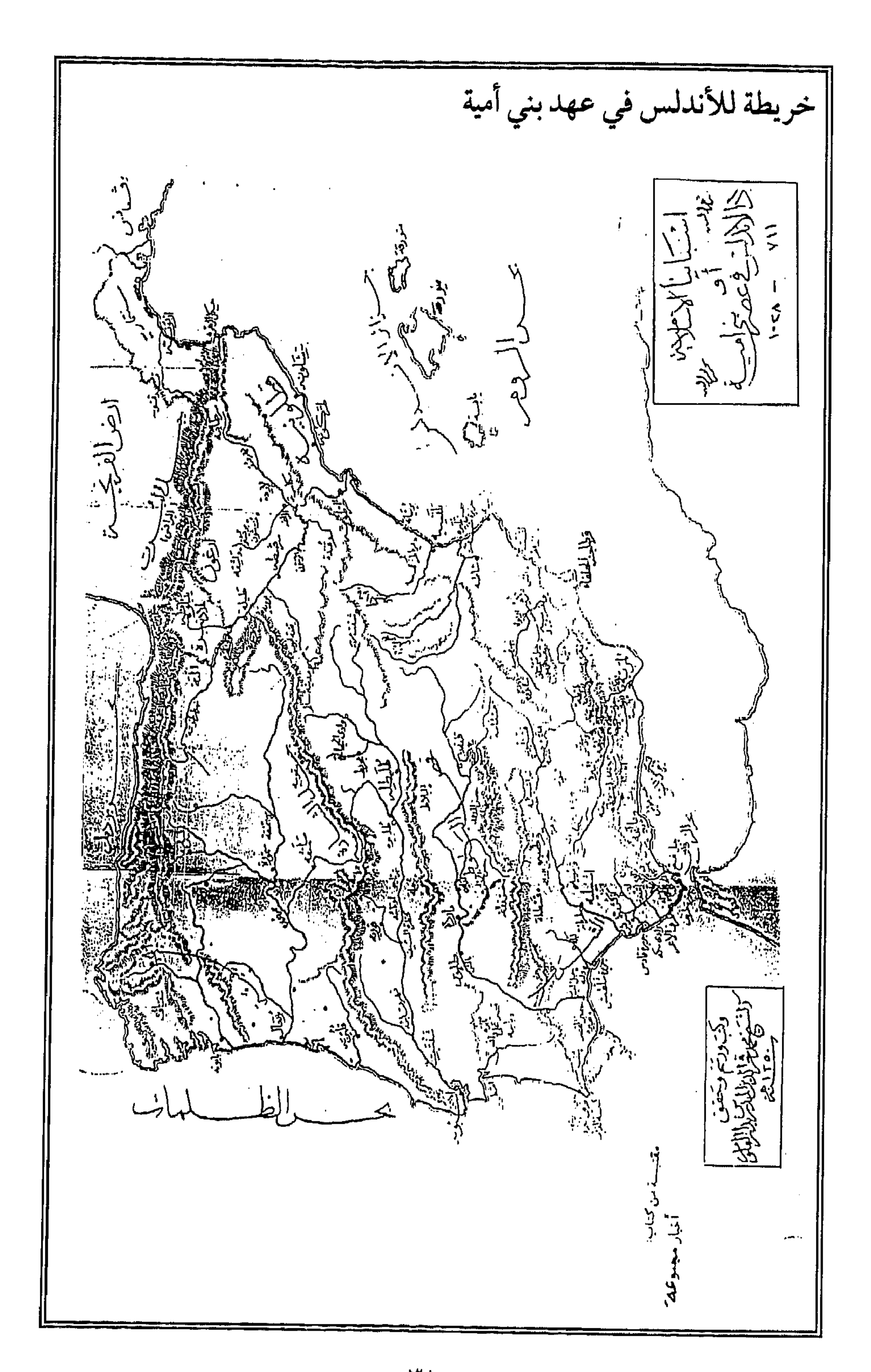
خريطة لأهم الطرق التجارية الداخلية في الأندلس





خريطة لأهم الطرق التجارية الخارجية البرية والبحرية

خريطة للأندلس في عهد بني أمية



المصادر والمراجع

أولاً: المصادر القديمة

١- الأصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، (ت: ٣٤٦هـ):
المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني، (بيروت: دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

٢- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ)
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٣- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ):
التكملة لكتاب الصلة، نشره وصححه عزت العطار الحسيني، (القاهرة - بغداد: مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

٤- . . . . . . الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م).

٥- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ):
الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

٦- الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت ٥٦٠هـ):
صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، من كتابه نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، تحقيق رينهارت دوزي ودي خويه، (ليدن: مطبع بريل، ١٩٦٨م).
٧- الأزدي، محمد بن أحمد:
حكاية أبي القاسم البغدادي، (هيدلبرج: مطبعة كرل ونتر، ١٩٠٢م).
٨- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ):
مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).
٩- ابن بصال، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم:
كتاب الفلاحة، نشره خوسي مارية مياسي بيكروسا ومحمد عزيمان، (تطوان: معهد مولاي الحسن، ١٩٥٥م).
١٠- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ):
جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحجي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
١١- . . . . . . المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب منتخب من كتاب المسالك والممالك، (بغداد: مكتبة المثنى، د. ت.).

١٢- البلوي، أبو محمد عبدالله بن محمد:
سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، (مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.).

١٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ):
التبصر بالتجارة في وصف مايستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، نشره وصححه حسن حسني عبدالوهاب، الطبعة الثانية، (مصر: مكتبة الخانجي، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م).

١٤- ابن جلجل، سليمان بن حسان (ت بعد ٣٧٧هـ):
طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، الطبعة الثانية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

١٥- ابن حجاج الإشبيلي، أحمد بن محمد:
المقنع في الفلاحة، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، (منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

١٦- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ):
الأصول والفروع، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٧- ...... جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، (القاهرة: دار المعارف، د. ت).

١٨- ...... طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت).

١٩- ...... نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق شوقي ضيف، (القاهرة: مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول - المجلد ١٣، ج٢، ١٩٥١م).

٢٠- الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ):

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، (القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٢١- الحميري، محمد بن محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ):

الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م).

٢٢- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت: نحو ٣٦٧هـ):

صورة الأرض، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م).

٢٣- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ):

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

- المقتبس في تـاريخ رجـال الأنـدلـس، نشـره ملتشـور أنطـونيـة، (بـاريس: بـولـس كتنـر الكتبي، ١٩٣٧م)، القسم الثالث.
- المقتبس، نشـره بيـدرو شـالميتـا مع زميليـه، (مدريـد - الربـاط: المعهد الإسبانـي العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط، ١٩٧٩م).
- المقتبس في أخبـار بلـد الأنـدلس، تحقيق عبـدالرحمن الحجي، (بيـروت: دار الثقافـة، د.ت).

٢٤- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد (ت: نحو ٢٨٠هـ):
المسالك والممالـك، (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت).

٢٥- الخشني، محمد بن حارث (ت: نحو ٣٦٦هـ):
قضاة قرطبة، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م).

٢٦- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٦٦هـ):
الإحـاطـة في أخبـار غرنـاطـة، تحقيق محمـد عبـداللـه عنـان، (القـاهـرة: دار المعـارف، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

٢٧- ...... أعمـال الأعـلام فيمن بـويـع قبل الاحتـلام من ملـوك الإسـلام أو تاريخ إسبـانيـا الإسلاميـة، تحقيق ليفي بروفنسـال، الطبعة الثانيـة، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م)، القسم الثاني.

٢٨- . . . . . . أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤م).
٢٩- ابن خلدون، ولي الدين عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ):
المقدمة، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د. ت).
٣٠- . . . . . . العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م).
٣١- الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف:
مفاتيح العلوم، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٢هـ).
٣٢- ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن الحسن (ت: ٦٣٣هـ):
المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق مصطفى عوض الكريم، الطبعة الأولى، (الخرطوم: مطبعة مصر، ١٩٥٤م)
٣٣- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ):
سير أعلام النبلاء، تحقيق علي أبو زيد، (مؤسسة الرسالة، د. ن)، ج١٣.
٣٤- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ):
طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م).

٣٥- . . . . . . لحن العامة، تحقيق عبدالعزيز مطر، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م).
٣٦- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ):
تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت).
٣٧- الزجالي القرطبي، أبو يحيى عبيدالله بن أحمد (ت: ٦٩٤هـ):
أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه ري الأوام ومرعى السوام، تحقيق محمد بن شريفة، (فاس: وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
٣٨- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ):
طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الثانية، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).
٣٩- السَّرَّاج القارىء، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين (ت ٥٠٠هـ)
مصارع العشاق، (بيروت: دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).
٤٠- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ):
المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م).
٤١- . . . . . . كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، ١٩٧٠م).

٤٢- السقطي، أبو عبدالله محمد بن أبي محمد:
في آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، (بيروت: دار الفكر الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٤٣- ابن سلمون الكناني، أبو محمد عبدالله بن عبدالله:
العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، موجود بهامش كتاب تبصرة الحكام لابن فرحون، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٠١هـ).
٤٤- ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل (ت ٤٨٦هـ):
وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبدالوهاب خلاف، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، د. ت).
٤٥- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ):
المخصص، (بيروت: المكتب التجاري، د. ت).
٤٦- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
٤٧- الشاطبى، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ):
الاعتصام، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).

٤٨- .... فتاوى الإمام الشـــاطبي، تحقيق محمد أبو الأجفـان، الطبعـة الثانيـة، (تـونس: مطبعـة الكواكب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

٤٩- ابن الشباط المصري التوزري، محمد بن علي (ت ٦٨١هـ):
قطعـة في وصف الأندلـس وصقلية من كتـاب صلة السمط وسمة المـرط، نشره أحمد مختار العبادي، (مـدريد: صحيفة معهد الـدراسات الاسلامية، ١٩٦٧- ١٩٦٨م).

٥٠- ابن شهيد، أبو عامر أحمد بن عبدالملك (ت: ٤٢٦هـ):
رســالــة التــوابع والــزوابع، تحقيق بطــرس البستـاني، (بيـروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

٥١- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب:
نخبـة الدهـر في عجـائب البر والبحـر، ط١، (بيـــروت: دار إحيـــاء التـــراث العـــربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٥٢- صاعد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ):
طبقات الأمم، نشـره لويس شيخـو اليسوعي، (بيـــروت: المطبعـة الكــاثـوليكيــة لــلآبــاء اليسوعيين، ١٩١٢م).

٥٣- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (ت ٥٢٠هـ):
سـراج الملـوك، الطبعــة الأولى، (القـاهـرة: المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣١٩هـ).

٥٤- ...... الحوادث والبدع، تحقيق محمد الطالبي، (تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٥٩م).
٥٥- الضبي، أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ):
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (مجريط، مطبع روخس، ١٨٨٤م).
٥٦- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ):
العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، (دار الفكر، د. ت).
٥٧- ابن عبدالرؤوف، أحمد بن عبدالله:
رسالة في آداب الحسبة والمحتسب - ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م).
٥٨- ابن عذارى، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـ):
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال، (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
٥٩- العذري، أحمد بن عمر (ت ٤٧٨هـ):
نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، (مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م).

٦٠- ابن عمر، يحيى بن عمر (ت ٢٨٩هـ):
أحكام السوق، تحقيق محمود علي مكي، (مدريد: صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).
٦١- ابن غالب الغرناطي، محمد بن أيوب (ت ٥٧١هـ):
نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبدالبديع، (مصر: مطبعةمصر، ١٩٥٦م).
٦٢- أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ):
تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، (باريس: دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م).
٦٣- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ):
تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٠١هـ).
٦٤- ...... الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)
٦٥- ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد (ت ٤٠٣هـ):
تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٦٦- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ):
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشره فؤاد سزكين مع زميليه، (فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٦٧- ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت نحو ٣٤٠هـ):
مختصر كتاب البلدان، (ليدن: مطبع بريل، ١٣٠٢هـ).
٦٨- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ):
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، (بيروت - طرابلس: دار مكتبة الحياة ودار مكتبة الفكر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
الجزء الخامس: تحقيق محمد بن شريفة، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت).
٦٩- قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ):
الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨١م).
٧٠- القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ):
آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار صادر، د.ت).
٧١- ابن القوطية، أبوبكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ):
تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، (بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧م).
٧٢- القيرواني، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ):
طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م).

٧٣- المالكي، أبوبكر عبدالله بن محمد (ت بعد ٤٥٣هـ):
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

٧٤- مجهول المؤلف (عاش في القرن الرابع الهجري):
أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، (القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.).

٧٥- مجهول المؤلف:
كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا، (مدريد: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦١-١٩٦٢م).

٧٦- مجهول المؤلف:
وصف جديد لقرطبة الإسلامية - قطعة من مخطوط في جغرافية الأندلس -، تقديم حسين مؤنس، (مدريد: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥- ١٩٦٦م).

٧٧- المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ):
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، (القاهرة: دار إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣م).

٧٨- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت: نحو ٣٨٠هـ):
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، (ليدن: مطبع بريل، ١٩٠٦م).
٧٩- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ):
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
٨٠- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ):
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٧٠م).
٨١- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ):
لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د. ت).
٨٢- النباهي، أبو الحسن علي بن عبدالله (ت بعد ٧٩٢هـ):
المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا أو تاريخ القضاة في الأندلس، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت).
٨٣- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ):
نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الحادي عشر (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م).
السفر الثاني والعشرون: تحقيق أحمد كمال زكي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م).

٨٤- ابن هشام اللخمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٥٧٧هـ):
ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، نشرها عبدالعزيز الأهواني، (القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الثالث، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).
٨٥- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ):
صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
٨٦- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ):
المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
٨٧- ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ):
معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، د.ت).
٨٨- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢هـ):
البلدان، (ليدن: مطبع بريل، ١٨٩١م).

ثانيًا: الدراسات الحديثة:

أ - الكتـــب :

١- إحسان عباس :

دراسات في الأدب الأندلسي، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

٢- أحمد إبراهيم الشعراوي :

الأمويون أمراء الأندلس الأول، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٩م).

٣- أحمد فكري :

قرطبة في العصر الإسلامي - تاريخ وحضارة، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م).

٤- أحمد مختار العبادي :

الصقالبة في إسبانيا، (مدريد: المعهد المصري للدراسات الاسلامية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م).

٥- آنخل جنثالث بالنثيا :

تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م).

٦- أندريه ميكيل :

الإسلام وحضارته، ترجمة زينب عبدالعزيز، (صيدا - بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د. ت).

٧- برنارد لويس :

العرب في التاريخ، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، الطبعة الأولى، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٤م).

٨- توماس أرنولد:
الـدعـوة إلى الإسلام، تـرجمـة حسن إبـراهيم حسن وزملاؤه، الطبعـة الثامنـة، (القاهـرة: مكتبة النهضـة العربية، ١٩٥٧م).

٩- جورج كولان:
الأندلس، تـرجمة إبراهيم خورشيـد وزملاؤه، الطبعة الأولى، (بيروت - القاهـرة: دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ١٩٨٠م).

١٠- الحبيب الجنحاني:
المغرب الإسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية: ٣- ٤هـ/ ٩- ١٠م، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والدار التونسية للنشر، د.ت).

١١- حسين عمر:
موسوعـة المصطلحات الاقتصادية، الطبعـة الثالثة، (جدة: دار الشروق، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

١٢- حسين المسري:
تجارة العراق في العصر العباسي، (جامعة الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

١٣- حسين مؤنس:
فجر الأندلس - دراسـة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسـلامي إلى قيـام الـدولة الأمـويـة ٧١١- ٧٥٦م، الطبعـة الأولى، (القاهـرة: الشركـة العربيـة للطباعـة والنشر، ١٩٥٩م).

١٤- رينهارت دوزي:
تـاريـخ مسلمي إسبـانيـا، تـرجمـة حسن حبشي، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
١٥- رولان موسينيه:
تاريخ الحضارات العـام، ترجمة يوسف داغـر وفريد داغر، (بيروت: منشورات عويدات، ١٩٦٦م).
١٦- روم لاندو:
الإسـلام والعـرب، تـرجمـة منيـر البعلبكي، الطبعـة الأولى (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢م).
١٧- ستانلي لين بول:
قصـة العـرب في إسبـانيـا، تـرجمـة علي الجـارم، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
١٨- السيد سابق:
فقـه السنـة، ط ٦، (بيروت: دار الكتـاب العـربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
١٩- السيد عبدالعزيز سالم:
قرطبة حاضرة الخلافـة في الأندلس - دراسة تاريخية عمـرانية أثـرية في العصـر الإسلامي، (بيـروت: دار النهضة العربية، ١٩٧١م).
٢٠- . . . . . . تـاريخ المسلمين وآثـارهم في الأنـدلس من الفتح العـربي حتى سقوط الخـلافة بقـرطبة، (بيـروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م).
٢١- . . . . . . في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م).

٢٢- السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي :
تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٦٩م).

٢٣- شكيب أرسلان :
تاريخ غزوات العرب في أوربا، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت).

٢٤- عبدالحميد العبادي :
المجمل في تاريخ الأندلس، الطبعة الثانية، (القاهرة : دار القلم، ١٩٦٤م).

٢٥- عبدالرحمن الحجي :
التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثانية، (دمشق : دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٢٦- عبدالعزيز عتيق :
الأدب العربي في الأندلس، الطبعة الثانية، (بيروت : دار النهضة العربية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

٢٧- عبدالعزيز فيلالي :
العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط٢، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣م).

٢٨- عبدالواحد ذنون طه :
الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م).

٢٩- عزالدين موسى:

النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، الطبعة الأولى، (بيروت - القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)

٣٠- على حبيبة:

مع المسلمين في الأندلس، الطبعة الثانية، (جدة: دار الشروق، د. ت).

٣١- فالتر هنتس:

المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، (عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م).

٣٢- فيليب حتي وزملاؤه:

تاريخ العرب - مطوّل -، الطبعة الرابعة، (دار الكشاف للطباعة والنشر، ١٩٦٥م).

٣٣- ليفي بروفنسال:

حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت).

٣٤- مانويل جوميث مورينو:

الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد عبدالعزيز سالم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م).

٣٥- محمد الطالبي:

الدولة الأغلبية ١٨٤- ٢٩٦هـ/ ٨٠٠- ٩٠٩م. التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م).

٣٦- محمد عبدالله عنان :
الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال – دراسة تاريخية أثرية – ، الطبعة الثانية ، (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) .
٣٧- . . . . : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، الطبعة الرابعة ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) .
٣٨- محمد مرسي الشيخ :
دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر ٧٥٥- ٩٧٦م/ ١٣٨- ٣٦٦هـ، (مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .
٣٩- محمود علي مكي :
مدريد العربية ، (القاهرة : دار الكاتب العربي ، د . ت) .
٤٠- مصطفى أبوضيف أحمد :
القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ، (الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، د . ت) .
٤١- منى حسن محمود :
المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ٩٢-٢٠٦هـ/ ٧١٤- ٨١٥م ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٦م) .
٤٢- موريس لومبارد :
الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبدالرحمن حميدة ، (دمشق ، دار الفكر ، د . ت) .

ب - الرسائل غير المنشورة:

١- عبدالحميد الشرقاوي:
الحياة الاقتصادية في الأندلس في القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراة، القاهرة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٧م.

٢- محمد محمد التهامي المليجي:
الحياة الاقتصادية في الأندلس في عصر الدولة الأموية، ١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣- منيرة الراشد:
الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الأغالبة، رسالة ماجستير، الرياض: كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

جـ - المقالات العلمية

١- إبراهيم القادري بوتشيش:
أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، مجلة المناهل، العدد ٣٢، السنة ١٢، الرباط، وزارة الشؤون الثقافية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢- ....: الانحسار العربي في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، هل كان وراءه تفوق مسيحي؟، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٤، السنة ١٣، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ١٤٠٧هـ.

٣- أحمد مختار العبادي :

الإسلام في أرض الأندلس - أثر البيئة الأوربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٧٩م.

٤- ...... الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية - الصناعة والأصناف، مجلة عالم الفكر، المجلد ١١، العدد ١، الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٨٠م.

٥- جون براند ترند :

إسبانيا والبرتغال - ضمن مجموعة تراث الإسلام -، ترجمة جرجيس فتح الله، الطبعة الثانية، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٢م.

٦- الحبيب الجنحاني :

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، د.ت.

٧- حسين مؤنس :

غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩-٢٤٥هـ/ ٨٤٤- ٨٥٩م، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، المجلد الثاني، القاهرة، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، ١٩٤٩م.

٨- ...... المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، المجلد الرابع، القاهرة، ١٩٥١م.

٩- السيد عبدالعزيز سالم:
الفنون والصناعات بالأندلس، دائرة معارف الشعب، العدد ٦٤، القاهرة مطابع الشعب، ١٩٥٩م.

١٠- عبدالواحد ذنون طه:
استقرار القبائل البربرية في الأندلس، مجلة أوراق، العدد الرابع، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٨١م.

١١- ......
التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة ٩٥-١٣٨هـ، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٢، السنة ١٣، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٢- ليفي بروفنسال:
الأمويون في الأندلس، دائرة المعارف الإسلامية، العدد ٣١، المجلد الرابع، القاهرة، مكتبة دار الشعب، د.ت.

١٣- ......
مادة طليطلة، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس عشر، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

١٤- ليوبولدو توريس بلباس:
الأبنية الإسبانية الإسلامية، ترجمة علية إبراهيم العناني، (مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م).

١٥- محمد بن تاويت الطنجي :
دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، العددان الأول والثاني، المجلد الخامس، مدريد، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

١٦- محمد عبدالله عنان :
الحضارة الأندلسية خلال ثمانية قرون، مجلة الفيصل، العدد ٤٢، الرياض، ١٤٠٠هـ.

١٧- محمد الوزاد :
الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العددان الرابع والخامس، فاس، جامعة محمد بن عبدالله، ١٩٨٠- ١٩٨١م.

١٨- محمود علي مكي :
مدريد عاصمة إسبانيا التي بناها المسلمون، مجلة العربي، العدد ٤٧، الكويت، ١٩٦٢م.

١٩- محمود محمد شبكة :
اليهود في الأندلس، مجلة الأزهر، الجزء ٩، ١٠، السنة ٣٧، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٢٠- نجدة خماش :
الإدارة في الأندلس في عهد عبدالرحمن الداخل، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٢٥- ٢٦، السنة الثامنة، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٨٧م.

د - المراجع الأجنبية :

1- BERNHARD AND ELLEN M. WHISHAW
ARABIC SPAIN, LONDON,1912.

2- DE LAGRANJA, FERNANDO,
FIESTANS CRISTIANAS EN AL-ANDALUS, AL-ANDALUS, MADRID- GRANADA, 1969, VOLUMEN XXXXIV.

3- .... : DEL "KITAB AL-DURR AL- MUNAZZAM FL MAW-LID AL NABI AL-MUAZZAM" DE AL- AZAFI, AL-ANDALUS, MADRID- GRANADA, 1969, VOLUMED XXXIV.

4- DE LAS GAgIgAS, ISIDRO:
LOS MOZARABES, MADRID,1947.

5- DOZY, REINHART:
MUSULMANS, D'ESPGNE, LEIDEN,1932.

6- S PANISH ISLAM- AHISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN, LONDON.

7- JACKSON,
THE MAKING OF MEDIEVAL SPAIN, CALIFORNIA,1976.

8- IMAMUDDIN, S.M.,
MUSLIM SPAIN, 711-1492, LEIDEN,1981.

9- PROVENCAL, LEVI:
HISTOIRE DE L'LSPAGNE MUSULMANE, PARIS,1950.

10- PROVENCAL, E.LEVI:
LA "DESCRIPTION DE L'ESPAGNE" D'AHMAD AL-RAZI, AL-ANDALUS, MADRID - GRANDA, 1953, VOL, XVIII.

11- PROVENCAL, E. LEVI Y GOMEZ, GARCIA:
DEL "MUQ TABIS" DE IBN HAYYAN SOBRE LOS. ORI GENES DEL RESNO DE PAMPLONA, AL- ANDALUS, MADRID - GRANDA, 1954, VOL XIX.

12- SIMONET, FRANCISCGJAVIER, HISTORIA DE LOS MOZ-ARABES DE ESPANA, MADRID, 1897-1903.

13- VALLVE, JOAQUIN:

LA INDUSTRIA EN AL-ANDALUS, AL-QANTARA, MADRID, 1980, VOLUMEN.1.

14- VALLVE, JOAQUIN:
LA AGRICULTURA EN AL-ANDALUS, AL QANTARA, MADRID, 1982, VOLUMEN,III.